

كتاب الفوائد

«المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان»

ألف الأمام الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي
المتوفى سنة ٧٥١ تغمده

عنى بتصحيحه الشيخ محمد بدر الدين النعساني

«الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هجرية»

على نفقة

(محمد أمين الخالجي السكتي وشركاه بمصر والاستانة)

طبع بمطبعة «المادة نجوار» بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صلي الله على محمد وعلى آله وسلم ﴾

الحمد لله الذي كشف عن قلوب أهل العلم ظلمات الجهل المذلهمه وطهرها من
أدناس الرّين وأجناس الرّيب وملأها إيماناً وحكمه وأمدّها بنور الإلهام وضياء الأفهام
فعلمت علمه وأحكمت حكمه وجلا عن بصائرهم غشاوة القباوة فلم يرهقها قتر ولا
ظلمه وخص هذه الأمة من ذلك بالقسم الأسنى والقدح الأعلى فلذلك كانوا خير
أمة وفتح عليهم من حقائق العلوم وخوارق الفهوم ما لا رقت إليه من سواهم هم
ولا تحركت إليه من أحد سواهم عزيمه فنظروا في علوم الأوائل فحرروها ضوابط
وقسمه وتفردوا بفنون وفضائل لم تشم نسمة غيرهم منها طيب نسمة منها الفصاحة
التي سالت من الفصاحة والعجمه والبيان الذي مسماه قد أوضحه وأبان اسمه وعلم
الأصول والفروع اللذان فيهما ضروب الحكمه وبدائع علوم الكتاب والسنة اللذين
هما مسقط كل رحمه ومهبط كل نعمه الى غير ذلك من اللطائف العريضة وأرزان
الفريض الذي أجادوا نظمه ورصفوا رقه وغرائب أساليب النثر الذي قوموا قدحه
وسدّدوا سهمه فلذلك نصبهم الله هداه وجعلهم أئمة (أحمد) حمد من أكمل
احسانه لديه وأئمة وأشكره شكر من خصه بالطفاه وعمه وأصلى على نبيه الذي صرب
عليه سرادق الكفاية والعصمه وكشف به بدر الجهالة وكشف به عنا كل عمه
صلي الله عليه وعلى آله الليوث في كل هجمه والغيوث في كل أزمة ورضى عن أصحابه

القول عند كل شدة واللامة عند كل ملء (وبعد) فان الله تفضل على هذه الامة
أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس
سكارى وبعث اليهم أقربهم اليه محبة وإيثارا وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا وأنزل
عليه كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وحسبهم بذلك علواً ونفارا وجعله نوراً وسراطاً مستقيماً وحث على تعلمه
وعلمه ليم بحسنة ويؤتي من لده أجر عظيم وأقامه حجة على من ضل ومحجة لمن
اهتدى وأودعه حكمة وموعظة وهدى ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهوى
وسيلاً يصدر عنه كل رشد واليه ينتهى وطريقاً تجلّ بإسلاك نفائس الاعمال أهل
سلوكها وبرهاناً وانحما يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها وأودعه من
الاعجاز ما لا يحصر بمحصر حاصر ولا بعدة عاد من الامر والنهى والوعد والوعيد والحكم
والامثال والمواعظ وقصص القرون السالفة كالحجاب الرس وقوم عاد فكم في لفظه
من اعجاز بسفه حلم من يقول بلفظه وكم في معناه مغنى للجادة في حفظه أبدعت في
أنواع البديع كلمات وأعربت في أجناس التجنيس سورة وآياته ورمت أبواب الفصاحة
بالجود والى فصاحته وجزالاته وأخرست ألسنتهم الذرية فأعيتهم مغارضته وإزالته
فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم وتقريعهم وتمجيزهم بالحلاوة والطلاوة وعلموا أنه
ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر
معانيه بل قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه طابوا الغاب وظنوا أنهم غالبون
وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم وسخ به جميع الكتب
فكان انزاله أشد نازلة لديهم وجعل أعظم معجزاته دوام آياته متلوا بالالسة
باقيا مع بقاء الازمنة محفوظة في الصدور منتقلة في الصحائف والمصاحف من لدن
الرسول محروسة من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول قرآنا لا يأسأ منه
تاليه مع تكراره وتواليه ولا يملأ واعييه بل تتوفر على توقيره دواعيه في كل
حين تظهر فيه من قضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير

ما جادت به فطن الساف كل حرف منه تنفجر به ينابيع من الحكمه وكل كلمة
تمطر منها سحائب الرضوان والرحمة وكل آية تحتوى على بحار من الإعجاز زواجر
وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الاوائل والاواخر لم نجد له فى الكتب السالفة نظيرا
ولم نعد اليه كفى معارض منازل كان أو مُغيرا قل لئن اجتمعت الاس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، رام أحد
معارضته الا عرضت له عوارض الى والكن ولا قصد مباراته إلا رمى بهُجر القول
وان كان من أبواب السن وعوض من كلامه المصحيح باللفظ الركيك والمعنى الفحيح قام
إعجازه بتعجيزهم وتحققوا أنه ليس من تسجيهم ولا ترجيزهم وصرفهم الا لما عن
ترك دين آبائهم الى الدنية وصرقتهم الحية حية الجاهلية عجزوا عن الاين بدوره
أو آيه وانتهوا من عنادهم فى التكذيب به الى غايه فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم وجهاهم
لمن بعدهم آيه فهو الصراط المستقيم والذكر العظيم والكتاب الحكيم والنور
المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والآية العظمى وكلمات الله والذكرى والدرجة
العليا وهو شفاء الغليل ودواء العليل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر
والثنائى والقصص والتذكرة والأنباء والآيات انبصرة والحكم والبلاغ والتبصرة
والبيان والتبيان والرحمة والبشرى والامان والروح والحديث والتنزيل والميزان
وحق اليقين والنبأ العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادى والمنتقى
والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والحسرة والعجب والصحف المطهرة والكتب
القيمة والخير والكتاب العزيز والكتاب لا ريب فيه والحكم والامتنان والعصمة
والامام والأنس عند الوحشة والفرز والأمن عند الخوف والجزع والاصيب يوم القدر
والظلمة والكشف يوم الكرب والغمة من حكم به عدل ومن عدل عنه هوت
قدمه فزل ومن استعصم به عَصِمَ ومن استخطر منه الرحمة رحم

(ولما) كان جامعاً لهذه المعاني المتفرقة محتويها على بدائع المباني المشيدة والنمون
المتأنقة وضروب من المقاصد الخفية والجالية وانواع من خفايا أسرار العوالم العلوية
والسفلية أنزله على خير رسول قابله منبع الحكم وسمعه مقر صريف القدر وعقل

قد استوى على سوقه واستتم لسانه عن الذلل والخطأ في منعة وعصم وبصره
وبصيرته عنهما ما اختفى هدى ولا اكتتم قبلته من التبليغ مرامه وبين حلاله
وحرامه وعين فيه مراد الله من خلقه وأحكامه وعرف فيه ونصه وأظهر عاقبه
وما خصه وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه وفهم متشابهه ومبهمه وجلا غوامضه
وخفاياه وأوضح قصصه وقضاياه وأظهر عن أمثاله التي ليست لها أمثال وأعلم
بجنى إشاراته التي هي أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال وأنبا
بكنايته التي هي أجل من التصريح وصرح بحقيقته التي تسبق إليها الازدهان من غير
تعريض ولا تلويح وأوجز مجازه الذي بغير تدبر لا تجرزه العقول ولو شاء لجعله
هو والحقيقة بيان إلى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة (خلا) ما تضمنه
من العلوم الباطنة والمعاني التي هي إلى الآن في كتابها كانه التي لم يطلع الله عليها
من خلقه أحدا والخفايا التي لم يظهر عليها إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رسدا فجزاه الله أحسن جزاء عنا وبلغه أفضل سلام منا
وصلى الله عليه وعلى آله ما طاع نجم وبدا وما اخضل نجم برذاذ وندا ورضى الله
عن أصحابه ليوث غابه وغيوث سحابه

(فكتاب الله تعالى) أشرف ما صرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومد
به قلم لأنه منبع كل علم وحكمة ومربع كل هدى ورحمة وهو أجل ما تنسك به
المتسكون وأقوى ما تمسك به المتسكون من استمسك به فقد علقت يده بجبل متين
ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى إلى صراط مستقيم

(وقد) أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة
وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب
والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة
الرواق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى
بلاغة الباطن من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم
الذرية وأقصرت خطبهم المسهبة وقصت مدحهم المغربة وأراجيزهم العربية وأسجاعتهم

المطربة فعلموا أن معارضة مما ليس في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلها في
تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصرف عن مفردهم وجمعهم وتركوا
الطعن فيه عند تقصيد رماحهم وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأييدهم
وجاحهم مع قدحه في أربابهم وقدحه لأبائهم وتسفيهه لأحلامهم وتبليطه
لأنصابهم وأزلامهم فأمسك ذووا الاحلام منهم عن الغفوف والاعتداء وأقبلوا على
تدبره فهدى الله به من هدى ولم يقم على الطعن فيه وترك التدبر لمنايه إلا من
غلبت عليه الشقاوة وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فالتدبروا
لمعارضة ومباراته ومماثلته ومجاراته فأوقعه غيّه في غيّه ولكنه سقط في سقطات
لسانه بعد بلاغته ولسنه وصار بعد أن كان فارس الفصاحة والبيان ومالك قصبات
السبق في الرهان يضحك من لفظه من سمعه ويحط من قدره من رفعه وذهبت
من لفظه تلك الجزالة وأعظم الله من ضروب الجزاء والخدبة الجزاء له كل ذلك
ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق وهجة للمحدث إذا قرن بالتقديم فن
جمعهم منهم إنما فعل ذلك عناداً وحسداً لا بائنه أن يقدم عليه أحداً

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو والاخس بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا
ليلة يسمعون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى به في بيته إلى أن
أصبحوا فلما انصرفوا جمعهم الطريق فتلوا وما على ذلك وقالوا إنه إذا رآكم سفهاؤكم
تفعلون ذلك فعلوه واستمعوا إلى ما يقوله واستمالهم وآمنوا به فلما كان في الليلة الثانية
عادوا وأخذ كل منهم موضعه فلما أصبحوا جمعهم الطريق فاشتد نكيرهم وتعاهدوا وتحالفوا
أن لا يمدوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة إلى الاخس بن قيس فقال ما تقول
فيما سمعت من محمد فقال ماذا أقول قال بنو عبد المطاب فينا الحجابة قلنا نعم قالوا فينا
السّدانة قلنا نعم قالوا فينا السّقاية قلنا نعم يقولون فينا نبى ينزل عليه الوحي والله لا
آمنت به أبداً (وروى) أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم (إن
الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية فقال والله إن له حلاوة وإن عليه لطاوة وإن
أبيه له لمعذوق وإن أعلاه لثمر ما يقول هذا بشر (وقال أيضاً) لما اجتمعت قريش عند

حضور الموسم ان وفود العرب ترد فاجموا فيه رأيا لا يكذب بمضمك بعضاً فقالوا
نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ولاهو بزمزمته ولا سجمه قالوا مجنون قال ماهو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ماهو شاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فنقول ساحر قال ماهو
بساحر ولا فنه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أتم بقائلين من هذا شيئاً الا وإيا أعرف
انه لا يصدق وان أقرب القول إنه ساحر وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فذفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

(وانما) يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم
البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن اقتنارها ورسائلها وأراجيزها
واسجاعها فلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس
التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال فاذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب
العزيز ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أدق في
المعجب العجيب والقول الفصل الباب والبلاغة الناصعة التي تحير الابواب وتعلق دونها
الابواب فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ومحاراته لهم في ميدان
الفصاحة ليسبل رداء معجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فمجزت عن محاراته
فصحاؤهم وكأت عن النطق بمثله السنة بلغاتهم ورز في رونق الجمال والجلال في أعدل
ميزان من المناسبة والاعتدال ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماحه من الروعة بما يملأ
القلوب هية والنفوس خشية وتستأذه الاسماع وتميل اليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة
لمعانيه أو غير فاهمة عالمة بما يحويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة . . وسنورد في
كتابنا هذا أصولاً مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تنقف
عليه ويعجبك عند النظر اليه

(قال المصنف رضى الله عنه) وهذه الجملة التي تأصلت ونحصلت والفوائد التي بعد
إجمالها فصلت نقلتها من كتب ذوى الأتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وترقت همة

اطلاعى اليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهى كتاب البديع لابن المعتز . وكتاب الحالى والعاقل للحاتمي . وكتاب المحاضرة له . وكتاب الصنائع للعسكري . وكتاب الامع للعجمي . وكتاب المثل الساثر لابن الاثير . وكتاب الجامع الكبير لابن الاثير ايضا . وكتاب البديع لأسامة بن منقذ . وكتاب الصمد للزنجاني . وكتاب نعلم القرآن له ايضا . وكتاب نهاية التأمل فى كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى . وكتاب التفریع فى علم البديع لزي الدين عبد العظيم بن أبى الاصبع . وكل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت اليها من فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة نقاتها عن الأمة الاعلام الأكابر ونقلتها عنهم من السنتهم لامن بطون الدفاتر وما أضفت الى ذلك مما تفضل الله به ومنح من مهمل أبنته ومحمل فصلته وشارد قيده وحصاته ليكمل بهذا الكتاب النفع ويأتى على نهاية من حس الوصف وبديع الجمع واحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد غفت آثاره وقلت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلا عن أصوله فاعلم من علوم الاسلامية رعى بالهجر والنسيان مارمى به علم البيان ولو أداموا النظر فيه والتامع لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهتم بها القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ولم يقدّر بعض حقوق المنزّل والمنزّل ومن وقف على هذه الأصول التى أصلتها والفصول التى فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل الى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى وحسن عنده موقعه وعظم فى نفسه محله وموضعه وخالطت قلبه بشاشة رونقه وجليلت فى عينه نضارة نظائره وحسن موقعه

(وكلام العرب) فى خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها منقسم الى ثلاثة أقسام ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان وقسم لم يرد منه فيه شيء وسأبين ذلك ان شاء الله تعالى



قسم الأول

(وهو ينقسم الى أربعة وثمانين قسما)

.....

(القسم الاول : في الكلام على الفصاحة والبلاغة . والكلام عليهما من

وجوه . الاول في أحدهما . الثاني في اشتقاقهما . الثالث في التفرقة بينهما

(أما الأول في أحدهما) فقد قال علماء هذا الشأن إن حدة البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه مع الاحتراز من الإيجاز المخل والتطويل الممل . . وقال قوم البلاغة اتصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . . وقيل البلاغة الإيجاز مع الأفهام والتصرف من غير انجبار . . قال خالد بن صفوان أبلغ الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وخير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره . . وقال غيره انما يستحق الكلام اسم البلاغة اذا سبق لفظه معناه الى قلبك (وأما) الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد

(الثاني في اشتقاقهما) قال علماء هذا الشأن إن اشتقاق البلاغة من البلوغ الى الشيء وهو الوصول اليه . . ويجوز عندي أن يكون الكلام البليغ الذي باع من جودة الألفاظ وعذوبة المعاني الى غاية لا يبالغ الى مثاليها إلا مثله (وأما) الفصاحة فقالوا اشتقاقها من الفصيح وهو الذين أخذت منه الرغوة وذهب لبأؤه يقال فصح الرجل اذا صار كذلك وأفصح الشاة اذا فصّح لبنها

(الثالث في الفرق بينهما) قال قوم من أرباب علم البيان الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد . . وقال قوم البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ . يقال معنى بليغ ولفظ فصيح (وليست) الفصاحة والبلاغة مختصين بالألفاظ العربية وانما يطلقان على كل ما لفظه غريب وفهمه قريب « واذا » تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز (٢ - فوائد)

يعلى جل من ذلك أفرغت في قالب الجمال وأترعت لها كؤوس الاحسان والإجمال وأنت على معظمها وأجأها واستوفت نصاب ماسكها لازمة علم البيان وأدلتها وأنا أذكرها نونا ونوعا وقسما قسما محلا ببراينيه وشواهد سافرا عن نضارة وجوه نظائره وفوائده بعد استيفاء الكلام على الحقيقة والمجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما (فبدأ) بالكلام على الحقيقة . والكلام فيها من ثلاثة أوجه . الأول اشتقاقها . الثاني حدها . الثالث أقسامها (أما الأول) فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة وفي اشتقاقها قولان . أحدهما أنها مشتقة من حقق الشيء بحقيقه إذا أنبته . والآخر أنها من حققت الشيء أحقه إذا كنت منه على يقين (وأما الثاني) فلها حدان . الأول في المفردات . والثاني في الجمل . . فأما حدها في المفردات فهي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضح وقوع لا يُسند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان الخصوص المعروف . . الثاني حدها في الجمل فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه مثاله خالق الله العالم وأنشأ العالم - فأنشأ - واقعة موقع - خلق - (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة . حقيقة لغوية . وحقيقة شرعية . وحقيقة عرفية . . وهي على قسمين عامة وخاصة . فالعامة كاستعمال لفظ الدابة في الحمار وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في المنحيز الذي لا ينقسم (وأما المجاز) فالكلام عليه أيضاً من خمسة أوجه . الأول في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله . الثاني في حده . الثالث في اشتقاقه . الرابع في علة النقل . الخامس في أقسامه (أما الأول) فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله مياهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة وكما دق المعنى رق مشروبه عندها وراق في الكلام انخراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذب الارتشاف وسيلاً مسلوكة لهم على سلوكه انعكاف ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق ولفظ فائق واشتد باعهم في إصابة أعراضه فأتوا فيه بالخوارق

وزينوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم (وأما الثانى) فحده على قسمين • حدث فى المفردات • وحدة فى الجمل • • أما حده فى المفردات فهو كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له فى وضع واضعها • • وقبل حده استعمال اللفظ الحقيقى فيما وضع له دالا عليه ثانياً لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز • • وأما حده فى الجمل فهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه بضرب من التأويل (وأما الثالث) فاشتقاقه من جاز الشئ يجوزُه إذا تعداه وعدل عنه • فاللفظ إذا عدل به عما يوجهه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلى أو جاوز هو مكانه الذى وضع فيه أولاً (وأما الرابع) فالمعنى الذى وقع به النقل شيئان • أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً من غير مناسبة ولا علاقة بالأعلام المنقولة وبهذا يتميز عن المشترك • الثانى أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما أو علاقة ولا أجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة لأنها مجازات مثل تسمية الرجل بالحجر فانه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص وأما إذا تحقق الشرطان فانه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من التعلق فان النعمة انما تعطى باليد والقوة انما تظهر بكمالها فى اليد • • ومن ذلك أيضاً تسمية المزادة بالراوية وهى اسم للبعير الذى يحمل عليه فى الأصل ومثل ما بين التبت والقيث والسماء والمطر حيث قالوا رعيننا القيث يريدون التبت الذى القيث سبب نشوء عادة وقالوا أصابتنا السماء يريدون أصابنا المطر • • وقال قوم المجاز لا يصح الا بنسبة مع علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فاذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة والمجاز فهو الظاهر الواضح واذا ضعف التعلق الى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظير له فى المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شئ فى الكتاب والسنة ولا يوجد مثله فى كلام فصيح • وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فن العلماء من يتجاوز بها لقربها بالنسبة الى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجاوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية وهذا مذكور فى الكتب المختصة بأصول الفقه (الخامس) أقسامه وهى كثيرة • الأول مجاز التصديق لفظ المتعاقب به عن المتعلق • أة ياءه ككثرة • • وقد انتهت عدة

ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة وعشرين قسماً (الاول) التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى «ولا يُحيطون بشئ من علمه» أراد بشئ من معلومه . وكقوله تعالى «ذلك مبلغهم من العلم» أى من المعلوم . وكذلك قوله تعالى «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم» أى المعلوم (الثانى) التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثله (الثالث) التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم رأينا قدرة الله أى مقدور الله . ومنه قوله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شئ» أى مصنوعه (الرابع) التجوز بلفظ الارادة عن المراد كقوله تعالى «يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله» والمعنى ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قول بيقولهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يقل ويريدون أن يفرقوا بين أحد منهم (الخامس) التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» معناه وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين . أحدهما التعبير بالحكم عن ارادته . والآخر التعبير بالماضى عن المستقبل (السادس) اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الاخير منه ومثاله قوله تعالى «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمي التى وصل التراب به الى أعينهم وبالرمى المثبت شروعه فى الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب الى أعينهم اذ شرعت فى الرمي وأخذت فيه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صلى بى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشئ مثله أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام . . وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره ويصحح هذا ما بين الارادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحح كون المراد مسيئاً عن الارادة فيكون تجوزاً باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فانه ليس مسيئاً عنه ولا مؤثراً فيه (السابع) التجوز بلفظ الامل عن المأمول وذلك فى قوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» أى وخير مأمولاً (الثامن) التجوز بلفظ الوعد والوعد عن الموعد من ثواب وعقاب وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى «أفئن

وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ » ومثله « إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا » أى موعوده
 (التاسع) إطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما وهو فى القرآن كثير . من ذلك
 قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ »
 وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » عبّر بهذه العهود كلها عن موجبها ومقتضاها وهو
 الذى التزم بها (العاشر) إطلاق اسم البشرى على الم بشرى به وهو فى القرآن كثير .
 من ذلك قوله تعالى « بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ » وقال أبو على التقدير بشراكم اليوم
 دخول جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جرم فلا يخبر بالجرم عن المعنى
 وقال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام لاجابة الى هذا التعسف لأن البشرى
 ليست عين الدخول ولا عين الخلود كما انها ليست عين الجنات ولا بد من تأويله على كلا
 القولين بما ذكرناه وإلا كان خالفاً لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه
 جرم ولا بأنه دخول ولا خلود (الحادى عشر) إطلاق اسم القول على المقول فيه
 وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ » ومنه
 قوله « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » أى عن مدلول قولهم . ومنه قوله
 تعالى « وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا » معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه . ومنه
 قوله تعالى « فَبَرَأَهُ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا » أى من مقولهم وهو الأذرة (الثانى عشر) إطلاق اسم
 النبأ عن النبأ عنه وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَبْنَاءُ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » ومنه قوله تعالى « قُلْ هُوَ بَأْ عَظِيمٌ » وان أريد به القرآن
 فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ . ومنه قوله
 تعالى « وَتَلَعَلْنَ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » (الثالث عشر) إطلاق الاسم على المسمى وهو فى
 القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيحُوهَا »
 معناه ما تعبدون من دونه لإسميات . ومنه قوله تعالى « سُبِّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى »
 أى سبح ربك الأعلى ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا قرأوها
 قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام اجملوها فى سجودكم . ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

وهن جعل الاسم هو المسمى في قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كان التقدير فيه أقرأ بالله أى بمونته وبتوقيفه ومن جملة التسمية كان التقدير أتبرك بذكر اسم الله وبهذا يُرد على من قدر ابتدائي أو بدأت باسم الله إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائر ولا لنسبة ابتداء الفعل الى التوفيق دون سائر لأن الحاجة داعية الى التبرك والتوفيق في جميع الفعل دون انتهائه وابتدائه (الرابع عشر) اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به ومنه في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « ولا تبدل لكلمات الله » أى لا تبدل لعذاب الله أو لا تبدل لمقتضى عذاب الله ومنه قوله تعالى « ان الله يبشرك بكلمة منه اسمهُ المسيح عيسى بن مريم » تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله تعالى « وجهي في الدنيا والآخرة ومن المقربين » ولا تنصف الكلمة بذلك وأما قوله اسمهُ المسيح فإن الضمير فيه عائذ الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فالعنى المسمى المبشر به المسيح بن مريم (الخامس عشر) اطلاق اسم اليمين على المحلوف وهو في القرآن في موضعين أحدهما قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم » أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصالح بين الناس^(١) (السادس عشر) اطلاق اسم الحكم على المحكوم به وذلك قوله تعالى « ان ربك يقضى بينهم بحكمه » أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به في قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من سوء القضاء أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لانه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها ومنه « فاصبر لحكم ربك » أى فاصبر لما حكم به عليك وكذلك قول الداعى اللهم رضى بقضائك أى بما قضيت لى أو على من غير معصية فان المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكراتها فتمتل أمر الله تعالى في كراتها وان وقعت (السابع عشر) التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه وهو كثير في القرآن ومنه قوله تعالى « ولن

صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ، أى ان ذلك الصبر والفقر مما يعزم عليه من الأمور ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » تجوز بالعزم عن المزموم عليه لتعلقه به ومعناه ولا تعقدوا عقدة النكاح أو يكون التقدير ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح (الثامن عشر) التجوز بلفظ الهوى عن المهوى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ونهى النفس عن الهوى » معناه ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ولا يصح نهيا عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق الا ان تقدر حذف مضاف معناه ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف . ومنه قوله تعالى « أرايت من اتخذ إليه هوا » يحتمل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يعبدون الصنم فان استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فان الانسان اذا طواع هواه فيما يأنيه ويتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع (التاسع عشر) اطلاق اسم الخشية على الخشْي وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » معناه هم من عقوبة ربهم خائفون (العشرون) اطلاق اسم الحب على المحبوب وذلك قوله تعالى « انى أحبيت حب الخير عن ذكر ربى » معناه أحبيت محبوب الخير عن ذكر ربى (الحادى والعشرون) اطلاق اسم الظن على المظنون وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة » معناه أى شئ مظنونهم أهو الهلاك أو النجاة . الثانى قوله تعالى « وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم » فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن ان اتباع الظن ذنبٌ ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون وهو أمره باجتنب فعل وقع منهم (الثانى والعشرون) اطلاق اسم اليقين على المتيقن وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » معناه واعبد ربك حتى يأتك الموت المتيقن لكل أحد . ومنه قوله تعالى « وكنا نكذب بيوم الدين

حتى أنا اليقين» معناه حتى أنا الموت المتيقن لكل أحد (الثالث والعشرون) اطلاق اسم الشهوة على المشتى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين • أحدهما قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات » أى حب المشتيات بدليل أنه قال « من النساء والبنين » الثانى قوله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » معناه ان الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ولا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة (الرابع والعشرون) اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه وهو فى القرآن العظيم كثير • فن ذلك قوله تعالى « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يفى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئاً ولكن طاب حاجة فى نفس يعقوب قضاها ويخمد ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقاد لا تقضى وانما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه • ومنه • ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » معناه ولا يجدون فى قلوبهم شئ يحتاجون اليه مما أعطيهما جرون • وهذه الاقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق ومصحح المجاز فيه ما بينهما من النسبة

﴿ القسم الثانى ﴾

اطلاق اسم السبب على المسبب وهو أربعة أقسام

(القسم الاول) قوله تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سى عقوبة الاعتداء اعتداء لانه المسبب عن الاعتداء • ومنه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تجوز بلفظ الجناية عن القصاص فانه مسبب عنها والتقدير جزاء جنائية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح وان عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب لأن الأساءة تحزن فى الحقيقة كالجناية • ومنه قوله تعالى « ومكروا ومكر الله » تجوز

بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . . ويحمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجهم إياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نعمة (الثاني) إطلاق اسم الكتابة على الحفظ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « سنكتب ما قالوا » أي سنحفظه ولا ننساه حتى نحجزهم به . والآخر قوله تعالى « سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » أي نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الأنبياء فاستعمل اللفظ المستعمل في حفظه دون كتابته (وأما) قوله تعالى « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » فانه تجوز بالكتابة عن الثبوت والدوام فإن الكتابة مستمرة باقية في العادة . وأما قوله تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ففيه مذهبان . أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره إن المنافقين يخادعون رسول الله والله خادعهم فيكون خداعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه في المكر ويتأتى أن يكون مخادعهم الله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعهم مجازية تجوز بها عن شبهها وكان إطلاق اللفظ من مجاز التشبيه (الثالث) إطلاق اسم السمع على القبول وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع » معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على استماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون نفي السمع لانقضاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا إيمان لهم أي لا وفاء إيمان لهم . . ومنه قول الشاعر

وإن حَافَتْ لا يَتَقَضُّ النَّأْيُ عَهْدَهَا فليس لَحْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

معناه ليس لَحْضُوبِ الْبَنَانِ وفاء يمين (الرابع) إطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو في القرآن كثير . فن ذلك قوله تعالى « وما كان الله ليضيعَ إيمانكم » (٣ - فوائد)

معناه ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم الى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى « أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » معناه أفتعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى فتجوز بالايان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الايمان وتترك العمل ببعض وهو قتل اخوانكم واخراجهم من ديارهم . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضعٌ وسبعون شعبةً أعلاها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . جعل القول وامطة الأذى عن الطريق ايمانا لأنها مسبيان عن الايمان

القسم الثالث

اطلاق اسم المسبب على السبب وهو ثمانية أقسام

(القسم الأول) اطلاق اسم العقوبة على الاساءة والجناية . ومنه قوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » معناه وإن أردتم معاقبة مبيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الاساءة فقوله - وإن عاقبتم - من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته وقوله - بمثل ما عوقبتم به - من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله - فعاقبوا - حقيقة اكتشفها المجازان . وكذلك قوله « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُني عليه لينصرته الله » فعاقب حقيقة وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب كما تدن تدان معناه كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجناية لأنه مسبب عنها . . . وكذلك قول الشاعر

ولم يبقَ سوى العُدْوَا نِ دَنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

معناه جزيتاهم بما فعلوا فدناهم حقيقة ودانوا مجاز (القسم الثاني) اطلاق الأكل على الأخذ لما كان الأكل مسيئاً عن الأخذ . ومنه قوله تعالى « ولانأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه (القسم الثالث) اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي مسبب عنها . ومنه قوله تعالى « إن يكن منكم

عشرون صابرون يَفْلِيوا مائتين » عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة (الرابع) اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى « والرجز فاجِر » تجوز بالرجز وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها (وأما) قوله تعالى « ويُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ » فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديان فإن أن الوسوسة سبب للمعصية والمعصية سبب للعذاب ويجوز أن تجعل الوسوسة نفسها رِجْزاً لمشققتها على أهل الايمان وكلما اشتدت مشقتها على النفوس فهو رجز . . قال أبو عبيد الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه (الخامس) اطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى « واللهُ يَدْعُو إلى الجنة والمغفرةِ باذنه » تجوز باسم المغفرة عن التوبة (السادس) اطلاق اسم الكبرياء على الملك لأنها مسببة عن الملك . ومنه قوله تعالى « وتكونَ لكم الكبرياء في الأرض » (السابع) اطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوَّةٍ » لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسمها باسم مسببها أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة (الثامن) اطلاق اسم الاعطاء والايثاء على الالتزام فن ذلك قوله تعالى « فلا جُنَاحَ عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » معناه إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسيئاً عن الالتزام عُبر به عنه . ومن ذلك قوله تعالى « ولا جُنَاحَ عليكم أنْ تَكْفِهوهنَّ إذا آتَيْتُوهنَّ أَجُورَهُنَّ » أي إذا التزمتم لهن مهورهن . . ويحذف أن يكون من مجاز الحذف تقديره إذا آتيتم أهلن مهورهن ولا يدل قوله فأنكحوهن باذن أهلن على صحة النكاح بغيرولي لأنه لم يذكر المأذون له ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحذف أن تكون المرأة وحمله على الوكيل أولى لأن الغالب في الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح في غاية التدور فلا يجوز حمل الكلام عليه اذ لا يوجد مثل هذا نظير في كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شيء والارشاد الى مصالحة فيينورده بأنه

اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سبباً له وهو أربعة أقسام

(الأول) نسبة الفعل الى من كان سبباً له . من ذلك قوله تعالى « قل هو من عند أنفسكم » وهو من عند الله على الحقيقة ولكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه . ومنه قوله تعالى « فلا أنفسهم يمهّدون » والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسببهم اليه بالعمل الصالح (الثاني) اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه وهو في القرآن كثير . ومنه قوله تعالى « ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » نسبوا ضلّي النصارى الى سبب سببه لأن الكبراء أمرهم وهم امثاؤه والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم اباهم بالكفر . ومنه « فأخسجهم بما كانوا فيه » ومنه قوله تعالى « كما أخرج أبويكم من الجنة » ومنه « فلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » الخرج والنزع على الحقيقة هو الله تعالى (الثالث) نسبة الفعل الى الأمر به وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ومنه « الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما » ومنه قوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان كان هذا أمراً للولادة فهو أمر بالامر بإقامة الحدود وان كان أمراً لمستوفي الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله رَجِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً والغامدية . وقوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الأمر به . ومن ذلك قوله تعالى « ونادى فرعون في قومه » أى أمر من ينادى في قومه (الرابع) نسبة الفعل الى الآذن فيه وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » الآخذ على الحقيقة هو الولي والمرأة الآذنة فيه وهذا أخذ مجازي

ونسبته اليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . . وقد اختلف في الميثاق فقيل انه المقدم وقيل انه قول الولي زوجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان . ومنه قوله تعالى « فلا تَمْضَوْهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ » وقوله تعالى « فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ » نسب النكاح اليهن لاذهن فيه وهذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها . وأما على قول من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواه

القسم الخامس

الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعاق ببعضهم وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ » معناه ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم فان جميع الخلف والساق لم يتخذوا العجل إلهاً وإنما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس

فَانْ تَقْتُلُونَا نُقَتِّلْكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدِمِّ تَقْصِدِ

معناه فان قتلتهم بعضنا فقتلناكم إذ لا يتصور أن يقتلهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل وهذا الباب كله من مجاز الحذف وله قاعدة يتفرع عليها وهي ان كان البعض واحداً كان التقدير وإذا فعل أحدكم . ومثاله قوله تعالى « وَإِذْ قَاتَمْنَا نَفْسًا » وان كان البعض أكثر من واحد كان التقدير وإذا فعل بعضهم . ومثاله قوله تعالى « وَإِذْ قَاتَمْنَا يَا مُوسَى لَنْ نُوْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » وكان القائلون لذلك سبعين ومن زعم أنه نسب الفعل اليهم لانهم رضوا به لا يستقيم قوله لأننا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى في قتل النفس ولا باتخاذ العجل ولا بقولهم - لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة - ولا بقولهم - لن نصبر على طعام واحد - أيضاً فان نسبة الفعل الى الراضى به مجاز والى فاعله حقيقة فاذا حمل - على - عليهما كان حلا على حقيقة غالبية ومجاز مغلوب وذلك لا يجوز .

القسـم السادس

اطلاق اسم البعض على الكل وهو سبعة عشر قسما

(الأل) التعبير بالقيام عن الصلاة • ومن ذلك قوله تعالى « قمر الليل إلا قليلا » أى صلّ الليل إلا قليلا • وقوله تعالى « لا تقمّ فيه أبداً » أى لا تصلّ فيه أبداً (الثانى) التعبير بالركوع عن الصلاة وهو فى قوله تعالى « واركع مع الراكعين » أى صلى مع المصلين • وقوله تعالى « واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » أى واذا قيل لهم صلوا لا يصلون (الثالث) التعبير عنها بالسجود • وذلك فى قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له » أى فصلّ له • ومنه قوله تعالى « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » أى فاذا صلوا فليكونوا من ورائكم • ومنه قوله تعالى « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أى وهم يصلون لأن التلاوة منتهى عنها فى السجود الحقيقى فلا يصح المداح فيما نهى عنه (الرابع) التعبير عنها بالقراءة فى قوله تعالى « وقرآن الفجر » وفى قوله « فاقرأوا ما تيسر من القرآن » (الخامس) التعبير عنها بالتسبيح فى قوله « وسبحه ليلاً طويلاً » وفى قوله « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » وفى قوله « وسبحوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وأمثاله فى القرآن كثير (السادس) التعبير عنها بالدكر فى قوله « واذكّر اسم ربك بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وفى قوله « فاذا أمّنتم فاذكّروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » معناه فاذا أنتم فصلوا لله (السابع) التعبير عنها بالاستغفار فى قوله « وهم يستغفرون » وحله بعضهم على الحقيقة (الثامن) التعبير بالذقن عن الوجه فى قوله تعالى « يخشعون للأذقان سجداً » وفى قوله « يخشعون للأذقان يبيكون » أى للوجوه (التاسع) التعبير بالأنف عن الوجه فى قوله تعالى « سنسفه على الخراطوم » (العاشر) التعبير بالرقبة عن الجملة فى قوله تعالى « فتحريّر رقبة » وفى قوله « وفى الرقاب » وفى قوله « فطلت أعناقهم لها خاضعين » فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد وكذلك ما أشبهه

(الحادى عشر) التعبير باليدين عن الجملة وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى
 « ذلك بما قدّمت يداك » (الثانى عشر) التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى
 « لأخذنا منه باليمين » (الثالث عشر) التعبير بالمضد عن الجملة فى قوله تعالى « سنشدّ
 عضدك باخيك » (الرابع عشر) التعبير بالأصابع عن الكف والارجل كقوله
 تعالى « فاضربوا منهم فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان » (الخامس عشر)
 التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل « ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »
 ومنه قوله تعالى « ووجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » عبر بالوجوه عن
 الأجساد لان العمل والنصب صفتان للأجساد (السادس عشر) التعبير بالمسجد الحرام
 عن الحرم كله فى قوله تعالى « انما المشركون نجس » فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
 عامهم هذا . (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد
 الحرام (السابع عشر) التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله
 حرم مكة يوم خلق السموات والأرض لا ينفّر صيدها ولا يعصد شجرها . ومعلوم أن البلد
 نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً (وأما) قوله تعالى « ثم محلها » فانه تجوز
 بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط
 (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره ثم محلها الى حرم البيت العتيق

- القسم السابع -

اطلاق اسم الكل على البعض وهو أحد عشر قسماً

(الأول) قوله تعالى « واذا رأيتم تعجبك أجسامهم » ومعلوم انه لم يرجلهم وانما
 دائر وجوهم وما يبدأ منهم (الثانى) قوله تعالى « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (الثالث)
 قوله تعالى « فأمسحوا برؤوسكم » على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب
 (الرابع) قوله تعالى « يجعلون أصابهم فى آذانهم » وانما جعلوا بعض أناملهم (الخامس)

قوله تعالى: «ادخلوا مصر» ومعلوم أنهم لم يستوعبوها (السادس) قولهم «خرجت من المسجد» ومثله في القرآن كثير (السابع) وصف البعض بوصف الكل وهو في قوله تعالى «يعلم خائفة الأعين» (الثامن) قوله تعالى «لنسفنن بالنّاصية ناصية كاذبة خاطئة» الخطأ صفة للكل فوصفت به النّاصية (وأما) قوله كاذبة - فللكاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب الى الانسان من مجاز وصفه بصفة بعضه وتجاوز عن هذا المجاز بان وصفت به النّاصية فيكون مجازاً عن مجاز (التاسع) نسبة الظن الى الوجوه في قوله تعالى «نظن أن يفعل بها فاقرة» فان الظن وصف للقلوب على الحقيقة ويضاف الى الأجساد على التجوز فيكون مجازاً عن مجاز (العاشر) وصف الوجوه بالخشوع فان محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة (الحادى عشر) وصفها بالرضى في قوله تعالى «لسعيا راضية» وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من مجاز القلوب

- القسم الثامن -

في التجوز بوصف الكل بصفة البعض وهو أربعة أقسام

(الاول) من ذلك قوله تعالى «انا منكم ورجاؤن» والوجل الخوف ومحله القاب ويدل عليه قوله تعالى «وبشر المحبتين الذين اذا ذكر الله وجاءت قلوبهم» (الثانى) قوله تعالى «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولمائت منهم رعباً» والرعب انما يملأ القلوب فنسب الى الأجساد ووصف القلوب بالامتلاء مجازاً أيضاً (الثالث) قولك زيد عالم وجاهل وراعب وخائف وآمن ومتفكر وشاك ومتذكر وعافل ولين وقاس وقابع فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة (الرابع) قوله تعالى «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً» وصف القرآن بالبشارة والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر والنهى والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والنذارة اليه مجازية أيضاً

— ﴿ القسم التاسع ﴾ —

اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه وهو قسبان

(الأول) قوله تعالى «واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف» معناه
واذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عدتهن وشارفنه فأمسكوهن بمعروف (الثاني) قوله
تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» معناه «والذين يقاربون الوفاة وترك
الأزواج ويشارفونها» وكذلك ما أشبهه



— ﴿ القسم العاشر ﴾ —

اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم» معناه الذين كانوا يتامى إذ
لا يتم بعد البالوغ (الثاني) قوله تعالى «ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن» معناه
الذين كانوا أزواجهن لأنها نزلت في معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجهما
من زوجها عبدالله بن رواحة

— ﴿ القسم الحادي عشر ﴾ —

اطلاق اسم الشيء بما يؤل اليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «كتب عليكم القصاص في القتلى» أي فمن يقتل
من القتلى (الثاني) قوله تعالى «إني أراقي أعصر خيراً» أي أعصر عباً... ومن
ذلك قوله تعالى «ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»

— القسم الثاني عشر —

اطلاق اسم المتوهم على المحقق وهو خمسة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «يرونهم مثلهم رأى العين» أى فى ظنكم وحسبانكم
(والثانى) قوله تعالى «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» أى فى ظن الناظر اليهم
وحسابه (الثالث) قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم
يصر كالعرجون القديم الا فى الحسبان والظن ورأى العين . . وكذلك تقديره منازل انما
هى منازل من رأى العين فان القمر فى الفلك الأول والمنازل فى الفلك الثامن ولا يتصور
نزوله فى شئ منها وانما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين (الرابع) قوله
تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»
أى يسبحون فى رأى العين فان الناظر الى الفلك يعتقد ساكناً والكواكب جارية
فيه وليس كذلك (الخامس) قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» أى كان قاب
قوسين أو أدنى فى ظن رائيه وحسابه

— القسم الثالث عشر —

اطلاق اسم الشئ على الشئ الذى يظنه
المعتقد والأمر على خلافه وهو ستة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» ذكر
ذلك بالنسبة الى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضد ولا نقيض (الثانى) قوله تعالى «أين شركائى»
وليس هذا اثباتاً للشركاء بل هو يتنزل على قول الخطم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشريكي» معناه
تركتك لشريكي بزعمه (الثالث) قوله تعالى «ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون»

لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسول (الرابع) قوله عز وجل « يا أيها الذي نزل عليه الذِّكْرُ إنك لجنون » ليس هذا إقراراً بتنزيل الذكر وإنما المعنى يا أيها الذي نزل عليه الذكر بزعمه (الخامس) قوله تعالى (١)

القسم الرابع عشر

التضمن وهو أن يُضمن اسماً معنى اسمٍ لافادة معنى الاسمين
تعديه تعديته في بعض المواطن وهو أربعة أقسام

(الأول) قوله تعالى « حقيقٌ علىَّ أن لا أقولَ على الله إلا الحق » ضمن حقيقاً معنى حريصٍ ليفيد أنه محقق يقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمن أيضاً أن تُضمّن فعلاً معنى فعلٍ آخر لافادة معنى الفعلين وتعديه أيضاً تعديته في بعض المواطن وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « لا تُشركْ بي شيئاً » ضمن لا تشرك معنى لا تعدل والعدل التسوية أى لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والحجة فانهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وحجّوها كحب الله ولذلك قال الذين في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبينٍ إذْ نُسوِّبكم ربّ العالمين » وما سوّوهم به الا في العبادة والحجة دون أوصاف الكمال ونعوت الجمال والجلال (الثالث) قوله عز وجل « إن كادَتْ لتُبْدى به لولا أن ربّنا على قلبها » ضمن لتبدي به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الاخبار لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر (الرابع) قوله تعالى « عينا يشرب بها عبادُ الله » ضمن يشرب معنى يروى أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والرى أو الشرب والالتذاذ جميعاً

القسم الخامس عشر

في مجاز اللزوم وهو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بينها فيه

(الأول) التعبير بالاذن عن المشيئة لأن الغالب أن الاذن في الشيء لا يقع الا بمشيئة الاذن واختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز • ومن ذلك قوله تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله » أي إلا بمشيئة الله • ويجوز أن يراد في هذا بالاذن أمر التكوين والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله موتى • ونظيره « فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » خذف تقديره فقال لهم الله موتوا فاتوا لدلالة قوله - ثم أحياهم - عليه • ومثله « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » ومنه « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله » أي بمشيئة الله أو بأمر التكوين فان ملازمة المشيئة للأمر غالباً كملزمة مشيئة المرید غالباً (الثاني) التعبير بالاذن عن التيسير والتسهيل وهو في قوله تعالى « والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » أي بتسهيله وتيسيره اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذني ولا قت وقعدت باذني هذا قول الزمخشري • ويجوز أن يراد بالاذن ههنا الأمر أي يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره (الثالث) تسمية المسافر بابن السبيل • وذلك في قوله تعالى « وابن السبيل » للملازمة السبيل وهو الطريق كما يلزم الولد أمه • ومنه قيل للطير ابن الماء للملازمة للماء (الرابع) نفي الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته للزومها عنه غالباً في مثل قوله تعالى « كيف يكون للمشركين عهد » أي وفاء عهد وإتمام عهد فنفي العهد لانتفاء ثمرته وهو الوفاء والاتمام • ومنه قوله تعالى « وإن كنتموا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أمة الكفرانهم لا أيمان لهم » نفي الايمان بعد اثباتها لانتفاء ثمرتها وفائدتها وهو البر والوفاء • ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره انهم لا وفاء أيمان لهم (الخامس) اطلاق اسم الريب على الشك للملازمة الشك القلق والاضطراب فان حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله « نترصد بكم ريب المتون » أي مقالقات الدهور • وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الظبي الحاقب لا يريه أحد وقوله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بضعة

منى يرينى ما يريها •• ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى
* أمن المتنون ورّيبها تتوجع *

(السادس) التعبير بالمسافة عن الزنا لان السطح صب المني وهو ملازم للجماع غالباً لكنه خص بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صب المني بخلاف النكاح فان مقصوده الولد والتعاضد والتناصر بالأختان والأصهار والاولاد والأحفاد ومثاله قوله تعالى «محصنين غير مسافحين» أى غير مزانين وقوله تعالى «محصنات غير مسافحات» أى غير مزانيات (السابع) اطلاق اسم المحل على الحال فيه لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء وبالعين عن الادراك وبالصدر عن القلب وبالقلب عن العقل وبالأفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازليها وبالنادى والندى عن أهلها وبالعائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأمّا كن المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى» وقوله تعالى «بارك الذى بيده الملك» وأما التعبير بالعين عن الادراك فهو فى قوله تعالى «أم لهم أعين يُبصرون بها» أى يبصرون بادراكها أو بنورها (وأما) التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «فلا يكن فى صدرك حرج منه» أى فى قلبك ومنه قوله تعالى «وما تخفى صدورهم أكبر» (وأما) بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين أحدهما قوله تعالى «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» والثانى فى قوله تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أى لهم عقول لا يفقهون بها •• ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما فى قوله «ولهم أذان لا يسمعون بها» أى لا يسمعون بأسماعها أو بادراكها (وأما) التعبير بالأفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» أى بألسنتهم لان القول انما يكون باللسان ومنه قوله تعالى «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» (وأما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «فانما يسرناه بلسانك» أى باختك ومنه قوله

تعالى « بلسان عربي مبين » أى بكلام عربي مبين (وأما) التعبير بالساحة عن نازلها
ففى قوله تعالى « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » معناه فاذا نزل بهم (وأما)
التعبير بالقرية عن قاطنيتها فى قوله تعالى « واسئل القرية التى كنا فيها » (وأما)
التعبير بالنادى عن أهله فى قوله تعالى « فليدع ناديه » (وأما) التعبير بالندى عن
أهله فى قوله « أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » أى أحسن أهل مجلس
(وأما) التعبير بالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان فى قوله تعالى
« أو جاء أحدكم من الغائط » . ومن مجاز الملازمة وهو التعبير بالارادة عن المقاربة لان
من أراد شيئاً قربت مواقفته إياه غالباً وهو فى قوله تعالى « فوجدنا فيها جداراً »
يريد أن يقتض فأقامه « أى قارب الاقتضاض » . ومنه قول الشاعر

يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي رِيَّاحٍ وَيَزْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

(ومنه) التعبير بترك الكلام عن الغضب لان الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب
غالباً وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « ولا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا يزكهم » والآخر قوله تعالى « ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة »
(ومنه) التجوز بالاياس عن العلم لان الاياس من تقيض المعلوم ملازم للعلم غير
منقلب عنه . من ذلك قوله تعالى « أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعاً » (ومنه) التعبير بالدخول عن الوطء لان الغالب من الرجل اذا دخل
بامرأته انه يطأها ليلة عرسها . ومثاله قوله تعالى « وربائبكم اللاتى فى حجوركم من
نسائكم اللاتى دخلن بهن فان لم تكونوا دخلن بهن فلا جناح عليكم » . ومنه وصف
الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى
« فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ » وصفه بالعسر والعسرُ صفةٌ للأهوال الواقعة فى ذلك اليوم
ومنه قوله تعالى « فياخذكم عذابٌ يومٍ عظيمٍ » وصف اليوم بالعظم وهو صفةٌ للمذابح
الواقعة فيه . وأما قوله تعالى « فياخذكم عذاب يوم عقيم » فانه مجاز تشبيه شبه اليوم فى
انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم . ومنه قوله تعالى « وقال هذا يومٌ عصيبٌ »
وصفه بكونه عصبياً وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه

القسم السادس عشر

التجوز بالمجاز عن المجاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني بملاقة بينه وبين الثاني . مثال ذلك قوله تعالى « ولكن لا تواعدوهن سرّاً » فانه مجاز عن مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسّر لانه لا يقع غالباً الا في السر فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً وتجوز بالسّر عن العقد لانه سبب فيه فالصحيح للمجاز الأول الملازمة والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سرّاً لانه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فعنى قوله - ولكن لا تواعدوهن سرّاً - لا تواعدوهن عقد نكاح وكذلك قوله « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » قال مجاهد « ومن يكفر بلا إله الا الله فقد حبط عمله فان حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله الا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله الا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان

القسم السابع عشر

التجوز في الاسماء وهو على سبعة أقسام

(الأول) اطلاق اسم الأسد على الشجاع (الثاني) التجوز بالبحر عن الجواد (الثالث)

اطلاق اسم الفوز والحياة على الايمان والعرفان (الرابع) اطلاق اسم الظلمة والموت

على الجهل والضلال (الخامس) اطلاق اسم السراج والنور على الهادي (السادس)

اطلاق اسم الخطب على النجمة بانارتها نار الحقد والغضب (السابع) اطلاق اسم الانسان على

تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الخطب المعبر به عن

النجمة فانه في قوله تعالى « حمالة الخطب »

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

التجوز في الافعال وهو على عشرة أقسام وتحت كل قسم منها أقسام

(الأول) التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهاً له في التحقيق والعرب تفعل ذلك لفائدة وهو أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكد وأعظم موقعاً وأنغم بياناً لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها . ومنه قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه إنما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - يُنفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به . ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وإنما جرى به بلفظ الماضي لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته فانه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عزاسمه « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فاتى ها هنا بمعنى يأتى وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتى بمنزلة أتى ومضى . وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسيرُ الجبال وترى الأرض بارزة وحسرتها هم فلم تُغادر منهم أحداً » فانه إنما قال - وحسرتها هم - ماضياً بعد - نُسير - وترى - وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كانه قال وحسرتها هم قبل ذلك وهو في القرآن العظيم كثير . قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه المعروف بالمجاز أكثر ما يكون هذا في الشروط وأجوبتها وقد يجىء في غيرها . مثاله في غير الشرط قوله تعالى « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأئمة إلهين من دون الله » ومنه « ونادى أصحاب الاعراف » ومنه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار » ومنه « ونادوا يا مالك » ومنه « وقال قرينه هذا ما لدي »

عتيد» ومنه «وقالوا الجلودهم» • ومنه «إنا أعتدنا للظالمين نارا» • ومنه «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا» وأمثاله فى القرآن كثير» (وأما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » معناه وإن تكونوا فى ريب • ومنه « وإن تبتم فهو خيرٌ لكم » معناه وإن تنوبوا فهو خير لكم • ومنه «فإن كنت فى شك مما نزلنا إليك » معناه فإن شك فى شك • ومنه « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » معناه إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا (وأما) فى جواب الشرط فقوله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » • ومنه « ولئن أرسنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » قال الخليل معناه ليطأ • ومنه « وإن عدتم عدنا » معناه وإن تعودوا الى قتال محمد عدنا الى نصره والسرط لا يكون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة وهذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه (الذى) التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » • ومنه « فريقا كذبتم وفريقا تقتلون » معناه وفريقا قاتم • • ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى « تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » وكما فى قوله تعالى « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » • ومنه قوله تعالى « وكانوا يصرون على الحث العظيم » ومنه « وقد كانوا يدعون الى السجود » ومنه « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه » معناه وإذ قلت وهو فى القرآن كثير» (وانما) قصدت العرب بالاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الاخبار بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاطفة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الماضى فان الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه

(٥ - فوائد)

يماينها ويشاهدها (الثالث) التجوز بلفظ الخبر عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثيرٌ. من ذلك قوله تعالى « والوالداتُ يرضعنُ أولادهنَّ حولين كاملين » ومنه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . ومنه قوله تعالى « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولذلك أجيب بالجزم في قوله « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ » ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله - هل أدلكم - لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة وهذا من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكيده بنجر الصادق الذي لا بد من وقوعه وإذا شبه بالخبر الماضي كان آكد وكذلك الدعاء والأمر والنهي بالخبر الماضي إذا أريد تأكيده ما عبر عنها بالخبر المستقبل فإن بالفت في التأكيده تجوزت عنها بالخبر الماضي (الرابع) التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء وهو في القرآن العظيم كثيرٌ. من ذلك قوله تعالى « لا تزيب عليكم اليوم يغفر الله لكم » معناه اللهم أغفر لهم . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى الى ركن شديد . ومن ذلك تسميت العاطس يرحمك الله وفي اجابته يهديكم الله ويصالح بالكم . المعنى اللهم ارحمه اللهم اهدهم (الخامس) التجوز بلفظ الخبر عن النهى وهو في القرآن كثيرٌ. من ذلك قوله تعالى « وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله » معناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ومنه قوله تعالى « لا تعبدون الا الله » معناه لا تعبدوا الا الله . ومنه قوله تعالى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (السادس) التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيداً للخبر لأن الامر للإيجاب فيشبه الخبر به في ايجابه وهو في القرآن في موضعين قوله تعالى « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدأ » تقديره قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدأ أو مد له الرحمن مدأ . الثاني « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » (السابع) التجوز بجواب الشرط عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يقابوا مائتين » معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين . ومنه « وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً » معناه فليغلبوا ألفاً

ومنه « فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » معناه فليقبلوا مائتين « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » معناه فليقبلوا ألفين والمراد به التأكيد لانه خبر تجوز به عن الطلب (الثامن) التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادةً بالنهى وانما المراد بها ما يقارنها أو يلازمها أو تكون مسببة عنه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وذروا البيع » نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباح وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى « ولا تموتنَّ الاَّ وأنتم مسلمون » النهى عن الموت نفسه لايصح لانه ينافى التكليف لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكانه قال ولا تكفروا عند موتكم . ومنه « قولهم لا أرينك ها هنا » معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهى صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع الأخ ليس النهى عن نفس البيع لانه مجتمعٌ بشرائط الصحة انما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها وانما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب (التاسع) التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه وهو فى القرآن كثير . فنه قوله تعالى « ولا تمدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر الى غيرهم . ومنه « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » النهى فى اللفظ للتقلب والمراد به النهى عن الاغترار بالتقلب . ومنه قوله « فلا تفرَّركمُ الحياةُ الدنيا » النهى فى اللفظ للحياة الدنيا والمراد به نهى المخاطبين عن الاغترار بها . ومنه قوله تعالى « ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الإعجاب بهما . ومنه قوله تعالى « ولا تأخذكم بهما رأفةٌ فى دين الله » النهى للرأفة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى . ومنه قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » النهى لضمير الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى لاتعرضنَّ لا صابة الفتنة اياكم لسبب تقريرها وترك نكيرها والتقدير واتقوا تقدير فتنة لاتصين عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا

منكم خاصة (الماثر) التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهى فى الحقيقة غيره وهو فى القرآن العظيم كثير • منه قوله تعالى « وَلَا يَصِدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ » معناه ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدم إياك • ومنه « فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها » معناه فلا تصدن عنها • ومنه قوله تعالى « وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » معناه ولا تخفن

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض وهو عشرة أقسام

(الاول) هل - يتجوز بها عن الأمر والنهى والتقدير وهو فى القرآن العظيم كثير • • أما التجوز بها عن الأمر فى مواضع • منها قوله تعالى « فهل أأنتم مسلمون » معناه أسلموا • ومنه قوله تعالى « فهل أأنتم مُنتهون » معناه فانتهاوا • • أما التجوز بها عن النهى فهو فى مواضع • منها قوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية » وقوله تعالى « فهل يهلك إلا القومُ الفاسقون » معناه فاترى لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون • وقوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظللٍ من الغمام » معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلال ومثل هذا فى القرآن كثير • وأما قوله تعالى « هل من مزيد » فقليل انه نفي الاستزادة معناه لا مزيد فى وقيل انه طلب لها معناه زدنى • • وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن العظيم فى آيتين • احدها قوله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » الثانية فى قوله تعالى « هل لكم مما مَلَكتْ أيماكم من شركاء فيما رزقناكم » (الثانى) - همزة الاستفهام - ويتجوز بها عن النهى وعن الأمر والایجاب والتقرير والتوبيخ • • أما التجوز بها عن النهى فى القرآن العظيم منه كثير • من ذلك قوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين • وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مِنَ النَّارِ » معناه است منقذ من فى النار • وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى » معناه لست مسمع

الأصمّ ولا هادى الأعمى ومثله فى القرآن كثير . وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أليس الله بكافٍ عبده » معناه الوعد بكفاية العباد . وقوله « أليس الله بعزیز ذی انتقام » وقوله تعالى « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » . . . ومنها قول جرير
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النِّجْمَ الَّذِي هُوَ طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمُحِينَ نَافِعٌ
وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقوله تعالى « أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْمَانَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ » وقوله تعالى « أَلَمْ نَكْرِمْكَ أُمَّ الْآثِنِينَ » . . . وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ » وقوله تعالى « أَتَأْتُمِرُونَ النَّاسَ بِالْبُرْءِ وَتَسْؤُونَ أَنْفُسَكُمْ » وقوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » (الثالث) التجوز - بنى - وله حقيقة تتحقق فى قسمين . أحدهما احتواء جرم على جرم كقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » وقوله تعالى « وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ » الثانى احتواء جرم على معنى كقوله تعالى « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وقوله تعالى « وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ » وكقوله « إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِقِيهِ » وأمثاله فى القرآن كثير . . . وأما التجوز بها فهو أنواع . الأول أن يجعل المعنى ظرفاً لتعلقه بمعنى آخر وذلك قوله تعالى « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهو طاعته واجتتاب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفاً لتعلق الجهاد والجهاد قائم بالمجاهد . ومن ذلك قوله تعالى « لَا رَيْبَ فِيهِ » ومن ذلك قوله تعالى « وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لِرَيبٍ » فيها « جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب فان الريب حال فى المرتاب . ومنه قوله تعالى « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » أى فى توريثهن جعل التوريث محلاً لتعلق الاستفتاء ثم قال « قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » أى فى توريثهن فجعل التوريث

محلا لتعلق بيان الفتيا وهو قول المفتي • ومنه قوله تعالى « فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه » جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف والاختلاف قائم بالمتخلفين
• ومنه قوله تعالى « فاذر أئمتهم فيها » أى فاذر أئمتهم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدرع
• ومنه قوله تعالى « فذلكن الذى لُمْتُنْنِي فيه » جعل جبهه أو مرأوده طرفا لتعلق لومهن
لا لنفس اللوم فان لومهن قائم بهن • • الثانى التجوز بها عن الباء التى للسبب وهى فى
القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به »
أى بسبب ما أخطأتم • ومنه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله » أى بسبب نصرة
سبيل • وكذلك الحب فى الله والبغض فى الله أى بسبب تعظيم الله وله نظائر كثيرة
ولما كان المسبب متعلقا بالسبب فجعل السبب طرفا لتعلق المسبب • • الثالث من التجوز
به وهو أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى وهو فى القرآن المجيد كثير • من ذلك قوله
تعالى « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر
لا لنفس الفكر فان الفكر قائم بالتفكر • ومنه قوله تعالى « أولم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ » جعل السموات والأرض والمخلوقات كلها
محلا لتعلق النظر لالنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حاله فيه • ومنه قوله تعالى
« أولم يتفكروا فى أنفسهم » (الرابع) من التجوز به أن يجعل المعنى محلا للجرم
وهو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل طرفا مجازا لما كان الحاوى أعظم من
الحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى ومنه فى القرآن شئ كثير • من ذلك قوله
تعالى « إنا لنراك فى ضلال مبين » ومنه « صم بكم فى الظلمات » أى صم وبكم فى
الضلالات • ومنه قوله تعالى « فهم فى ربهم يترددون » ومنه قوله تعالى « ألا إنهم
فى صريخ من لقاء ربهم » وأما قوله تعالى « إن المتقين فى جنات ونعيم فى جنات ونهر »
فى جنات وعبود وفواكه • فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل - فى - بالنسبة الى
الجنان طرفا حقيقيا وبالنسبة الى العيون والنهر والنعيم طرفا مجازيا ومن لم يجمع بينهما
يقدر ان المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر فيكون فى الثانية مجازا محضاً
مشعراً بكثرة النعيم والانهار والعيون والفواكه ويدع الأولى على حقيقتها ولك أن

تجعل الجميع مجازاً على حذف لذات تقديره ان المتقين في لذات جنات ونعيم وفي لذات جنات وعيون وفي لذات جنات ونهر وفي لذات وفواكه أو تقدر ان المتقين في نعيم جنات وعيون وفواكه أو ما أشبهه ولا تقدر مثل هذا في قوله - في جنات ونعيم - اذ يبقى التقدير وفي نعيم نعيم وهو سمح لا يقدر مثله في كتاب الله • وأما قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » فظاهره عند من جمع بين الحقيقة والمجاز لحكمه فيمن يعقل على السجود المهود وفيما لا يعقل على الاقياد للقدرة والارادة • وأما قوله تعالى « أَفَى اللَّهِ شَكٌّ » فالتقدير فيه أفى وحدانية الله شك فهو من جعل المعنى ظرفاً لتعلق المعنى • وأما قوله تعالى « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ » وقوله « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » فليس الطرف هنا متعلق بجوهر ولا عرض وانما هذا من مجاز التشبيه عبر بكونه في السماوات والأرض عن علمه بما فيهن لأن من حضر مكاناً لم يخف عليه ما فيه وأما قوله - كل يوم هو في شأن - فهو يشبه « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَارِكُونَ » وكقولهم أنا في شغلك وحاجتك ولا يخفى وجه التشبيه فيه (الخامس) التجوز - بعل - وحقيقتها استملاء جرم على جرم كقوله تعالى « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ » ومنه قوله تعالى « لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ » وأما مجازها فعلى قسمين • أحدهما التجوز عن الثبوت والاستقرار كقوله تعالى « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » وقوله تعالى « قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي » وقوله « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى » ومنه قوله تعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وهذا أيضاً من مجاز التشبيه شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة النسيئة والثبوت عليها لمن علا على دابة يصرفها كيف شاء • • الثاني أن يجعل المعنى على الجرم تجوزاً كقوله تعالى « رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » وكقوله « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ » والفرض بذلك كثرة الصلاة والرحمة لأن ما علاك وجللك فقد أحاط بك • وأما قوله تعالى « وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى » فهو من نزول جرم على جرم ولا بد فيه من حذف تقديره وأنزلنا على أشجاركم أو على محلنكم • وأما قوله تعالى « نَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ » معناه

نُخْرِجُ عَلَى نَادَى قَوْمِهِ أَوْ عَلَى مَحَلِّ قَوْمِهِ • ومثله قوله تعالى « اخْرِجْ عَلَيْهِنَّ » فَعْنَاهُ
 اخْرِجْ عَلَى مَجْلِسِهِنَّ أَوْ مَكَانِهِنَّ • ومثله قوله تعالى « كَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
 وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا » معناه كلما دخل مكانها أو محرابها (السادس) - عن - وهي حقيقة في
 مجاوزة جرم عن جرم وتعديته عنه ثم يستعمل في المعاني على طريق التشبيه كقوله تعالى
 « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا » شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره
 بانصراف المجاوز عما يجاوز • وكذلك قوله تعالى « فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ » إن حمل على ترك القتال
 كان المعنى فالنصراف عن قتالهم وإن حمل على غيره فعنه تجاوز عن أذيتهم وفي الحديث
 تجاوز عما تعلم المعنى ترك المؤاخذه لأن المتجاوز عن الشيء تارك له وكذلك قوله صلى الله عليه
 وسلم إن الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها (السابع) حرف - من - وهي حقيقة في ابتداء
 غاية الأمكنة ويتجاوزها عن ابتداء الغاية في الأزمنة مثل قوله تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
 التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ » فاستعماها غاية في الأزمنة لشبهها بالآماكن
 وكذلك تجوز بها عن التعليل في مثل قوله تعالى « يَمَّا تَخِطَايَاهُمْ أَغْرَقُوا » أي من
 أجل خطاياهم أغرقوا لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة فشبه ذلك بابتداء الغاية
 بالمكان (الثامن) حرف - ثم - ويستعمل حقيقة في تراخي الزمان والمكان ثم يتجاوزها
 في تراخي بعض الرتب عن بعض بالنباذ المعنوي فشبه التراخي المعنوي بالتراخي الزماني
 والمكان وهو في القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا »
 فجاء بهم - للتراخي الذي بين الإيمان والعمل الصالح فإن الإيمان أفضل من جميع أعمال
 الإنسان فهو متراخ في الفضل عن فك الرقاب وإطعام السغبان فهو مؤخر في اللفظ
 مقدم في الفضيلة والرتبة على تباعد وتراخ بدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لما سئل أي الأعمال أفضل قال الإيمان بالله قال ثم ماذا قال بر الوالدين قال ثم ماذا
 قال الجهاد في سبيل الله ويدل أن - ثم - هاهنا لتراخي الرتب لا لتراخي الزمان لأن الإيمان
 شرط في اعتبار فك الرقاب وإطعام السغبان فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرط

•• ومنه قال الشاعر

* إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *

جاء ثم لتراخ بين السؤددين من الفضل • ومنه قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » على قول بعضهم قال جئ بتم لتفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم قال فان اسجد الملائكة له أكل أحسان وأنتم إنعام من التصوير • وقدر بعضهم ولقد خالقنا طينكم ثم صورناكم في ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقال بعضهم نسبة الخلق والتصوير اليها من مجاز نسبة ما يتعاق بالواحد الى جماعة • ومثاله قوله عز وجل « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » نسب المعاهدة الى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومثل قوله تعالى « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم » نسب النكث الى الكل وانما نكث بعضهم • ومثله قوله تعالى « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ولم تقل اليهود كلها ذلك وكذلك النصارى لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث ثلاثة وقال بعضهم هو عبد الله ورسوله فنسب الى الفريقين ما وجد من بعضهم • ومثله قول امرئ القيس

* فان تقتلونا تقتلكم *

(وأما) من يقول إن - ثم - تستعمل في تراخي بعض الاخبار عن بعض فلا يستقيم في هذه الآية ولا في قول الشاعر

* إن من سادتم ساد أبوه *

لأننا علم أن الله تعالى ما راخى بين الاخبار في قوله - ولقد خالقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - وكذلك قول الشاعر - إن من سادتم ساد أبوه - يعلم أنه لم يقل - إن من سادتم - وقف زماناً طويلاً متراخياً ثم قال - ساد أبوه - وان استعمالها في تراخي الأخبار بعيد في استعمال العرب لان التراخي الموجود في كلامهم انما يقع في مداولات الألفاظ لا بين أنفس الالفاظ وهذا انما يصح استعماله في مقالات للاخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله في هذا الشأن (التاسع) حرف - الباب - قال سيديويهى للصاق والاختلاط والاصاق أضرب • أحدها حقيقى وهو الصاق جرم بجرم كقولك ألصقت القوس بالفراء والخشبة بالجلد • والثانى مجاز الصاق المعنى بجرم

كقولك لطفت يزيد ورافتُ بعرو فكانتُ ألفت اللطف والرافة به لتعلقهما به
وكقولك مررت يزيد ولا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد
وهو من مجازات التشبيه كأنك ألفت المرور بالمكان . الثالث الصاق المعنى بالمعنى
كقوله تعالى « أن النفس بالنفس والعين بالعين » أى النفس مقتولة بقتل النفس
والعين مفعولة بقتل العين أى بالبلاء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً الى الجناية
نسبة التشبيه وهو جار في جميع الأسباب (العاشر) حرقان وهما - لعل - وعسى - وهما
مجاز تشبيه أو تسبب وحقيقتهما الترجى والتوقع قاله سبحانه تعالى ونزه أن يوصف
بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاماته
بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابته
فان كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو اجابة المأمول وإثابته لاسيما اذا
كان ذلك الملك كريماً صدوقاً لا يخلف الميعاد . وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الاجابة
وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك
أمر الرب ونهيه مع وعده وإيعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفاً ورجاءاً لا يوجد
مثلهما في حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المنفرد لا يتوقع منه اجابة ولا إنابة
والكلام اللين المرغوب يتوقع كل من سمعه الاجابة والانابة فلذلك قيل لموسى وهرون
عليهما السلام « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » لما كان القول اللين سبباً
للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه . وأما الرجاء
المتعلق بأفعاله فكما في قوله سبحانه « والله أخرجكم من بطون أعمهاتكم لاتعلمون
شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » لما ذكر هذه النعم
الجسام التي لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله - لعلكم تشكرون - من جهة
أن الشكر مرجو من المنعم عليه متوقع منه ولا سيما عند هذه النعم لانه عاملهم بهذه
النعم معاملة الراجي كما عاملهم بالفتن معاملة الفاتن فوصفه نفسه بكونه راجياً كوصفه
نفسه بكونه فاتناً وكذلك نظائر

- القسم العشرون -

من أقسام المجاز الاستعارة وهى على أربعة أقسام • وقيل على قسمين
وقيل على سبعة أقسام • وقد بناها فى الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وفقنا الله وإياك أن اللفظ اذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة • وان استعمل
فى غير ما وضع له فان لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له فهو الموكّل^(١) وان كان لمناسبة
بينهما فان حسن فيه أدوات التشبيه فهو مجاز التشبيه وان لم يحسن فيه اظهار أدوات
التشبيه فهو الاستعارة • • واذا تقرر هذا فالكلام فى الاستعارة على وجوه • الأول
هل هى من أنواع المجاز أم لا • • الثانى فى حدها • • الثالث فى أقسامها • • الرابع
فى اشتقاقها • • الخامس فيما تهيأ به الاستعارة وما لا تهيأ • • السادس فى الاستعارة
التخييلية • • السابع فى الاستعارة المجردة • • الثامن فى الاستعارة المرشحة • • التاسع
فى الاستعارة الحسنة • • العاشر فى الاستعارة القبيحة • • الحادى عشر فى بيان ما يُظن
أنه استعارة وليس باستعارة • • الثانى عشر فى الاستعارة بالكناية • • الثالث عشر فيما
تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة (أما الأول) فقد اختار الامام نحر الدين رحمه الله
أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم الثقل وجمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز
لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له (وأما الثانى) فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن
فى حدها فقال على بن عيسى الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له فى أصل اللغة
وقد أبطل الامام نحر الدين ما قاله ابن عيسى فى حد الاستعارة من وجوه أربعة •
الاول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوى استعارة • الثانى يلزم أن تكون الاعلام المنقولة
من باب المجاز • الثالث استعمال اللفظ فى غير معناه للجهل بذلك • الرابع أنه يتناول
الاستعارة التخييلية على ما سأتى • • وقال قوم الاستعارة جعل الشيء لشيء أو جعل
الشيء لشيء لأجل المبالغة فى التشبيه • فالأول كما تقول لقيت أسداً وتعنى الشجاع

(١) كذا فى الاصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحذر

فقد جمعت الشجاع أسداً فهذا جعلُ الشيء الشيء . والثاني كقول الشاعر

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها *

وسبأني . . وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة الاستعارة الاستدلال بالشيء المحسوس على المعنى المفقول . وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فان الاستعارة على أقسام وسبأني بيانه . . وقال قوم الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح المشبه . . وقال الامام نحر الدين رجه الله الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه . فقوله - ذكر الشيء باسم غيره - احترازاً عما اذا صرّح بذكر المشبه كقولك زيد أسد فانك ما ذكرت زيداُ باسم الاسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرّم أن ذلك لم يكن استعارة . وأما قوله - وإثبات ما لغيره له - ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخيلية . وقوله - لأجل المبالغة في التشبيه - ذكره لتمييزه عن المجاز (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في أقسامها فقال قوم أقسامها أربعة . الاول أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين . الثاني أن يكون معقولين . الثالث أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا . الرابع أن يكون على العكس . . أما استعارة المحسوس للمحسوس فهي على قسمين أحدهما أن يكون الاشتراك في الذات والاختلاف في الصفات والثاني أن يكون العكس . فمثال الاول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداها في الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للاكمل في ذلك النوع الى الانقص . مثاله استعارة الطيران المدوّ فانهما يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من المدوّ فلما تساوى في الحقيقة واختلفا في القوة والضعف في السرعة لاجرّم نقلوا اسم الكامل في السرعة الى الناقص فيها فسموا المدوّ طياراً . وقد يقع في هذا الجنس ما يظن أنه مسنعا ولا يكون كذلك وذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم وفي يدك السيف الذي امتعت به صفاة الهدى من ان تدرك فتخرقاً

فالظاهر ان الخرق حقيقة في الثوب مجاز في الصفاة ولكن التحقيق بأباه لان الشق يستعمل في الخرق فبقال شقت الثوب والشق عيب في الثوب وهذه الملاقاة على وجه

الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ان يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً والا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان لفظ الخرق مشتركاً بينهما وهو خلاف الأصل فثبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان ولما كان الشق حقيقة في الصفة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضاً فيه . نعم لوقات خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة في شيء لأنه ليس هناك شق فهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسماً للتفرق من حيث انه لا شق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث أن الشق حاصل في الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق ولما كانت لفظة الخصوصية التي بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلة في مفهوم الخرق كان استعمال الخرق في الموضعين حقيقة ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية في الخرق كان استعماله في الحجر على طريق الاستعارة فهذا هو القانون في هذا الباب بعد أن لاتضايق في المثال هذا كله اذا كان الاشتراك في الحقيقة والاختلاف في العوارض والصفات . . وأما اذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك في الصفات والاختلاف في الحقيقة فمثل قولهم رأيت شمساً ويريدون انساناً تهلل وجهه كالشمس فيشاركه في الوصف . . وأما القسم الثاني وهو استعارة اسم شيء معقول لشيء معقول وهذا أيضاً انما يكون في أمرين يشتركان في وصف عدمي أو ثبوتي وأحدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين إما أن يكونا متعادين أو لا يكونا كذلك فان تعاديا فاما أن يكون التعاند بالثبوت أو الانتفاء أو بالتضاد . مثال الاول استعارة اسم المعلوم للموجود أو الموجود للمعلوم . أما الأول فنجد ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعلوم في عدم الفائدة لكن المعلوم بذلك أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعلوم . . وأما الثاني فنجد ما تكون الآثار المطلوبة من الشيء باقية عند عدم الشيء فيكون عند ذلك المعلوم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعلوم اسم الموجود . . وأما اذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أظاهراً فتناله تشبيه الجهال بالأموات لأن المقصود بالحياة الإدراك والعقل فاذا عندما فقد عدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية

للموت في عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتتزل الحياة منزلة . ثم الضدان اذا كانا متقابلين الأشد والأضعف في أحد الطرفين اسم الأزيد وفي الطرف الآخر اسم الأقل . فشرط مساوى التشبيه مثلاً كل من كان أقلّ علماً وأضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصية للإنسان لا حرم كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجمد من الأقل قوة باسم الحياة فلاشرف علماً أولى بذلك لقوله تعالى «أوَمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ» هذا اذا كانا متقابلين أما اذا لم يكونا كذلك وهو أن يكونا موجودين يشتركان في وصف معقول إلا أن ذلك الوصف لأحدهما أولى فيتزل الناقص منزلة الكامل مثل قولهم فلان لقي الموت اذا كان لقي شيئاً من الشدائد لانها مشاركة للموت في الكراهية لكن الموت أولى بها فتتزل تلك الشدائد منزلة الموت لاشرافها في المكروهية وعلى هذا قوله تعالى « وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ » (وأما الثالث) فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس وهو كاستعارة الحجة للنور الذى هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك بحاسة العين (وأما الرابع) فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره في باب التشبيه إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الاقسام الأربعة إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعبور الفصاحة وأجناس التجنيس . أما ما جاء فى الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمعقول فأيات كثيرة . منها قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » اذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط ولكنه فى النار يقوى . وفى هذه الآية ثلاث فوائد أخر غير الاستعارة (الفائدة الأولى) أنه سلك فى الآية طريق ما أسند فيه الشيء الى الشيء وهو شيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر ما أسند اليه

ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبيناً ان ذلك الاسناد الى ذلك الأول
انما كان من أجل هذا (الفائدة الثانية) بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم طاب
زيد نفساً وتصبب عرقاً وأشباههما فيما تجدد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك
الشيء من سببه فانما نعلم أن الاشتغال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن
طاب للنفس وتصبب للعرق وإن أسند الى ما أسند اليه والدليل على أن شرف هذه
الآية بسبب ذلك أننا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل الى الشيب صريحاً فقلنا
اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس لانتفا ذلك الحسن . فان قلت فما السبب فى
ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل . فقون السبب
فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعمه بجملة
حتى لم يبق من السواد شيئاً الا القليل فهذه الفائدة لا تحصل اذا قيل اشتعل الشيب
فى الناس لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه . بيانه أنك تقول اشتعل النار
فى البيت فلا يفيد أكثر من اصابها جانباً . ومثاله من التنزيل قوله تعالى « وفجرنا
الارض عُيوناً » فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الارض ليفيد
أن الارض بالكلية صارت عيوناً (الفائدة الثالثة) تمعية الرأس بالالف واللام
وإفادة معنى الاضافة من غير الاضافة وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل واشتعل
رأس لذهب الحسن . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وتركنا بعضهم يمجج فى
بعض » أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله
عز وجل « والصبح اذا نفَسَ » للظهور . . وأما استعارة المحسوس للمحسوس
لشبه عقلى فكقوله تعالى « اذ أرسنا عليهم الريح العقيم » المستعار ليه الريح
والمستعار منه المرأة العقيم والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة . ومنه قوله تعالى
« وآية لهم الليل نساخ منه النهار » المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلده والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على
الآخر . ومنه قوله تعالى « فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالامس » أصل الحصيد
للنبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله « خامدين » أصل الخلود للآدم . ومنه

قوله تعالى « وإنه في أم الكتاب » وهو أفصح من أن يقال في أصل الكتاب . . وأما استعارة المحسوس للمعقول فكقوله تعالى « بل قَذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ » فالقذف والدمغ مستعاران . ومنه قوله تعالى « ضُربَتْ عليهم الذلة أينما نَقَفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » . ومنه قوله تعالى « فبذروه وراء ظهورهم » . ومنه قوله تعالى « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » وكل خوض ذمه الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء . ومنه قوله تعالى « فاصدَحْ بما تَوْمَرُ » استعارة لبيان عما أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند الصداعها . ومنه قوله تعالى « أَقْنِ أَسَسَ بِنِيَانِهِ » البنيان مستعار وأصله للحيطان . ومنه قوله تعالى « وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا » العوج مستعار . ومنه قوله تعالى « لَنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار . ومنه قوله تعالى « فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا » . ومنه قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » الوادي مستعار وكذلك الهيمان وهو على غاية الافصاح . ومنه قوله تعالى « قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » جعل للسموات والأرض قولاً وطاعة . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَقْلِكَ » الآية . . وأما استعارة المعقول للمعقول فنه قوله تعالى « مَنْ بَشَرًا مِنْ مَرْقَدِنَا » استعار الرقاد للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الافعال . ومنه قوله تعالى « وَلَمَّا نَسَكَتْ عَنْ مَوْسَى الْغَضَبَ » والسكوت والزوال أمران معقولان . . وأما استعارة المعقول للمحسوس فنه قوله تعالى « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَانًا كَمْ فِي الْجَارِيَةِ » المستعار منه التكبر والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى « وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ » والعنوا هاهنا مستعار . ومنه قوله تعالى « تَكَادُ تَبْكُونَ مِنَ الْغَيْظِ » فالغَيْظُ الغَيْظُ مستعار . ومنه قوله تعالى « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً » وهو أفصح من مضيئة . ومنه قوله تعالى « حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » هذا الذي اختاره الامام نحر الدين ومن قبله من المحققين . . وقال قوم الاستعارة على قسمين . الاول ان يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شئان في وصف واحد أحدهما أقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق

ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً وعنت لناظية وأنت تعنى امرأة ونحىه الاقسام الاربعة وقد تقدمت • الثاني أن تعتمد لوازمه وهو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت بكماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء في المستعار له بمبالغة في اثبات المشترك ويسمى استعارة تخيلية كقول لبيد

وغداة ربح قد وزعتُ وقرّةٍ إذ أصبحتُ بيدِ الشمالِ زمامها
استعار اليد للشمال وليس هناك مشاراً اليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الغداة في تصريف الشمال على حكم طبيعتها كالإنسان المتعريف في بعيره وزمامه ومقادته في يده وتصرف الإنسان إنما يكمل باليد فأثبت لها اليد تحقيقاً للغرض وحكم الزمام في الاستعارة للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال • وكذلك قول تأبطشراً نصف سيفاً

إذا هزّه في عظم قرن تهائم نواجذ أفوام المنايا الضواحك
لما شبه المنابا عند هزه السيف بالمسرور وكال الفرع والسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهائل فيه النواجذ لاجرم اثنته تحقيقاً للوصف المتصود والا فاقيس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ • وكذلك له في الحماسة

سقاء الردى سيف إذا سل أو مضت اليه ثنانيا الموت من كل مرقد
• • ومن ذلك قوله تعالى « وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع في نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شيء تمكن الإشارة اليه تتناوله في حال المجاز كما يتناوله في حال الحقيقة • • وقال ابن الاثير تقسم الاستعارة الى قسمين • الأول يجب استعماله وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسب ولنضرب له أمثلة يستدل بها عليه • فن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الليل نساخ منه النهار » وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لاعلى حقيقة المعنى لان الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينساخ أحدهما من الآخر إلا أنهما في رأى العين كأنهما كذلك - والناسخ - يكون في الشيء الملتحم به بعضه ببعض فلما كانت

هو ادى الصبح عند طلوعه كالمثلحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك
لائقاً في بابه وهو أولى من قوله يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم .
الخراج . الثاني ما لا يجب استعماله وسيأتي بيانه . . وقال قوم الاستعارة على سبعة
أقسام . الأول الاستعارة للمناسبة وهي على أربعة أقسام كما تقدم . الثاني الاستعارة
التخييلية وقد تقدم بيانها . الثالث الاستعارة المجردة . الرابع الاستعارة المرشحة .
الخامس الاستعارة البديعة . السادس الاستعارة القبيحة . السابع الاستعارة في
الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنبين الباقي إن شاء الله تعالى (الوجه الرابع)
من التقسيم الأول في اشتقاقها وهي مشتقة من المارية التي حقيقتها في الاجرام ولهذا
قال ابن الاثير الاستعارة هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الافصاح بالتشبيه واطهاره
وتجئ على اسم المشبه به فتعبر به عن اسم المشبه تجريه عليه كقولك رأيت رجلاً هو
كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً والسين التي
في الاستعارة ليست سين الالتماس والطلب التي هي في قولهم استعان اذا طلب المعونة
واستجار اذا طلب الجيرة وانما هي كالتي في قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم » . وكقول
الشاعر
* فلم يستجبه عند ذاك بحبيب *

(الوجه الخامس) فيما تصح منه الاستعارة وفيما لا تصح . . قال الامامُ نضر الدين وجاعةُ
من المحققين إن الاسماء على ثلاثة أقسام . اسماء أعلام . واسماء مشتقة . واسماء أجناس . .
فأما الاسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة في
الاستعارة وهي غير معتبرة في الأعلام . . وأما الاسماء المشتقة فالاستعارة أيضاً لا تدخلها
دخولاً أولياً وهل تتحقق في الفعل أم لا . فتقول الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر
لشيء في زمان معين فالاستعارة تقع أولاً في المصدر بواسطة ذلك في الفعل فاذا قلت
نطقت الحال وهذا انما يصح لان الحال مشابهة النطق في الدلالة على الشيء فلا جرم
استعير النطق لتلك الحالة فالاستعارة أولاً واقعة على المصدر بواسطة في الفعل فإذا
الاستعارة في الحقيقة ليست إلا في المصدر فاذا عرفت ذلك تبين لك أن الاسماء المشتقة
أيضاً كذلك فإن الاسم المشتق هو الذي يدل على ثبوت المشتق منه شيء مع عدم

الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء الاجناس . . . وتاخيص هذا الكلام أن المعنى يستعار أولاً بواسطة استعارة اللفظ وأن الاستعارة تقع في المصدر ثم بواسطة الفعل واستعارة الفعل أما من جهة فاعله كقولك نطقت الحال بكذا ولصبت به الهموم وأما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

مَجِيعَ الْحَقِّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْجَوْعَ وَأَحْيَا السَّامِحَ

أو من جهة مفعوله كقول القطامي

نُقْرِئُهُمْ لِهَذِهِمَيَّاتٍ نَقْدُهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِ أَكْلُ زَرْعَادٍ

أو لكليهما كقول الحريري

وَأَقْرَأِ الْمَسَامِحَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحُرُونَ الشَّمُوسَا

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى « يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ » . . . وقال ابن الأثير في جامعہ اعلم أن الاستعارة قد جاءت في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليونا. ولقيت صما عن الخير. وأضاء الحق. إلا أنه قد استعمل الضرب الثاني الذي ذكرناه وهو قولنا - زيد أسد - في باب الاستعارة وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري والغامدي وأبي محمد بن سنان الخفاجي في تصنيفاتهم في باب الاستعارة ولم يذكروا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ فما أعلم هل ذلك خلفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم واستئنانا بسننهم لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه فاعرف ذلك (الوجه السادس) الاستعارة التخيلية وقد تقدم الكلام فيها ونزيد ذلك وضوحا وهو أن علماء البيان قالوا إن أكثر الآيات التي يتمسك بها أهل التشبيه من هذا فمنها قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ » اثبات الجناح للذل استعارة تخيلية . . . روى أن أبا تمام لما نظم قوله (هو حبيب بن أوس الطائي)

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَانِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

جاءه رجل بقصعة وقال اعطني قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام لا أعطيكه حتى تأتيني

بريشة من - جناح الذل - فأغرم الرجل • ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « سنفرغ لكم أيها الثقلان » • ومنه قوله تعالى « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » • ومنه قوله تعالى « إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ » • ومنه قوله تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً » وفي القرآن العظيم من ذلك كثير (الوجه السابع) الاستعارة المجردة وهي أن تنظر الى المستعار من غير نظر الى غيره كقوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » وكقول زهير

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مَقْدَفٌ *

لو نظر الى المستعار منه لقال - فكساهم الله لباس الجوع - ولقال زهير - لدى أسد وافي الخالب. أو وافي البرائن - (الوجه الثامن) الاستعارة المرشحة وهي أن تنظر الى جانب المستعار فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه مثل قول كثير * رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ السَّكْحُلُ لَمْ يَضِرْ *

وقول النابغة

* وَصَدْرِي أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبَ كَهْمِهِ *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظوريه في لفظي - السهم. والعازب - (الوجه التاسع) الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير (الوجه العاشر) الاستعارة القبيحة وليس في الكتاب العزيز منها شيء وأما في أشعار العرب وغيرهم فكثير • • ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام

سَبْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرِّ نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ الثِّينِ وَالْعَنْبَرِ

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن وقد روى في غير هذه الرواية - نضجت جلودهم قبل - وعلى هذه الرواية ليس في البيت استعارة قبيحة فان القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما تنضج الثين والعنب • • وكذلك قوله

* أَيَا مَنْ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمٍ فَأَدْخَلَ *

أقام - أدخل - مقام أنفذ • وفي رواية - فأقصدا - وفي رواية - فأنفذا - فعلى

من روى فأقصدا وأنفذا فهي استعارة حسنة . . وما يزيد الاستعارة حسناً وهو أصل في هذا الباب أن يجمع بين عدة من الاستعارات قصداً للاحاق الشكل بالشكل لاتمام التشبيه كقول امرئ القيس في وصف ليل طويل

فقلتُ له لَمَّا تَمَطَّى بِصَابِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَأَكْلِ

لَمَّا جَمَلَ لَيْلٍ صَلْباً قَدْ تَمَطَّى بِهِ بَيِّنَ ذَلِكَ فَجَعَلَ لَهُ كَلَكلاً قَدْ نَاءَ بِهِ فَاسْتَوَى جِلَّةَ أَرْكَانِ الشَّخْصِ وَرَاعَى مَا يَرَاهُ النَّازِرُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ (الوجه الحادى عشر) الاستعارة بالكناية وبيان ما تنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة . . أما الاستعارة بالكناية فهي اذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه كقول أبى ذؤيب واذا النِّمَّةُ أَنْشَبَتْ أَنْظَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فكأنه حاول استعارة السبع للعنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهاً بها على المقصود (الثانى عشر) ما تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة وهو أن يذكر لفظاً يوهم به أن الاستعارة أصلاً كقول أبى تمام

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنُّ الْجُهوُ لُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

لَمَّا اسْتَعَارَ الْعُلُوَّ لَزِيَادَةِ الْعُلُوِّ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ ذَكَرَهُ ذِكْرَهُ مِنْ يَذْكُرُ عُلُوَّ مَكَانٍ . . وكقول ابن العميد

قَامَتْ تُظَلِّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسُهُ أَعَزُّ عَلَى مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسُهُ تُظَلِّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه كقوله

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَا غِلَالِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

وهذا إنما يتم بالحكم الجدي بكونه قرأ ليكون من شأنه أن يبلى الكتان (الوجه الثالث عشر) شروط الاستعارة الكاملة . . قال ابن الاثير لا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء . مستعار . ومستعار منه . ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل الى فرع للابانة والمستعار منه والمستعار له انفظان حمل أحدهما على الآخر فى معنى من المعانى هو حقيقى للمحمول عليه مجازى للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى « واشتعل الرأسُ شيباً » فهذا

مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل من الاصل الذى هو النار الى الفرع الذى هو الشيب قصداً للإبانة وأما المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتعال له مجاز

— القسم الحادى والعشرون —

التشبيه والكلام عليه من وجوه

الاول هل هو من المجاز أو لا • • الثانى بيان الغرض بالتشبيه • • الثالث فى حده • • الرابع فى معرفة الاشياء التى يكون منها التشبيه • • الخامس فى أقسامه • • السادس فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة • • السابع فى تشبيه الشئين بالشئ الواحد • • الثامن فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه • • التاسع فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسناً الا به • • العاشر فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز • • الحادى عشر التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات • • الثانى عشر الفرق بين الاستعارة والتشبيه (أما الاول) فالذى عليه مجبور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه • • وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها الى أن التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضماً كان الكلام حقيقة أو مجازاً فاذا قلت زيد كالأسد • • وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة • • وله رأى كالسيف فى المضاء • • لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً (وأما الثانى) فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الابدحار والاختصار والدليل على ذلك قولنا - زيد أسد - فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا إننا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جملناه شبيهاً بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أن كشف

وأين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرى الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به فانه معروف بها مشهور بكونها فيه (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حد فقال قوم حده أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به... وقال قوم حده الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يمسد مسد الآخر وينوبُ منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً أما الحقيقة فهو أن يقال في شيئين أحدهما يشبه الآخر في بعض أوصافه كقولنا زيد أسد فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغة إلا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة (وأما الرابع) فقال المحققون من علماء هذا الشأن الأشياء التي يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة اضافية • فأما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جثمانية أو نفسانية والأول لا يخلو إما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة فإن كانت محسوسة فاما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانياً والمحسوسات الأول هي مدركات السمع والبصر والشم والذوق واللمس • فلاشتراك في الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالحد لاشتراكهما وكذلك تشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل • والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرجل بأصوات الفراريح في قول الشاعر

كأن أصوات من يغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريح

التقدير - كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريح من يغالهن بنا - فصل بين المضاف والمضاف إليه • والاشتراك في كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر • والاشتراك في كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز والحريز والخشن بالمسح من الشعر هذا إذا كان فيه الاشتراك محسوساً أولاً • أما إذا كان محسوساً ثانياً • فالمحسوسات الثانية هي الاشكال • والمقادير • والحركات • والاشكال إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك في الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقذ بالقضيب والفصن • وإن كان الاشتراك في الاستدارة فكتشبيه الشيء المستدير بالكرة تارة وبالحلقة أخرى • وإن كان الاشتراك في المقادير فكتشبيه عظيم الجنة بالجبل والفيل

وان كان في الحركة مع اعتدال الاستقامة فكتشبيهه الزاهب على الاستقامة بنفوذ السهم
وأما اذا كان الاشتراك في كيفية جثمانية غير محسوسة فهو كالاشتراك في الصلابة .
والرخاوة . وأما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية فهو كالاشتراك في الغرائز والاخلاق
مثل الكرم . والعلم . والقدرة . والتلى . والذكر . والفطنة . والنيقظ والمعرفة .
وأما اذا كان الاشتراك في حالة الاضافية لافي كيفية حقيقية فهو مثل قولك هذه حجة
كالشمس - فاشتراكهما ليس في شيء من الكيفيات الحقيقية ولكن في أمر إضافي
وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . . ثم ان هذه الاضافات قد تكون جلية او قد
تكون خفية وربما يباغ الجلي في القوة الى أن يقرب من القسم الاول . مثال الجلي
تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم في صفة الكلام ألفاظ كالماء في السلاسة .
وكالنسيم في الرقة . وكل عسل في الحلاوة . يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حر وفه تنافرأ
يقتل على اللسان ولم يكن غريباً محوشياً بل كان مألوفاً ثم ان القلب يرتاح له والنفس
تشرح به فاسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسوغ في الحلق وكالنسيم الذي
يسرى في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة ولأجل اهتزاز^(١) النفس به أشبه العسل الذي
يلذ طعمه ويميل الطبع اليه . . هذا المثال أشد حاجة الى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس
ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم وأما المتوغل في البعد عن الطبع وشدة الحاجة الى
التأويل فكقول من ذكر بنى المهلب هم كالحلقة المفرغة لايتهى طرفاها الا ترى أنه لا يفهم
المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة . . ومن وجوه التشبيه أيضاً التشبيه
بالوجه المعقول وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس لأن تشبيه المحسوس
بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل
الاشتراك في وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعاً . مثال الأول تشبيه الخلد
بالورد . ومثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمر من الحسن الظاهر القبيح
الباطن وهو أمر عقلي . وكذلك تشبيه الرجل النبيه بالشمس فان النباهة صفة عقلية
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أحبائي كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم في أمور الأديان

كما يهتدى بالنجوم في الأيالي المظلمة فالشبه في أمر عقلي • ومثال الثالث تشبيه الشخص
الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس • وأما الأقسام الثلاثة أعنى تشبيه المعقول بالمعقول
والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلي لأن وجه
المشابهة لو كان مشتركاً بين الجانين لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه
وهو محال فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس وإذا
علم هذا وتبين الوجه الذي يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبنية منزلة على
ما قدّمناه (وأما الخامس) فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه
أربعة • الأول تشبيه محسوس بمحسوس • الثاني تشبيه معقول بمعقول • الثالث أن
يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً • الرابع أن يكون المشبه محسوساً والمشبه به
معقولاً • وقد زاد ابن الأثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الأصول وسيأتي بيانه
• • أما الأول وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم » وقوله تعالى « كأنهم أعجاز نخل خاوية » ومن شرط هذا
النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه ولا يخلو إما أن
يكون اشتراكهما في الذات واختلافهما في الصفات وأما أن يكون بالعكس • فالأول مثل
تشبيه العدو بالطيران لأنه ليس الاختلاف بينهما إلا بالسرعة وبالبطء • والثاني كتشبيه
الشعر بالليل والوجه بالنهار • • وأما القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه
الموجود العاري عن الفوائد بالعدم أو تشبيه النسيء الذي تبقى فوائده بصد عدمه
بالموجود • ومنه قول الشاعر

فَرَحْتُ وَأَمَّالِي كَحُطًى كَوَاسِفُ وَعَزَمِي بِحَاكِي سَعِيَةٍ فِي الْمَكَارِمِ

• • وأما القسم الثالث الذي هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى « والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » • وقوله « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » • وقوله تعالى « مثل الذين كفروا ببرهم أعمالهم كرماد
اشتدَّتْ به الريح في يوم عاصف » وأيضاً مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذي هو
محسوس بالبصر وليس لأحد أن يقول الحجة أيضاً مسموعة • قلنا المفيد هو المعاني العقلية
(٨ - فوائد)

الحاصلة في الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السرى ولو سعى فربما دُفع الى الهلاك فتزدى في أهوية ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسط . . . وأما القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز وكذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس في الظهور كالحجة والمسك في الطيب كخلق فلان كان سُخفاً من القول مع أنه قد ورد في الكلام النصيح وأشعار العرب والمتأخرين

منه ما لا يحصى . فن ذلك قول بعضهم

وكان النجوم بين دُجَاهَا سنن لآحَ ينهن ابتداعُ

.. وكقول بعضهم

ولقد ذكرك والظلامُ كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

.. وقول بعضهم

كأنَّ أبيضاض البدر من تحت غيِّه نجاة من البأساء بعد وقوعه

.. وقول التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر الحر كيف اصاع مُنطاقا

فانقض بنار الى غم كأنهما في العين ظلم وانصاف قد انفقا

جاءت ونحن كقلب الصَّب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصَّب إذ عشقا

.. وقال آخر

رُبَّ ليلٍ كأنه أُملى فيسك ودرُحْتُ غنك بالحرمانِ

.. وقول صاحب حين أهدى العطر الى القاضي أبي الحسن

يا أيها القاضي الذي نفسى له في قُربِ عهدٍ لقائه مُشتاقه

أهديتُ عطراً مثل طيبِ نثائه فكأنما أهدى له أخلاقه

ومثل هذا في أشعارهم كثير لا يحصى والذي يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن

هذه الاشياء المعقولة لتقررهما في الذهن وتخيّلها في العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبه به . ومن هذا قوله تعالى « طَلَمَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » ولهذا قال امرؤ القيس يُشبه نصول الرماح

* ومسنونة زُرُقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ *

فاتهم وان كانوا لم يُشاهدوا القول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى في أنيابها غاية الحدة حسن التشبيه والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه . الأول ان أكثر الغرض من التشبيه التخيل الذى يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في مقتضاها . الثالث أن المشابهة في الصفة قد تبلغ الى حيث يتوهم أن أحدهما الآخر . وأما المشابهة في مقتضى الصفة لا تبلغ الى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل في نفس الذائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول في نفس السامع . . وأما القسم الخامس فقال ابن الاثير ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شئ الا والغرض به المبالغة . . فما جاء من ذلك قول ذى الرثمة

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَدَا رَمَى قِطْعَتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمِظْلِمَاتِ الْحَنَادِيسَ

.. ومثل ذلك قول بعضهم

في طاعة البذر شئ من ملاحظتها وفي القضيّب نصيب من تنبها

والغرض بهذا النوع المبالغة في وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً (وأما السادس) في أدوات التشبيه فأدواته أسماء وأفعال وحروف . أما الاسماء فمثل يسكون الثاء وتحريكها وشبه يسكون الباء وتحريكها وأشباه ذلك . وأما الأفعال كحسبت وخلت ويحسب ويخال ونظائرهما . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف اليها ما يجرى مجرى ذلك وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . أما الأسماء فقال الله تعالى

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » • وقال تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيهاصر » • وقال تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » وقال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » • وقال تعالى « جزاء مثل ما قتل من النعم » • وقال تعالى « وأوتوا به متشابهاً » • وقال تعالى « إن البقر تشابه علينا » وفي الحديث الصحيح فن أين يكون الشبه والشبه • وأما الأفعال فكقوله تعالى « يحسبه الظمان ماء » • وقال تعالى « يحيل اليه من سحرهم أنها نسى » • وأما الحروف فكقوله تعالى « كالذي ينفق ماله رثاء الناس » • وقوله تعالى « كما دأبت آل فرعون » وأما - كأن - فكقوله تعالى « كأنه رؤس الشياطين » وفي القرآن من هذا كثير • وأما في كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشيء كثير أضربنا عن ذكره لكثرة وشهرته • • وقال ابن الأثير وقد وقع في القرآن العزيز التشبيه بغير أداة في مواضع كثيرة • منها قوله تعالى « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » • وقوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وهو أبلغ في التشبيه • قال جمهور علماء هذا الشأن التشبيه يكون بأداة تارة وتارة بغير أداة لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لان قولنا - زيد أسد - يعطى ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد انه أسد وذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر وإذا قلنا - زيد كأنه أسد - فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مخفياً في الاول فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالاسد والاول كان قد جعل هو الاسد وحرف التشبيه يقدر فيه تقديرأ فن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقمأى النفس • وأما كونه أوجز فلا ن قولنا - زيد أسد - أخص من قولنا - زيد كأنه الأسد - وان كان المعنيان سواء (وأما السابع) في تشبيه الشئين بالشئ الواحد اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان قالوا أصل التشبيه أن يشبه شيئاً بشئ وقد يشبه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لان المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة غيره ثم يشبههما بشئ آخر كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى

وقد وقع تشبيه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لانه لا يخلو الشئان في تشبيه أحدهما

بالآخر من ثلاثة أقسام • اما تشبيه معنى بمعنى • واما تشبيه معنى بصورة • واما تشبيه صورة بصورة وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام • إما تشبيه مفرد بمفرد • واما تشبيه مركب بمركب • واما تشبيه مفرد بمركب • فأما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البحترى

بِسْمِ وَقُطُوبٍ فِي نَدَى وَوَعَى كَالغَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
• ومنه قوله تعالى « وآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَاخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَثَلَّى كَمَثَلِ الْكَلْبِ » الآية • واما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا تَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ » الى قوله « كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ » الآية • فشبه حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبدع ما يجي في هذا القسم • ومثله في حق المنافقين « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتقى ما يخاف وأمن فيما هو كذلك اذ طفئت ناره بقي مظلماً خائفاً متحيراً وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمة • ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى - عقب ذلك بهذا التمثيل مثل هداهم الذي باعوه بالنار المضئة ماحول المستوقد - والضلالة - التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ثم قال الله - صم بكم عمى - كانت حواسهم سليمة لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاغة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به بألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جملوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم - ليوث - للشجران - بحور - للكرام • وبعض علماء هذه الصناعة يجمعون ما كان على مثال قوله تعالى « صم بكم عمى » استعارة وليس كذلك لأن المستعار مذكور

• • ومن هذا القسم قول الشاعر
بكيت عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المسكدر
ومنه قول المتنبي

كأن الجفون على مقلتي ثياب شقين على ناكل

• • وأما تشبيه المفرد بالمركب فمن ذلك قول بعضهم

كأن السهى انسان عين غريقة من الدمع يندو كلما ذرفت ذرفاً

(وأما الثامن) في ذكر ما يحسن به موقع التشبيه • • قال أئمة هذا الشأن ان كثرة التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل في التشبيه من غيرها لانها عقلية • مثال ذلك قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الى قوله « كأن لم تكن بالأمس » وهذه فيها عشر جل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة واحدة وهي مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلًا يمكن أن يشار إليها واحدة واحدة ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض فانك لو حذفته منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمغزى من التشبيه • • وقد يقع من التشبيه ثمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه وهي كل جملة جمعت أغراضاً كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ولهذا النوع خاصيتان • الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت زيد كالأسد بأساً • والبحر جوداً • والسيف مضاً والبدر بهاء - لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاماً مخصوصاً وهو كقول بعضهم

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدرٌ حسناً وتسم علواً وحسامٌ حزمًا وبحر نوالا

• • الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لو وجدت المعنى في تشبيهك بالماء في الصفاء والمسل في الخلاوة باقياً على حاله • وقد وقع في بعض الاشعار ما يظن أن فيه تمسيهات مجموعة وليس كذلك ل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رَجَوْها أقشمتْ ونجحتْ
(وأما التاسع) فهو في الشرط الذي لا يكون التشبيه حسناً الا به وهو أن يكون
التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن اليه والى ادراكه ولا يحتاج الى اطالة فكرة
ولا امعان نظرفان الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور مزية المشبه بحسن
حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرأة في كف الأشمل
وكتشبيه البرق بأصبع السارق في قول بعضهم

أرقتْ أم نمتَ لِضوءِ بارقٍ مُؤتلقاً مثلَ الفؤادِ الخافقِ
كأنه لِأصبعِ كَفِ سارقِ

(وأما العاشر) فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . فأما الذي لا يجوز عكسه
فكل تشبيه كان الغرض به الحاق الناقص بالزائد مبالغة في اثبات الحكم للناقص فهذا
يتمتع عكسه وهو كما اذا شبهت شيئاً أسود بما هو الاصل في شدة السواد كخافق الغراب
والقار امتنع فيه العكس لان تنزيل الزائد منزلة الناقص تصاد المبالغة في الاثبات . وأما
الذي يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس
مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل وقوع
منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالاضافة الى السواد
وكذلك تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة والدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا
حسن مقبول وان عظم التفاوت بينهما لا يكلف لم تضع التشبيه على مجرد اللون وانما قصدت
الى مستدير يتلأأ ويانع ثم خصوص جنس اللون الموجود في المرأة المجلوة والدينار
للتخلص من حمى المسبك يوجد في الشمس فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجزم
عظيم أو صغير فما لم يتعرض له وعلى هذا خرج قوله تعالى والله نور السموات والارض
مثل نور كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الآية
فانه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره
وبين نور هذه الزجاجة اذ لامنا سبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذي ينعكس بل
الذي يتعين عكسه (وأما الحادي عشر) في الهيئات التي تقع عليها الحركات فهي عنده

أرباب هذا العلم على قسمين . أحدهما أن تعرف تغيرها من الاوصاف كالشكل واللون
 . الثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها . . فن الاول قول ابن المعتز
 والشمس كالمرآة في كفت الأثل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها في للشمس اذا أنعمت
 التأمل ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة
 دأمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون
 المرآة في يد الأثل لان حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة وبدوام الحركة يتموج
 نور المرآة وتلك حال الشمس لانك ترى شعاعها كأنه يهيم أن ينبسط حتى يفيض من
 جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي تراه الى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب
 الدائرة الى الوسط . وقد ملح هذا المعنى ابن سناء الملك في أبيات عجا فيها الشمس
 قال فيها

لا كانت الشمس فكم أصدأت صفحة خذ كالبحام الصقيل
 وكم صدت بوادي الكرى طيف خيال زارني من خليل
 تكذب في الوعد وبرهانه أن سراب الفقر منها سليل
 وتحسب الهر محسماً فترتا ع وتحكى فيه قلب الدليل
 وما يشبه التشبيه الاول وان صور في عين المرآة قول المهذب بن أبي صفرة الوزير

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
 كأنها بوقفة أحميت يحول فيها ذهب ذائب
 وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوقفة على النار فانه يتحرك فيها حركة على
 الحد الذي وصفت لك وما في طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الاتصال
 والتلاحم يمنعه أن يقع فيها غايان كما في الماء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً وجماته كأنها
 تتحرك بحركة واحدة ويكون فيهما ذكرناه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض
 ومنها قوله

كان في غدرانها حواجبا

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ثم إنك تراها تمتد امتداداً ينقص من انحناؤها وتحدبها وكأنها تنتقل من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شئء بالحواجب اذا بدت . والثاني ما يكون التشبيه في هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها وهناك أيضاً لابد من اخلاط حركات كثيرة في جهات مفترقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب في الهيئة المتحركة أكثر . وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الاخطل في وصف مصلوب

كأنه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع الى توديع مُرتحل
أو نائم من ناس فيه لوته مواصل لتطيه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه مقط من ناس واقتصر عليه كان قريب التناول . وقد وقع في القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فن ذلك قوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ » . وقوله « يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » . وقوله تعالى « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ » شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضاً وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المختطف وشبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بعضه على بعض وكذلك السكون . ومنه قوله تعالى « وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا - وَالرَّهْوُ - الساكن نبيه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها تقول العرب جاء الخيل رهو أي ساكنة فشبه البحر بها وذلك أنه قام فرقاها ساكنين فقال موسى عليه « صلاة و » سلام دع البحر ساكناً ماؤه كما أخبر الله سبحانه ونعالي « فَأَوْحِنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » . (وأما الثاني عشر) فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه . ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيان وفرق الخذاق وقالوا إن التشبيه حكم إضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت أسداً - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبهه بالأسد ولو كان تشبيهاً لتعين أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد ولم يكن غرضك في قولك زيد أسد إلا المبالغة (٩ - فوائد)

في مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً والاستعارة لا تحتاج الى أداة فانك اذا قلت - لعبت به يد الصبا - لم يكن كقولك - فلان له خلق كالصبا - .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه فانك اذا قلت - زيد أسد - أوجز من قولك - زيد في بسالة الأسد - فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة

﴿ فصل ﴾

ومنها التمثيل .. قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض ببعض وهو قريب من الاستعارة ومنه في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » . وقوله تعالى « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الآية . ومن ذلك قوله تعالى « فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ » . وقوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » الآية ومثله في القرآن كثير .. ومن هذا النوع المثل السائر ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعماله على أن الثاني بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعبنة انها بمنزلة من قيل له هذا القول والأمثال كلها حكايات لا تغير وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتباً وشرحوا معانيها واخوض في ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الاكثار .. ومن الامثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى « ليس لها من دون الله كاشفة » . وقوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّاً السحاب » . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » .. ومنه في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الآن حمى الوطيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فاه بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدّمن . وفي غصون كلامه صلى الله عليه وسلم من هذا كثير .. وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما في البيت مثل واحد ومنها ما في البيت مثلاً ومنها

ما فيه ثلاثة ومنها ما فيه أربعة ومنها ما فيه خمسة ومنها ما فيه ستة .. فأما ما فيه
مثل واحد فكقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسناء لم يُغله المهز
.. وقول أبي تمام

قلو صورت نفسك لم تردها على ما فبك من كرم الطباع
.. ومما جاء من الشعر فيه مثلان قول بعضهم

الله أنجح ما طابت به والبر خير حقيقة الرجل
في كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير محتج الى صاحبه .. ومنه قول الحطيئة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
.. وقول أبي فراس

ومن لم يوق الله فهو مضيع ومن لم يعز الله فهو ذليل
.. وقول المتنبي

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان يثبت العز طيب
.. وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبي سلمى
وفي الحلم إدهان وفي العفو ذلة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
.. وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب

قالهم فضل وطول العيش منقطع والرزق آت ورزق الله منتظر
.. وأما ما فيه خمسة فكقول الشاعر

خاطر نقذ وارتمت تجذواكروم نسذ وانقذ نقذ واصغر تمذ الأكبرا
.. وأما ما فيه ستة فكقول ابن اللبانة الأندلسي

به أحقل واستطل أصبر وعز أهن وول أقبل وقل أسمع ومزأ طع
- والمثل - جمعه أمثال وسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الاسان أى شاخص يتأسى
به ويتعظ ويخشى ويرجو والشاخص المنتصب وهو من قولهم طلل مائل أى شاخص
وهذا رسمه اللغوى والذي تقدم فى أول الباب حده الصناعي

القسم الثاني والعشرون

من المجاز

الابجاز والاختصار

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بحذف (فأما الوجيز) بلفظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه الى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة والملاكمة فى البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصور . .
أما المقدر فكأنه تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، أمر الله فى أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ونهى فى وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ووعظ فى آخرها وذكر جمع فى هذه ضروباً من البيان وأنواعاً من الإحسان فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالانف واللام التى هى للاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروره وجمع فيها بين الطباق اللفظى والطباق المعنوى أما اللفظى فى قوله : إن الله يأمر وينهى . . وأما المعنوى فى قوله : العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى . . وقوله : الفحشاء والمنكر والبغى . . فإن الثلاثة الأولى آخر أضداد الثلاثة الأولى لأن الثلاثة الأولى من الفهل الحسن والثلاثة الأواخر من التميميح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية ثم بين خصوصية ذوى القربى باعادة الإيضاء عليهم والإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالإحسان لأنه مندوب اليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذى القربى ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهى بالواو ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره ثم ختم ذلك كله بأمر مستحسنه ودعاً الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا

وأشتات من الاوامر والنواهي والمواظط والوصايا مالو بث في اسفار عديدة لما اسفرت
 عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها - كان من لا يشبه خلقه ذاتاً ولا
 كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات
 كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الاعجاز فيها مثل قوله تعالى «فأما
 تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء» وقوله تعالى «ومن يطع الله ورسوله
 ويخش الله ويتقه فؤاذلك هم الفائزون» وقوله تعالى «من كفر فعليه كفره»
 وقوله تعالى «قتل الانسان ما أكره» ومن ذلك في السنة كثير كقوله صلى الله
 عليه وسلم الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات وكقوله الضعيف أمير الركب يعني أنه
 ينبغي متابعتها في السير كما ينبغي متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك في قوله صلى الله
 عليه وسلم سيروا سير أضعفكم ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته
 وشهرته أغنت عن ذكره (وأما المقصور) فلما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه
 لاحتمال لفظه معان كثيرة أو لا يكون كذلك . الثاني كما في قوله تعالى «خذ العفو
 وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وكذلك قوله تعالى «أولئك لهم الأمن وهم
 مهتدون» وكقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة» وهذا أحسن من قولهم القتل
 أنفي للقتل لوجوه سبعة . الاول أن قولهم القتل أنفي للقتل في ظاهره متناقض لانه جعل
 حقيقة الشيء منافية لنفسه وان قيل ان المراد منه ان كل واحد من افراد هذا النوع
 ينفي غيره فهو أيضاً ليس أنفي للقتل قصاصاً بل أدعى له وانما يصح اذا خصص فقيل
 القتل قصاصاً أنفي للقتل فيصير كلاماً طويلاً مع أن التقييدات بأسرها حاصلة في الآية .
 الثاني أن القتل قصاصاً لا ينفي القتل ظلاً من حيث انه قتل بل من حيث أنه قصاص
 وهذه الجملة غير معتبرة في كلامهم . الثالث أن حصول الحياة هو المقصود الاصلى ونفي
 القتل انما يراد لحصول الحياة والتصحيح على الغرض الاصلى أولى من التصحيح على
 غيره . الرابع أن التكرار عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية . الخامس أن
 حروف - في القصاص حياة - اثنا عشر وحروف - القتل أنفي للقتل - أربعة عشر .
 السادس أنه ليس في كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع .

واحد بل ليس فيها الاسباب حقيقة متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينتص من سلاسة الكلام بخلاف الآية . السابع أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه حتى انه ربما يعلم أنه لو قتل قُتل ثم لا يرتدع وانما رادعه القوى هو إما الطمع في الثواب أو الذكر الجميل واذا كان كذلك فليس أنفي الاسباب للقتل هو القتل بل الانفي لذلك هو الصارف القوى . وقوله تعالى - في القصاص حياة - لم يجعل القصاص مقتضياً للحياة على الاطلاق بل الحياة منكورة والسبب فيه ان شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالباً . ثم لتعلم أن في هذا التذكير فائدة أخرى لطيفة وهي أن الانسان اذا علم أنه اذا قتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حي في بقي عمره ولذلك وجب التذكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك . ومثل هذا التذكير قوله تعالى « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ » وفائدة التذكير أن الحرص لابد وأن يكون حياً وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الاطلاق بل بالحياة في بعض الاحوال لا جرم جاءت بافظ التذكير . . . واعلم أن لتذكير في قوله تعالى - في القصاص حياة - فائدة أخرى وهي أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدو فيقصد قتله حتى يتمتع خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الانسان لأجل الخوف من القصاص ولما دخل الخصوص في هذه القصة وجب أن يقال حياة ولا يقل الحياة وكذلك يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى « يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ » حيث لم يكن شفاء للجميع . . . ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل معن بن زيا أيما أحب اليك دولتنا أو دولة بني أمية فقال ذلك اليك ومعناه أن زيادة هذه المحبة وتقصانها بيدك لانها على قدر احسانك . والفرق بين هذا القسم وبين المتقدم وهو أن يكون قصان اللفظ لاجل احتمال معارب كثيرة وذلك كاللفظ المشترك أو الذي له مجازات أو حقيقة ومجاز اذا

أريدت معانيه كما في قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . وكذلك قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية وأيضاً الخشوع وهو حقيقة لغوية ومن غير الناس الانقياد لصنع الله تعالى وهو مجاز . ومن ذلك قول المتنبي وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا يحتمل ثلاثة معانٍ . الأول من بات في نعماء المحسود . الثاني من بات في نعماء الحاسد . والثالث من بات في نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحاً للمدح الذي يبيت في نعمائه وبيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ ممن أعم عليه « وأما الوجيز بالحذف » فالكلام عليه من وجوه . الأول والمعنى الذي حسن الحذف من أجله . الثاني في قائمته . الثالث في شرطه . الرابع في أقسامه . الخامس في توابه . السادس فيما يقبح منه . . أما الأول فإن المعنى الذي حسن الحذف من أجله طاب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل . . وأما الثاني فقائمه زيادة لدة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتئاذ به أشد وأكثر وكان ذلك أحسن . . وأما الثالث فشرطه أن يكون في اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخلاً بالفهم وتلك الدلالة قد تحصل من أعراب اللفظ وذلك كما إذا كان منصوباً فيعلم أنه لا بد له من ناصب وإذا لم يكن طاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً وذلك كقولنا - أهلاً وسهلاً ومرحباً - ومعناه وجدت أهلاً وسالكت سهلاً وصادفت رُحباً . ومنه في القرآن كثير كقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ » على قراءة من قرأ بالنصب . وقوله تعالى « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » والتقدير أحمد الحمد أو أقرأ الحمد واحفظوا الأرحام . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » وقوله تعالى « مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ » وفي القرآن منه كثير وفي الكلام النصيح منه كثير وكثرته تفنى عن ذكره . غير أن سيوبه ذكر منه أشياء جعلها حجة في الباب . من ذلك

قول العرب - اللهم ضبعا وضبأ - أى اجعل فيها ضبعا وضبأ • وقول بعضهم حين قيل له لم أفسدتم مكانكم فقال - الصبيان بأبى - أى لم الصبيان • ومنه ما قدمناه أولا وهو أهلا وسهلا ومرحبا • وقد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى والعلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر وهذا يكون أحسن من الاول لزيادة غموضه كما فى قولهم فلان يحلّ ويربط ومعناه أنه يحل الأمور ويربطها أى ذو تصرف • وقد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقداً فقال اللفظ المحذوف إما أن يكون مفرداً أو مركباً فإن كان مفرداً فسيأتى بيانه وإن كان مركباً فإما أن يكون كلاماً مفيداً أو لا يكون كذلك فهذه ثلاثة أقسام الاول أن يكون كلاماً مفيداً وهذا أحسن والكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلا وهو على وجهين • أحدهما أن يكون المحذوف استفهاماً ويسمى ما يدلّ عليه استثنافاً وهذا إما أن يكون بإعادة اسم أو صفة أولا يكون كذلك اما الذى بإعادة اسم فكما اذا أعقب اسم من تقدّم الحديث عنه كقولنا أحسنت الى زيد زيد أحقّ بإحسانك • وقولنا - زيد أحقّ بإحسانك - جواب عن سؤال كأنه قيل وما وجه الاحسان الى زيد فقيل زيد أحقّ بإحسانك فيكون هذا السؤال محذوفاً • وأما الذى بإعادة صفة فكقولنا أحسنت الى زيد صديقك القديم هو أحقّ بذلك • نقديره وما وجه الاحسان الى زيد فتقول - لانه صديقك القديم - وهذا أحسن من إعادة الاسم لاشتراكه على سبب الاحسان • • وأما الذى ليس كذلك فكقوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » الى قوله « وأولئك هم المفلحون » فقوله - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون - استئناف وهو جواب أسؤال متدّر كأنه قيل وما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات فقيل انهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون وكذلك قوله تعالى « إني آمنتُ برَبِّكم فاسمّونِ قيل ادخل الجنة » فقوله - قيل ادخل الجنة - جواب عن سؤال كأنه قيل وما فعل بهذا فقيل قيل له ادخل الجنة وانما لم يقل قيل له لأن ذلك معلوم • وكذلك قوله تعالى « قل يا قوم اعمّوا على مكانكم » فان قرئ « فسوف تعلمون » لم يكن فيه استئناف وان قرئ سوف تعلمون كان ذلك كأنه قيل وم يكون اذا عيانا نحن على مكانتنا وحيات أنت على مكانتك

فقيل « سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه » . وثانيها أن لا يكون المحذوف استفهاماً وذلك كما اذا كان مسيئاً وقد دلّ عليه سببه كقوله تعالى « وما كنت بجانبِ القرْبى » إذ قضينا الى موسى الأمرَ وما كنت من الشاهدين « كأنه قال وما كنت من الشاهدين لما جرى لموسى عليه ولكننا أوحينا اليك وسبب هذا الوحي أنا أنشأنا قرونا الى زمانك فتطاوَلَ عليهمُ العُمُرُ أى مدة الفترة فنسى ما كان جرى فأوحينا اليك فيكون المحذوف هو السبب والمذكور الدال عليه هو سببه . وكذلك قوله تعالى « وما كنت بجانبِ الطورِ إذ نادَيْنا » . . (وأما الرابع فى أقسامه) أما أقسامه فقد تظافرت أقوال أرباب علم البيان على أن المحذوفات على قسمين حسنة وقيحة . أما القبيحة فهو أن يخلّ المحذوف بالمعنى أو يحطه عن رتبته وسيأتى بيانه . وأما الحسنة فهي على قسمين . جلّ . ومفردات . فأما الجمل فهي على قسمين . موجزة . ومطولة . . فالموجزة مثل قوله تعالى « واللّائى يَئْسَنَ من الحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدّتهنّ ثلاثة أشهرٍ واللّائى لم يحضن » تقديره واللّائى لم يحضن فعدتهن كذلك . وقد تقدم فى الفعل الذى قبل هذا من نظائره كثير والقرآن العظيم مشحون به . . وأما الجمل المطولة فكقوله تعالى « اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم » الآية . فأعقبه بقوله حكاية عنها « قالت يا أيها الملأ ائنى ألقى إلى كتاب كريم » تقديره فأخذ الكتاب فألقاه اليهم فرأته المرأة باقيس وقرأته - وقالت يا أيها الملأ - ومن ذلك قوله تعالى « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » فيه محذوف مطوّل تقديره فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قاننا له - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي » تقديره فلما جاءهم موسى ووجدهم على تلك الحالة - قال يا هرون - . ومن ذلك قوله تعالى « فلما رآهُ مُستَقِرّاً عندَهُ قال هذا من فضل ربى » الى قوله « قال نكروا لها عرشها » . ومن ذلك قوله تعالى « أفنِ شرحَ الله صدرَهُ للاسلام فهو على نورٍ من ربه » فيه محذوف تقديره أفنِ شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى (١٠ - فوائد)

قلبه وتركه على ظلمة من كفره ودل على المحذوف قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» عن ذِكْرِ اللَّهِ «وذلك في القرآن العظيم كثير جداً» (وأما المفردات) فهي ثلاثة أقسام • أسماء • وأفعال • وحروف • أما الأسماء فهي أنواع • الأول حذف الفاعل وقد اختلف في حذفه فنص على منع حذفه ابن جنى وكثير من النحويين والحق جوازه اذا وُجد ما يدل عليه كقوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» تقديره اذا بلغت الروح التراقي • ومنه قوله تعالى «حتى توارت بالحجاب» تقديره حتى توارت الشمس ومن ذلك قوله تعالى «فلما جاء سُيَامَانُ» تقديره فلما جاء الرسول سيامان • الثاني حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام • الأول حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط • ومنه قوله تعالى «هل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي هل يستوى ذو العلم ومن لا علم له • وفي مثل هذا يتعين أن لا يُعدى الفعل لفظاً ولا تقديرأ ويكون حاله حال غير المتعدي فان عديته تخصه بما تمدية اليه فينقص الغرض • ومن ذلك المحذوف من الافعال التي لها مفعول معين وحذفه لأمر • الأول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لا بيان حال المفعول • مثاله قوله تعالى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» الى قوله «فَسَقَى لَهُمَا» فحذف المفعول من أربعة مواضع إذ لو أضافه الى الغنم مثلاً لتوهم أن الإنكار انما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود كما تقول مالك تمنع أخاك • وكلُّ مَحْذُوفٍ بالمقصود ومثله قول الشاعر

هُمْ خَطَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَأَلْجَؤْنَا إِلَى حُجْرَاتٍ أَذْفَنَتْ وَأَظْلَمَتْ
أَرَادَ أَلْجَؤْنَا وَأَظْلَمْنَا وَأَذْفَنْنَا فَكَأَنَّهُ قَدْ أَبْهَمَ أَمْرَهُ وَلَمْ يَقْصِدْ شَيْئاً بَقِيَ عَلَيْهِ فُلُو
قَالَ أَذْفَنْنَا وَأَظْلَمْنَا لَكَانَ الْأَمْرُ مَخْتَصِماً بِهِمْ وَبَطَلَ الْغَرَضُ • الثاني أن يكون المقصود
ذكره إلا أنك لا تذكره ايهاً ما بأنك لا تقصد ذكره كقول البحترى

شَجَوُ حُسَّادِهِ وَغِيظَ عُدَاؤُهُ أَنْ يَرَى مُبْصَرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ
المعنى أن يرى مبصرٌ محاسنه ويسمع واع أخباره • الثالث أن يحذف لكونه مبيناً
كقولك - أَصْفَيْتُ إِلَيْكَ - أي أَذْنِي - و - أَغْضَيْتُ عَنْكَ - أي جَفْنِي • وقال

ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين . الاول حذف مفاعيل غاب حذفها على اثباتها كمفعول المشيئة والارادة في باب الشرط وباب لَوْ أو كمفعول الاقسام . فأما حذف مفعول المشيئة والارادة في باب لو وباب الشرط ففي القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى « ولو شاء الله ما اقتتلوا » تقديره ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » تقديره ولو شاء الله هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله ما فعلوه » ومثله في القرآن كثير . وقد^(١) ومنه قوله تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً من لدنا » ومنه قوله تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولدأ » . . . وقد ظهر مفعول المشيئة في

قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتُ عليك ولكن ساحة الصبر أوسعُ

• وأما حذف مفعول الافساد . فنه قوله تعالى « إن الله لا يحب المفسدين » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . وقوله تعالى « يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . وقوله تعالى « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وهو كثير . . الثاني ما يحذف لدلالة السياق عليه . فنه قوله تعالى « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » تقديره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى « وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تقديره وما يشعرون أنهم لا أنفسهم يخادعون ونحوه (ونذكر) هاهنا قاعدة ينبنى عليها حكم الفاعل والمفعول وهو أن العرب ينظرون الى مقصود الافادة في هذا الباب ونحوه فان كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا - فلان يُعطى ويمنع ويصل ويقطع . والله يحيي ويميت - لانه ليس الغرض ذكر المعطى والمنوع والموصول والمقطوع والمحي والممات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الافعال . فان كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرّضوا للفاعل كقوله تعالى

(١) كذا في الأصل . . والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الارادة في باب

الشرط وباب لو ففي القرآن منه كثير ومنه الخ

« قِيلَ الْخُرَاصُونَ » • وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » • وقوله تعالى « كُتِبُوا لِمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » • وقوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَتَبُوا » • وقوله تعالى « لِنُؤَا بِمَا قَالُوا » ليس الغرض من هذا ذكر الكابت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللعن والكبت والابسال الى المذكورين • وان تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » • وقوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » • وقوله « بَلْ لَنَنْهَسَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ » • وقوله « فَمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ » • • ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات • ومنه قوله تعالى « أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » تقديره أهذا الذي بعثه الله رسولا • وقوله تعالى « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » تقديره إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم • وقوله تعالى « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ » تقديره وما ذرأه • وقوله تعالى « وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » تقديره خلقه الله • ومنه في القرآن العظيم كثير • • الثالث حذف المضاف تارة والمضاف اليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر • • أما حذف المضاف فكقوله تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا » وكذلك « إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوجٍ وَمَآجُوجٍ » أي فتحت سُدُودَهُمْ • وربما نكرت المحذوف كما في قوله « فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ » يريد من أثر حافر فرس الرسول • • ومنه قول الشاعر

إذا قامتا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرَفُ نَقْلُ

• • وأما حذف المضاف اليه فهو أَقْلٌ استمهالا • ومنه قوله تعالى « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ » أي من قبل ذلك ومن بعده • • الرابع حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى • أما حذف الصفة فكقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد • أي لا صلاة تامة أو كاملة • وأما حذف الموصوف فأكثره في النداء والمصدر • • أما النداء ففي قوله تعالى « يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ » تقديره يا أيها الرجل الساحر • وكذلك « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا • وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » تقديره يا أيها القوم المؤمنون • • وأما المصدر فكقوله تعالى

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا » وقد يجيء في غير النداء كما في قول البهتري
في أخضر ماس على اصفر يخال في صبغته ورُس

يريد على فرس أصفر .. الخامس حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى واقامة
أحدهما مقام الآخر .. أما حذف الشرط فكقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا إن
أرضى واسعة » أى فاذا كنتم فى أرض لا تتمكنوا فيها من عبادتى فإياى فاعبدون فى
غيرها . وقوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فدية » أى فان
لم يخلق فعليه فدية .. وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى « قل أرأيتم ان كان
من عند الله وكفرتم به » معناه ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين .
وبدل على هذا المحذوف قوله تعالى « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .. السادس
حذف القسم تارة وجوابه أخرى .. أما حذف القسم فكقوله لا ضربن زيداً . أى
والله لا ضربن زيداً . وكقوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » تقديره وإن منكم والله
إلا واردها . ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يرد النار إلا تحلة القسم . ومنه
قوله تعالى « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » . وقوله تعالى « لتزبن الجمع » وهو فى
القرآن العظيم كثير .. أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى « والشفع والوتر
والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر » معناه وحق هذه لأعذب هؤلاء .
يدل على المحذوف قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقوله تعالى « ق والقرآن
المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجب » معنى
- ق والقرآن المجيد - لتبعن ويدل على ذلك قوله « أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع
بعيد » .. السابع حذف جواب - لو - وهو فى القرآن كثير . من ذلك
قوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا فلا فؤت وأخذوا من مكان قريب » . تقديره
لرأيت أمراً هائلاً ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « لو أن لى بكم قوة أو آوى الى
ركن شديد » تقديره لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « ولو أن قرآناً
سُيِّر به الجبال » تقديره لكان هذا القرآن .. الثامن حذف جواب - لولا -
كقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » تقديره لما

أُنزِلَ عَلَيْكُمْ سِتْرٌ هَذِهِ الْفَاحِشَةُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » تَقْدِيرُهُ لَعَجَلُ لَكُمْ الْعَذَابَ . وَيَدُلُّ عَلَى الْمَحْذُوفِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا تَقْدُمُهُمَا . . . النَّاسِ حَذْفُ جَوَابٍ - لَمَّا - وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأْتَى لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » تَقْدِيرُهُ كَانَ مَا كَانَ مِنْ اغْتِبَاطِهِمَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْبَلَاءِ . . . الْعَاشِرُ حَذْفُ جَوَابٍ - أَمَّا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » تَقْدِيرُهُ فَيَقَالُ لَهُمْ - أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - . . . الْحَادِي عَشَرَ حَذْفُ جَوَابٍ - إِذَا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » تَقْدِيرُهُ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أَعْرِضُوا - وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا أَيْضًا عَنْهَا مُعْرِضِينَ - (قَالَ الْمُنْصِفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) هَذِهِ الْأَجُوبَةُ الْمَحْذُوفَةُ بَعْضُهَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ حَذْفِ الْجَمْلِ وَبَعْضُهَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ الْإِفْصَالِ لَكِنْ الْأَمْتَةُ أَوْرَدُوهَا هَكَذَا فَأَوْرَدْنَاهَا كَمَا أَوْرَدُوهَا وَالتَّأَمُّلُ الْوَدْعَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ . . . الثَّانِي عَشَرَ حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ تَارَةً وَالْخَبَرُ أُخْرَى . . . أَمَّا حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ فَكَقَوْلُ الْمُسْتَهْلِ - الْهَلَالُ وَاللَّهُ - مَعْنَاهُ هَذَا الْهَلَالُ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ شَمَّ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ - الْمَسْكُ وَاللَّهُ - وَكَذَلِكَ مَنْ رَأَى شَخْصًا فَقَالَ - عَبْدُ اللَّهِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ - أَيْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ . وَحَذْفُ الْمَبْتَدَأِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَثِيرٌ . مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » - تَقْدِيرُهُ فَقَالُوا - هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ - وَمِنْهُ « إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ » . وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . . . وَأَمَّا حَذْفُ الْخَبَرِ فَكَقَوْلُ بَعْضِهِمْ - خَرَجْتُ فَإِذَا السَّبْعُ - تَقْدِيرُهُ قَامْتُ أَوْ رَابَضْتُ . وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ » وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ » تَقْدِيرُهُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ كَذَلِكَ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » شَاهِدُ لِلْوَجْهِينِ بِمَجُوزِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ وَمِنْ بَابِ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ فَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ كَانَ التَّقْدِيرُ فَلَا أَمْرَ أَوْ فَا مَرَى صَبْرٌ جَمِيلٌ وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ

فصبر جميل أجمل . . وقد يحذفان جملة وهو قابل . ومنه قوله تعالى « واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن » تقديره واللاتى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (وأما الافعال) فحذفها على قسمين . الأول مادل على حذفه بيان مفعوله كما فى قوله تعالى « ناقة الله وئسهاها » وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر وقد تزوج - هلا بكرة أتلاعها وتلاعبك - أى هلا تزوجت جارية بكرة . وكذلك قولهم - أهلك والليل - أى أدرك أهلك وبادر الليل . ومنه فى القرآن كثير . الثانى ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر كقوله تعالى « وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا » . وقوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما خافناكم » معناه فقليل فقد جئتمونا . وكذلك « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم » وكذلك « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » والمراد فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » أى فاضربوا رقابهم ضربا . وكذلك قوله تعالى « وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم » تقديره فأتوه به - فلما كلمه - (وأما) حذف فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » . وقوله تعالى « أفغير الله أبنتى حكما » تقديره قل - أفغير الله أبنتى حكما - (وأما الحروف) أعنى حذف الحروف التى لها معان وليست حروف الهجاء التى تكلم النحويون على اثباتها وحذفها وابدالها لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها الى أصولها وليس هذا من غرضنا فى هذا الكتاب انما غرضنا الحروف التى يفيد حذفها واثباتها معنى لم يكن . . وهى عند علماء البيان على قسمين . مفردة ومركبة (فالمفردة) مثل - الواو - التى حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون فى معناه أشد وذلك لأن اثباتها يقتضى تعابير المعطوف والمعطوف عليه فاذا مُحذِفَت أضعف ذلك بأن الكل كالشئ الواحد . ومن ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه - كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون لا يتوضؤون - اثبات الواو أدل على عدم الوضوء من قوله - لا يتوضؤون - . ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » تقديره ولا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وقد بدت البغضاء . وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضاً أبلغ وأحسن كما في قوله تعالى « وما أهلكننا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم » (وأما المركب) فكثير وهو على أقسام . الاول حذف - لا - في قوله تعالى « تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَوْسُفُ » تقديره لا تفتأ تذكر يوسف أى لا تبرح . ومنه قوله تعالى « وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ » تقديره وعلى الذين لا يطيقونه على قول بعض المفسرين . ومثله في القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرئ القيس

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسى لدايكِ وأوصالى

معناه لا أبرح قاعداً . الثانى حذف - لو - وهو في قوله تعالى « ما آتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلَّ بعضهم على بعضٍ » تقديره لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى « وما كنتَ تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطئه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » معناه لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحِ أبلى بنو اللقيطة من ذهلِ بنِ شيبانا
إذا لقامَ بنصرى معشرُ مُخَشَّنٍ عندَ الحفيظةِ إنْ ذو لؤثةٍ لانا

تقديره إذا لو كنت منهم لقام بنصرى

(الحذف القبيح) وسبب قبحه اخلاله بالمعنى . قال ابن الاثير ومن الحذف أيضاً المحل بالمعنى وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يجوز استعماله في القرآن العظيم ولا في التأليف لكنه يجوز في الشعر لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعماته في كلامها فحذفت بعض الالفاظ استخفافاً حذفاً لا يحل بالباقي وتعرض بالشبهة . فنها قول علقمة

كانَ ابريقهم ظبيُّ على شَرَفٍ مُفدِّماً بسبا الكتانِ مائِومُ

فقوله - بسبا الكتان - يريد بسائب الكتان . وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالِحِ فَأَبَانَ *

أراد المنازل • وعلى نحو من هذا جاء قول أبي ذؤاد

يَذَرِينَ جَنْدَلَ جَابِرٍ بِجَنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا تَذَكَّرُ سَنَابِكُهَا الثُّجَابَا

أراد الجباحب - والجاحب - طائر على مثال الجُنْدُب الصغير يُرى منه نور ضعيف ليلاً • وهذا وأمثاله قليل جداً وإياك أيها المؤلف أن تستعمله في كلامك وإن كان جائزاً وقد ورد في أشعار العرب مثله (قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذي ذكره ابن الأثير فيه نظر لانه قد صح عن ابن عباس وجماعة من أكابر الصحابة والسلف الصالح أن هذه الحروف التي في أوائل السور كل حرف منها دال على كلمة مُحذَفٌ أكثرها ودل هذا المنطوق به على المحذوف • وقالوا ان معنى « ألم » أنا الله الملك • وقالوا في « كهيعص » أن الكاف من كافٍ والهاء من هاد • واستندلوا على ذلك بأن العرب استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها في كثير من كلامها وأشعارها ففهمتم المراد من ذلك الحرف • ومنه قول الشاعر

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدَتْنِي أَنْ تَأْتِيَنِي تَذَهْنُ رَأْسِي أَوْ تَقْلِي أَوْ تَأْتِي

أراد أن تأتي وتذهن رأسه وتقلي أو تمسح • وقال آخر

نَادَوْهُمْ أَنْ تُلْجَمُوا إِلَّا تَأْتِيَنَا قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ إِلَّا قَا

•• وقال آخر

قَاتُ لَهَا إِلَّا قَفِي قَالَتْ قَاف لَا تَحْسِبْنِي أَنَا نَسِينَا إِلَّا حُف

أي قف أنت • ومثل هذا في أشعار العرب وكلامهم كثير وإذا كثرت استعماله كان من الكلام النصيب معدوداً وحسن في التركيب وكما يندفعور الكلمة واستعجم معناها كان فهمه بأول وهلة دليلاً على صحة الأفهام وجودة الفرائز وسلامة الطبع وحسن موقع اللفظ به

﴿ فصل ﴾

ومن أنواع المحذوف أن يكون اللفظ مركباً ولكن ليس بكلام وذلك كقوله

(١١ - فوائده)

تعالى « قال كذلك قال ربك هو على هين ولن يجعله آية للناس » تقديره وجعلناه لنجعله آية للناس فيكون المحذوف ههنا والسبب والدال عليه هو سببه . . . وقد يكون بعكس هذا كما في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » تقديره واذا أردت قراءة القرآن فالمحذوف هنا الارادة وهى سبب القراءة ويجوز أن يكون التقدير واذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

٥ - القسم الثالث والعشرون

(فى التقديم والتأخير . والكلام عايه من وجوه ثلاثة)

الاول فى ذكر المعنى الذى أتى به من أجله . الثانى فى هل هو من المجاز أم لا . الثالث فى أقسامه (أما الاول) فانهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة وملكتهم للكلام وتالعّبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه واثباته لهم لقوة ملكتهم فيه وفى معانيه ثقة بصفاء اذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله فى النفوس حسن موقع وعدوبة مذاق (وأما الثانى) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . . . فقال قوم هو من المجاز لأن فيه تقديم مارتبه الأخير كالمقول وتأخير مارتبه التقديم كالفاعل والمفعول به فى نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه . . . وقال قوم ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له الى ما لم يوضع له (وأما الثالث) فقال علماء هذا الشأن أقسامه أربعة . . . وقالوا التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون موجباً لزيادة فى المعنى أو لا يكون كذلك وإما أن يكون ما قدم الاول به التقديم أو الاول به التأخير أو يتكافأ الامر ان فيه . . . أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فان المقصود بتقديم - إياك - تعظيم الله سبحانه وتعالى والاهتمام بذكره مع افادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى ليصير الكلام حسناً متناسقاً ولو قال نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام متناسباً . . . وكذلك

قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فان هذا مع افادته ان نظرها لا يكون الا الى الله تعالى يفيد في جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى « وألفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فانه تقديم المفعول في قوله تعالى « قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » . وكذلك « بل الله فاعبد » . وكمن الشاكرين « فان المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ولو أخره ما أفاد ذلك فانه لو قيل ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ولا كذلك لو قيل زيد أضربت . ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله » ولو قال وظنوا أن حصونهم من الله ما نعتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم . وكذلك « أرأيت أن آلهي يا ابراهيم » ولو قال أنت راعب عنها ما أفاد زيادة الانكار على ابراهيم بالرغبة عنها . وكذلك « واقترب الوعد الحق » فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ولم يقل فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة وكان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في البحر - هو الطهور ماؤه الحل ميتته . وكذا تقديم الظرف في الهيئات كقوله تعالى « إننا إنا إياهم ثم إننا علينا حسابهم » . . . وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى « له الملك وله الحمد » فان هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى . . . وأما اذا كان الظرف في النفي فان تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه كما في قوله تعالى « لا فيها غول » ولا هم عنها ينزفون » أى ليس فى خمر الجنة ما فى خمر غيرها من الغول . . . وأما تأخيرها فالتأخير النفي فقط كما في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » وكذلك اذا قلت لا عيب فى الدار كان معناه نفى العيب عن الدار واذا قلت لا فى الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب . . . وأما الثانى فهو ما لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا انما يكون كذلك لامر يتعاقب بالتقدم والتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذي لأمر يتعلق بهما اما أن يكون ذلك بالنسبة الى شئ خارج عنهما أولا يكون كذلك . فالاول كما اذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخر كقوله تعالى « فمنهم من

يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ . والثاني
 اما ان يكون للمتقدم تأثير في وجود المتأخر أو لا يكون كذلك ^(١) . والثاني كما اذا كان
 المتقدم أكثر وجوباً كما في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله » والاول اما أن يكون المتقدم في الوجود المتأخر بالذات أو بالعرض .
 أما الذي بالذات فكما في قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً لنحْيَ به بلدة ميتاً
 ولسقيهم مما خلقنا أنعاماً وأناسٍ كثيراً » فانه قدم الانعام لان صلاح حالها سبب لصلاح
 حال الناس . وأما الذي بالعرض فكما في قوله تعالى « إياكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » فانه
 قدم العبادة لانها وسيلة الى تحصيل الاستعانة . وأما الذي يكون كذلك لأمر خارج
 عن المتقدم والمتأخر فاما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذي
 لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أولاً به أو لتعلقه هو بالمذكور أولاً
 . والاول كما في قوله تعالى « وما يُعْزَبُ عن ربك من مثقالِ ذَرَّةٍ في الأرضِ ولا
 في السماء » فانه قدم الأرض - لأن هذا بعد قوله تعالى « ولا تعملون من عملٍ إلا
 كنا عليكم شهوداً اذ تُفِيضُونَ فِيهِ » وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في
 الأرض . والثاني إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الاول أو بلفظه . وانتعلق
 بمضاه كما في قوله تعالى « فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ » فانه قدم الشقي لان المراد بهذا وما قبله
 التخويف . والمتعلق بلفظه كما في قوله تعالى « فأما الذين شقُّوا ففي النارِ » ثم قال
 « وأما الذين سُعدوا ففي الجنة » فان تقديم حال الاشقياء هاهنا لأجل تقديمه أولاً
 الشقي . والذي يكون كذلك لأجل المتقدم اما أن يكون لأجل حال في الكلام نفسه
 أو لا يكون كذلك . والثاني كما في قوله تعالى « يَهْبُ لمن يشاءُ إِنَّا نَا وَبِهَبُ لمن يشاءُ
 الذُّكُورَ » فان تقديم الاناث هنا انما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته
 سبحانه وتعالى لا على وفق العباد . والاول كما اذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما في
 هذه الآية وكما في قوله تعالى « خذوه فقلُّوه ثم الجحيمَ صلُّوه » ولو قال ثم صلوه
 الجحيم لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الاحسن تقديم الجحيم . وقيل

ان هذه الصورة تفيد أيضاً الاختصاص كما في القسم الاول . . قال الامام غفر الدين وهو الذى يظهر لى وان منعه الآخرون فهذه أسباب عشرة وقد يجتمع فى شئ واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى واذا تعارضت أسباب روى أقواها وان تساوت كان المتكلم باختيار فى تقديم أى الامرين معاً . وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ويكون الاحسن تأخير . فاذا قدم كان ذلك مفاضلة معنوية وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والمعلقة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده فى القرآن لركنه وسماجه . مثاله قول الفرزدق

وما مثله فى الناس إلا مُملِكاً أبو أمه حتى أبوه يُقاربه
معناه وما مثله فى الناس حتى يقاربه إلا مُملِكاً أبو أمه أبوه . وقال أيضاً
الى مُملِكٍ ما أمه من محاربٍ أبوه ولا كانت كليب تُصاهره
معناه الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضاً
ولست خراسان الذى كان خالدٌ بها أسدٌ اذ كان سيفاً أميرها

معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفاً اذ كان أسد أميرها . والغرض مدح خالد وذم أسد المتولى بعده « وأما الرابع » فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخير . وهذا كالحال فانه يقدم كقولك - جاء راكباً زيد - ويؤخر كقولك - جاء زيد راكباً - وهما سواء . وكذلك المستثنى كقولنا - ما قام إلا زيداً أحد . وما قام أحد إلا زيداً - . وقد وقع فى الكتاب العزيز آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نمط ما تقدمت من ذلك قوله تعالى « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وقوله تعالى « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذِّكْرِ » على قول من قال إن الذِّكر هاهنا القرآن . . وقال بعض العلماء فى قوله تعالى « ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه » أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه هم بها وهذا حسنٌ لكن فى تأويله قلق ولا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال ان الصغائر يجوز وقوعها منهم . فلا يضطر الى هذا التقديم والتأخير . . ومنه أيضاً قوله تعالى « اقترَبَتْ

الساعة والشق القمر » • وقوله تعالى « فجعله غداة أحوى » والتقدير فجعله أحوى غداة • ومنه قول الشاعر

طاف الخيال لما وأين منك لما فارجع لزورك بالسلام سلاما

تقديره طاف الخيال لما وأين منك • • وقال الفرزدق

فُتِّقْها مَنْ لَمْ تَمْلُكْ سِوْفَا بِأَسِيفِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقِمَامِ

تقديره نفلق بأسيفنا هام الملوك القمام ومن لم تملك سيوفنا -وها- لتنبيه تقديره تنبهوا لهذا المعنى • وانما دعاه الى التقديم والتأخير ايقاع الابس على السامع وجمعه من باب الالفاز

القسم الرابع والعشرون

في الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة

والجمع بينهما عند من رآه مجازاً لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فانه وضع للحقيقة وحدها ثم استعمل فيها وفي المجاز • وله أمثلة

أحدها في قوله تعالى « أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » - ولعنة الله - ابعاد - ولعنة الملائكة والناس - دعاؤهم بالابعاد وقد جمعهما في لفظة واحدة ومن لا يرى ذلك يقدر أولئك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز الحذف • والثاني منه قوله تعالى « ان الله وملائكته يصطون على النبي » - الصلاة حقيقة في الدعاء مجاز في اجابة الدعاء لار الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة حقيقة لانها دعاء وصلاة الله من مجاز التعبير نافظ السبب الذي هو الدعاء عن المسبب الذي هو الاجابة وقد جمع بينهما في قوله - ان الله وملائكته يصلون على النبي - فيكون الضمير في - يصلون - لله والملائكة وجمعه معهم في الضمير مستكره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر على بعض خطباء العرب قوله - ومن يصعبها فقوغوي -

وقال بش خطيب القوم أنت • وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام في قوله - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما - وفي قوله عليه الصلاة والسلام - فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم - وإنما أنكر على الأصحابي الجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمنٌ من ذلك • ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر أن الله يصلي على النبي وملائكته يصلون على النبي فيكون يصلون على النبي حقيقة في حق الملائكة ويكون يصلي المقدرة مجازاً في حق الله • وكذلك القول في قوله تعالى « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » في الجمع بين الحقيقة والمجاز وإفرادها • ومثل هذا قوله تعالى « واللهُ أرحمُ أرحمٍ » لو قال أرحمُ أن يرضوه » لو قال أرحمُ أن يرضوها لكان جامعاً بين الله ورسوله في الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة ورضى الله تعالى مجزئاً • ومن لا يرى ذلك يقول والله أرحمُ أن يرضوه ورسوله أرحمُ أن يرضوه كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنتُ بما عندك راضٍ والرأى مختلفُ

وهذه الأربعة وعشرون قصبا التي ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها • وحيث انتهى الكلام في الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلما أخذ في ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع المبديع وأجناس النجيس • • ولبدأ من ذلك فيما يتعاقب بالمعاني ثم نتلوه بما يتعاقب بالالفاظ والاعتماد في ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته إلى الصواب والارشاد إلى ما يؤدى إلى جزيل الثواب وحسن المآب • • أما ما يخص بالمعاني فيقسم إلى أقسام

• القسم الأول •

(المناسب • ويسمى التشابه أيضاً)

وهو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر • والقرآن العظيم كله متناسب

لا تنافر فيه ولا تباین .. ومنه قول النابغة

الرفق يُمْن والأناة سعادةٌ فاستأن في رفق تنالُ نجاحا

والياس عِمَاقَاتُ يُعَقِّبُ رَاحَةً ولربَّ مَطْمَعَةٍ تَعُودُ ذِباحا

ويسمى التشابه أيضاً .. وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والمثانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها من غير أن يكسب الالفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتلائم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض القوم أولادُ علةٍ يكلُّ لسانَ الناطق المتحفِّظِ

(قال المصنف عفا الله عنه) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين . معنوية . ولفظية . فالمعنوية أن يتدعى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون الالفظ . ومنه قوله تعالى « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الريح التي أصابت المشركين ليست اتفاقاً وليست هي من أنواع السحر بل هي من ارساله على أعدائه كعادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ومرة بالريح كيوم الاحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير وأن النصر من عند الله لا من عند غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد وحين أعجبهم كثرتهم يوم حنين وبعد ذلك كانت العقابة لهم . وقد صرح سبحانه وتعالى في قوله « وما النصر إلا من عند الله » . وقوله تعالى « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَلَنْ يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَدِهِ » ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها - والله قوى عزيز - خفي هذا المعنى وغمض والتبس الامر فيه وأشكل .. وأما المناسبة اللفظية فهي أيضاً على قسمين . تامة . وغير تامة . فالتامة أن تكون الكلمات مع الابراز مقفاة . والاخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة .. فن المناسبة التي ليست بمقفاة قوله تعالى « ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ بَلْ نَحْيُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » وما سوى هذه التامة كقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ

بسمه ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون » . . ومن التامة في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يرقى به الحسن والحسين عليهما السلام أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم - لامة - ولم يقل ملعة . وقوله صلى الله عليه وسلم - مرحباً بالوفد غير خزاي ولا ندأى بحسن المناسبة . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم - ارجعن مأزورات غير مأجورات والمستعمل موزورات - لانه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلى الله عليه وسلم لمكان المناسبة اللفظية التامة . وأما ماجاء من السنة الغير مقفاة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان أجبك الى وأقربكم في مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطون أكنافاً فناسب صلى الله عليه وسلم بين - أخلاق وأكناف - مناسبة أبراز دون تفقية . وبما جمع بين المناسبين قوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته اللهم اني أسألك رحمة تهدى بها قاي . وتجمع بها أمرى . وتلم بها شعفى . وتصلح بها غائى . وترفع بها شاهدى . ونزكى بها علمى . وتلهدى بها رشدى . وترد بها النى . وتعصنى بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز فى القضاء . ومنزل الشهداء . وعيش السعداء . والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين - قاي وأمرى - مناسبة غير تامة بالزنة دون التفقية ثم ناسب بين - الشهداء والسعداء - مناسبة تامة بالزنة والتفقية

القسم الثانى

(التكميل)

وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره . من قون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وأنه يحتاج الى تكميل بزيده بياناً وايضاحاً فيكمله بمعنى آخر . فن ذلك قوله تعالى « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين » فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه

(١٢ - فوائد)

وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح
إذ وصفهم بالرياضة لآخوانهم المؤمنين والافتقار لآمرهم كان المدح غير كامل فأكمل
مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأثنى بوصفهم بالامتاع منهم والغلبة لهم
• وكذلك قوله تعالى «محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم»
• ومثاله من النظم قول كثير عزة

ولو أن عزة خاَصمتُ شمس الضحى في الحسنِ عند مُوفقٍ لقضى لها

القسم الثالث

(التنميم)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم
وتقرره في النفس • فن ذلك قوله تعالى « ولا طائرُ يطيرُ بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم »
• وقوله تعالى « ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رَجعتمْ تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » ومثاله في
القرآن كثير • ومثله قول امرئ القيس
كأن قلوبَ الطَّيرِ رطباً ويابساً لدى وَكِيرِها العنَّابُ والحشفُ البالي
• • وقال آخر

كأن قلوبَ الطيرِ حولَ خبائنا وأرْحاننا الجَزَعُ الذي لم يثَقِّبِ
تمَّ المعنى بقوله - الحشفُ البالي • والجزع الذي لم يثقب -

القسم الرابع

(التقسيم)

وهو آلة الحصر ومظنة الاحاطة بالشيء • مثل قوله تعالى « واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من

ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين « الى قوله « ما يشاء »
ومنه قوله تعالى « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » ومثله
في القرآن كثير وخصوصاً في سورة براءة . ومثله في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى
وأعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد غمى
.. وذكر ابن الأثير في جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية
كما يذهب اليه المتكلمون فان القسمة العقلية تقتضي أشياء مستحيلة كما قالوا الجواهر
لا يخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة و مفترقة معاً أو
بعضها مجتمع وبعضها مفترق ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء
الاقسام جميعها وان كان من جملة ما يستحيل وجوده فان الشيء لا يكون مجتمعةً مفترقاً
في حالة واحدة . وانما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتي
المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسماً واحداً . فن ذلك
قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » فانه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم
إما عاص ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر الى الخيرات وإما مقتصد بينهما وهذا من أصح
التقسيمات وأكملها فاعرفه .. ومن هذا المعنى قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة
فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون »
الآية . اعلم أن هذه الآية ماثلة في المعنى لما سبق ذكره - وأصحاب المشئمة - هم
الظالمون لأنفسهم - وأصحاب الميمنة - هم المقتصدون - والسابقون - هم السابقون
بالخيرات . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذي يُريكم البرق خوفاً وطمعاً »
ألا ترى الى براعة هذه القسمة فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع وليس لهم
ثالث . وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصين في صدرها يعجبون بقول بعض
العرب في هذا المعنى ويقولون ان ذلك من أصح التقسيمات وهو قوله - النعم ثلاث .
نعمة في حال كونها . ونعمة ترجى مستقبله . ونعمة تأتي غير محتسبة . فأبني الله عليك
ما أنت فيه . وحقق ظنك فيما ترجيه . وتفضل عليك بما لم تحتسبه - فقالوا انه ليس في

أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الاعرابي وهذا القول فاسد وهو أن في أقسام النعم التي قسمها ههنا نقصاً لا بد منه وزيادة لاحاجة إليها أما النقص فاغفاله ذكر النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية التي تأتي غير محتسبة وهذا خطأ فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة هي داخلة في قسم المستقبلية وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم الى قسمين . أحدهما يرجى حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده . فقوله - ونعمة تأتي غير محتسبة - يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل في جماته ولو قال - ونعمة مستقبلية - من غير أن يقول - ونعمة تأتي غير محتسبة - لكان قوله كافياً إذ النعمة التي ترجى والنعمة التي لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي أن يقول - النعم ثلاث . نعمة ماضية . ونعمة حال كونها . ونعمة تأتي مستقبلية . فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها - ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه . . وقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله من أعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة فقال الحسن مترك لأحد عذراً فانصرف الاعرابي بخير كثير . . ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه وذلك أنه أخذ على جميل قوله

لو أن في قلبي كقدرِ قلامٍ حُباً وصلتكِ أو أتتكِ رسائلِ

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له فإن جبلاً انما أراد بقوله - وصلتك - أى أتيتك زائراً أو قاصداً أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة . . وقال ابن الاثير ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامى وهو قول العباس بن الاحنف

وإصالحكم هجرٌ وهجرٌكم قلاً وعطفكم صدٌّ وسلّمكم حربٌ

ثم روى المشار اليه عن أبي القاسم الأمدى أنه قال ان بعض نقدة الكلام من البلاء لما سمع هذا البيت قال والله هذا أحسن من تقسيمات اقليدس . ومن العجب كيف

ذكر الغامى ذلك فى كتابه وقاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة • وأعجب منهما
جيماً استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ألا ترى أن هذا البيت يبنى عليه شئ آخر
من جنسه فانه لو أضيف اليه بيت غيره فقليل

ولينكم عُنفٌ وقرُّ بكم نوى وإعطاؤكم منعٌ ومصدقكم كذبٌ

لجاز ذلك ويحتمل أن يزداد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ولو كان التقسيم فى
البيت الاول صحيحاً لما احتدل أن يضاف اليه شئ آخر البتة لأن من صحة التقسيم أن
لا يحتمل الزيادة • • ومن نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فن بين
جريح مضرج بدمائه • وهارب لا يلتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هارباً والهارب
قد يكون جريحاً ولو قال - فن بين قتيل ومأسور وناج - لصح له التقسيم لأن المكسورين
فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة فاما قتيل أو
مأسور أو ناج وأما الجريح فانه يدخل فى جملة الناجي والمأسور لأن كلا منهما يجوز أن
يكون جريحاً وأن لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه

— القسم الخامس —

(المؤاخاة)

وهى على قسمين • الاول المؤاخاة فى المعانى • الثانى المؤاخاة فى الالفاظ ويكون
للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند الشعور شئ يُطلع الى مناسبة فلا يرد
إلا بعد تشوف ولا كذلك المبين فلذلك يقبح ذكر الشئ مع مبيانه فى المعنى المذكور
فيه • ولذلك قبح قول الكمي

أم هل ظمأن بالعلياء رافعةً وقد تكامل منها الدلُّ والشنبُ

فان - الدل والشنب - لا مناسبة بينهما • وكذلك يقبح الشئ مع مبيانه فى البناء • ولذلك
قبح قول أبى تمام

.. مُثَقَّفَاتٍ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سُورَتَهَا وَالرُّومَ رِقْنَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَصْفَا
 وكان ينبغي أن يقول - والعشاق قصفها - لكن منعه الوزن والقافية فلذلك لا يعاب هذا
 على الشاعر كما يعاب على الناثر اذ المجال للناثر متسع .. وما استقبح قول أبي نواس
 أَلَا يَا ابْنَ الْذِينَ فَتَنُوا فَاتُوا أَمَّا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ فَاعْلَمَنْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ آجَالاً وَرِزْقاً
 وكان ينبغي أن يقول - وأرزاقاً - واعلم أن استقبح تباين المباني دون استقبح تباين
 المعاني (قال المصنف عفا الله عنه) التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن
 العظيم منه كثير . ومن ذلك قوله تعالى « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ »
 . وكذلك قوله تعالى « حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » الآية

— القسم السادس —

(الاعتراض والحشو)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً وتفيد معنى آخر مع أن
 اللفظ يستقل بدونها وبأنتم يغيرها مثل قوله عز وجل « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقوله تعالى « وَلَا تَكْرِهُوا قِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا »
 أو لم يردن ولكن أفاد قوله - إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا - الاعلام بترغيب الشرع في التحصين
 وانه مطلوبه . ومنه قوله تعالى « وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ
 سُوءٍ » . وقوله تعالى « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (قال المصنف
 عفا الله عنه) قال ابن الاثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير الاعتراض الصناعي عند
 أرباب علم البيان على قسمين . الأول لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى
 التوكيد في كلام العرب . والقسم الآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فلما أن يكون
 دخوله في التأليف تكرّ وجه منه وإما أن يؤثر في التأليف نقصاً وفي المعنى فساداً

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة • فنه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » هذا كلام فيه اعتراض
أحدهما قوله - وإنه لقسم لو تعلمون عظيم - لانه اعترض بين القسم الذى هو - فلا
أقسم بمواقع النجوم - وبين جوابه الذى هو - إنه لقرآن كريم - وفى نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو - قسم - وبين صفته التى هى - عظيم -
وهو قوله تعالى - لو تعلمون - فذلك اعتراض ولو جاء الكلام غير معترض فيه
لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض بين
القسم وجوابه انما هو تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع • ألا ترى الى قوله تعالى
- لو تعلمون عظيم - كيف هذا الاعتراض بين الصفة والموصوف وذلك أوقع فى
النفس لتعظيم المقسم به أى انه من عظيم الشأن وغامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى
حقه من التعظيم • • ومن ذلك قوله تعالى « ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَتَّى إِذَا
أُمُّهُ « الى « ولوالديك » الآية • ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل
البلاغة فانه لم يوث به إلا لفائدة كبيرة وذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده
الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكلفه الوالد • ومن ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم للذى سأله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم
من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك • وفى رواية أمك ثم أمك ثم
أباك ثم أدناك فادناك • • ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « واذ قتلتم نفساً
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » الى قوله « تعقلون » فقوله تعالى
- والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقائده أن
يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤبني اسرائيل فى قتل تلك النفس
لم يكن نافعاً لهم فى اخفائه وكتامنه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه ولوجاء الكلام
خالياً من هذا الاعتراض لكان - واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها -
ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه • • ومن
هذا الجنس قول النابغة

لَعَمْرِي وما عَمَرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ لَقَدْ نَطَقْتُ بِطُلًّا عَلَىٰ الْأَقَارِعِ
فَقَوْلُهُ - وما عَمَرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ - من محمودة ونادره لما فيه من تفخيم المقسم به ٠٠ وعلى
نحو من هذا جاء قول كثير

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطْلَالَ
فَقَوْلُهُ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - من الاعتراض الذي يؤكده المعنى المقصود ويزداد به مزية
ونبلا وفائدته هنا أن النصريح بما هو المراد يثبت في النفس ويقرره في الأذهان ٠٠
وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر وهو أحسن ما قيل في هذا الباب

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَقْتَهَا قَدْ أَحْوَجْتَ سَمْعِي إِلَىٰ تَرْجَانِ
وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ ٠٠ وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان ٠
الاول أن يكون دخوله في التاليف كخروجه منه لا يؤثر حسناً ولا قبحاً ٠٠ فمن ذلك
قول النابغة

يَقُولُ رَجَالٌ يَجْهَلُونَ خَلِيقَتِي لَعَلَّ زِيَادًا لَا أَبَالِكَ غَافِلٌ
فَقَوْلُهُ - لَا أَبَالِكَ - اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً
(الضرب الثاني منه) وهو الذي يكون مؤثراً في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً ٠
ومنه قول بعضهم

فَقَدْ وَأَيْكَ يَنْ لِي عِشَاءٌ بَوْشَكَ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ
فَإِنْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ رَدَىِ الْإِعْطَاضِ مَا أَذْكَرُهُ وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ - قَدْ - وَالْفِعْلِ
الَّذِي هُوَ - يَنْ - وَذَلِكَ قَبِيحٌ لِقَوَّةِ اتِّصَالِ - قَدْ - بِمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ أَلَا
تَرَاهَا تَمُدُّ مَعَ الْفِعْلِ كَالْجُزْءِ مِنْهُ وَلِذَلِكَ دَخَلْتُ اللَّامَ الْمُرَادُ بِهَا تَوْكِيدُ الْفِعْلِ عَلَى - قَدْ -
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ » ٠ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَقَدْ
عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ » ٠٠ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ وَهُوَ الْفَرَاةُ السَّامِيُّ

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رَجُلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَعَرُورٌ
إِلَّا أَنَّهُ إِذَا فَصَلَ بَيْنَ - قَدْ - وَالْفِعْلِ بِالْقِسْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ نَحْوَ قَوْلِكَ - فِدَا اللَّهِ

كان ذلك • وقد^(١) فجاء هذا البيت لا خفاء بقبحه • • ومن بديع الاعتراض قول المتنبي

ويحتقر الدنيا احتقارَ مجربٍ يرى أن ما فيها وحاشاك فانيا
وهذا البيت حشوه يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس
(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر أسامة في بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتي في الكلام بالفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة
تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَمَرَفْتُهَا لَسْتُ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ
• • وقال آخر

نَأْتُ سَلَمَى فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فقوله - الرأس - حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون الا في الرأس • • وفي الحماسة
أُنِي فِتْيَ لَمْ تَذِرْ الشَّمْسُ طَالَعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرْأً أَوْ نَقْمًا
فقوله - طالعة - حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرَّتْ الشمس أي طلعت (قال المصنف عفا الله عنه) وهذه الكلمات التي ذكرها ليست بزائدة بل لها معان • • فقوله - لست أعوام وذا العام سابع - فليس بزائد وقد ورد مثله في القرآن وهو قوله تعالى « ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رَجَعْتُمْ تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » وإنما قال ذلك الذي تقدم بيانه في باب التميم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى في النفس • وأما قوله - صداع الرأس - فهو من الإصابة والشيء ومثل ذلك يتهيأ في سائر الاعضاء • وأما قوله - تذر الشمس طالعة - فهما وان كانا بمعنى واحد فالعرب من عاداتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد • كقول الشاعر

* وَهَنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

• • ومنه قوله تعالى « فِهْلَ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُودًا » • • والذي اقتضاه قول أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين • قبيح وحسن • فالقبيح ما أشار إليه أسامة • والحسن ما أشار إليه غيره والله أعلم

(١) يياض بالاصل

- القسم السابع -

(الالتفات)

وهو نقل الكلام من حالة الى حالة أخرى وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام • الأول الانتقال من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة كقوله تعالى «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» وعكسه «الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» ولم يقل غير الذين غضبت عليهم • وكذلك قوله تعالى «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» • وقوله تعالى «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا» • وقوله تعالى «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا» ومثله في القرآن كثير ولا يخلو شيء من ذلك من حكم جزئية ثابتة بقوله ذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع وأن القول اذا اشتدل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب إذ الاقدام على ذلك قدّام الحاضر أخش وأكثر جُرأة والجناب العظيم ينبغي أن يحاسى من ذلك • يُبين ذلك قوله تعالى - وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إداً - ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الاهانة • الثاني الالتفات من الماضي الى المضارع كقوله تعالى «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ» • وكذلك قوله تعالى «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» • الثالث الالتفات من الماضي الى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى «فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» • وقوله تعالى «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسِقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ» • وقوله تعالى «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ» •

وقوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » • وقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » له ما في السموات • وقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ولا يخلو هذا عن حكمة كما في هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله نفي بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالآيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله - ويصدون عن سبيل الله - شعراً بأنهم في كل وقت كذلك • ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صدهم قد انقطع • • وذهب قوم الى أن الالتفات إذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتيماً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ومن هذا النوع قول جرير

* مجازيعُ عندَ البأسِ والحُرُّ يصبرُ *

• • وذهب قوم الى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك في ذلك أو في سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكه كقول الأخطل

تَيِّبُنُ صَلَاتُ الْحَرْبِ مَنَا وَمَنْهُمْ إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْمَسَالِمَ يَأْذَنُ

فتبين بقوله - والمسالم يأذن - كيفية ظهور المحارب منه والصحيح القول الاول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات • • ومن بديعه قوله تعالى « يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ » خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت الى زليخا • ومنه أيضاً قوله عز وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبََنَّكُمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ » • • ومن بديع ما جاء منه في النظم قول امرئ القيس

تَطَاوَلَ لِيْلُكَ بِالْأَثْمَدِ وَنَامَ الْخَلْيُ وَلَمْ تَرْتَقِدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلِيلَةُ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ عَنْ خَبْرٍ جَاءَنِي وَخَبْرُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر ابن الاثير في جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام .
٠٠ الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » الى قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » وانما فعل ذلك لفوائد وهي انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المعامُ بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالخضوع له والاستعانة به في المهمات فخطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقيل - إياك نعبد وإياك نستعين - يامن هذه صفاته . والفائدة الأخرى أن قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - ليس العدول فيه اتساعاً وانما عدل اليه لأن الحمد دون العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال - الحمد لله - ولم يقل لك ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال - إياك نعبد - تصريحاً بها وتقرباً منه عزاسمه بالانتهاء الى محدوده منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال - صراط الذين أنعمت عليهم - فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال - غير المغضوب عليهم - ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لأن الاول موضع التقرب الى الله بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب قال - غير المغضوب عليهم - فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب فأسند النعمة اليه لفظاً وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً . . . ومن هذا الجنس قوله تعالى « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » وشبهه . . الثاني الرجوع من الخطاب الى الغيبة كقوله عز وجل « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها » الآية صرف الكلام هنا من خطاب المواجهة الى الغيبة وانما فعل ذلك وهو أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم والتقييح لفعالهم ولو قال - حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم - وساق الخطاب الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة . . ومن ذلك قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فقطعوا أمرهم بينهم » الاصل أن يعطف على الفعل الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينهى عنهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبح عليهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم

ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك مثل لا اختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازهم على ما فعلوه . . . ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السموات والأرض » الى « وكتابه » الآية . فانه انما قال « فآمنوا بالله ربي » حيث قال أولاً - إني رسول الله اليكم - لكي تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأُمي الذي يؤمن بالله وكتابه كائناً من كان أنا أو غيري اضطراراً للنصفة وبعداً للتعصب لنفسه فقرر أولاً في صدر الآية بأنه رسول الله الى الناس وأثبت ذلك في أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب الى الغيبة لفرسين كبيرين قد ذكرتهما . الاول اجراء تلك الصفات عليه . الثاني الخروج من تهمة العصية لنفسه فافهم ذلك . الثالث الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيماً لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفعيلاً لأمره وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه فعل الأمر . فما جاء من ذلك قوله تعالى « قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » الى قوله « ما تشركون » الآية . فانه انما قال - أشهدُ الله واشهدُوا - ولم يقل - وأشهدكم ليكون موازياً له ومعناه لان إشهد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى تبين التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر كما تقول للرجل تهكماً به واستهانة - اشهد على أنى أحبك - وأمثال هذا كثير فاعرفه . . الرابع الرجوع من خطاب التثنية الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد . فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه أن نبوءا لقومكما بمصرَ بيوثاً واجعلوا بيوثكم قبلةً وأقيموا الصلاة وبشرِ المؤمنين » ^(١) فانه توسع في هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد فخطب موسى وهارون في ذلك عاينهما السلام بالنبوء والاختيار في ذلك مما يفوض الى ثم ساق

(١) بهامش الاصل ما نصه . . لعله خطاب لهما ولهم كتبه أبو الوفا

الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً له وتفخياً لامره لأنه الرسول على الحقيقة . . ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار « وما لى لا أعبدُ الذى فَطَرَنى واليه تُرْجَعُونَ » هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة واتمام الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لأنه أفرد الكلام لهم في معرض المناجحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فان ذلك أدخل في إمحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله - وما لى لا أعبدُ الذى فَطَرَنى - موضع قوله وما لكم لا تعبدون الذى فَطَرَكُمْ ألا ترى الى قوله « واليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فَطَرَنى واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « إني آمنتُ بربكم فاسمعون » يريد فاسمعوا قولى وأطيعون فقد بتهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه لان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم واليه ترجعون . . الخامس الاخبار عن الفعل الماضى بالمضارع وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى « اعلم » ان الفعل المضارع اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى . فهاجاء منه قوله تعالى « والله الذى أرسل الرياحَ فتُزِيرُ سَحَاباً فُسْقِنَاهُ الى بَلَدٍ مِيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » فانه انما قيل - تثير - مضارعاً وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهتم المخاطب أو غير ذلك . . ومنه قول تأبط شراً

لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِيْ نَحْوِ وَجْهِى بَقَرٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْحَانِ
فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ نَفَرَتْ صريعاً لئلا يدنِ وللجِرَانِ

لانه قصد أن يصور سورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم ويطاهمهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على ذلك الغول وثباته عند تلك الشدة ولو قال

فضربتها لزال تلك الفائدة التي ذكرناها ونبينها عليها . . ومن ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيفٌ خبير » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا إلى المضارع فقال - فتصبح الأرض مخضرة - وذلك لافادة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما قال - أنعم على فلان عام كذا فأرواح وأغدو شاكرآه - ولو قال فرحتُ وغدوت شاكرآه لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا إليه . . السادس الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المضارع الذي لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعاً وأنغم شأنًا لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الامور المقطوع بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التي لم توجد والامور المتعاطمة التي تحدث فيجعل عند ذلك بما قد كان ووُجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الفعل الماضي فان الغرض بذلك شيان هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . . فنـ الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى « ويومَ يُنفخُ في الصُّورِ ففزعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ » فانه انما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وبُوتوه وانه كأن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به . . ومنه قوله تعالى « وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جرى به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز وجل « أَنى أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » فان - أنى - هاهنا بمعنى يأتى وانما حسن فيه لفظ الماضي لصدق اثبات الامر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتى بمنزلة قد أتى ومضى . . وكذلك قوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » فانه انما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير - وترى - وهما مستقبلا لاندلالة على أن حشرهم

قُبِلَ التَّسْيِيرَ وَالْبُرُوزَ لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ الْإِهْوَالُ كَأَنَّهُ قَالَ وَحَشَرْنَا هُمْ قَبْلَ ذَلِكَ . . السَّابِعُ
الْإِجَابُ بِاسْمِ الْمَفْعُولِ عَنِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَأَمَّا فَعْلُ ذَلِكَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْفِعْلِ الْمَاضِي وَقَدْ
سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ . . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ
الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ » فَاهُ أَمَّا آثَرُ اسْمِ الْمَفْعُولِ هَاهُنَا
عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى ثَبَاتِ مَعْنَى الْجَمْعِ وَأَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ أَن يَكُونَ مَبْعَادُ
مُضْرُوبِ الْجَمْعِ النَّاسِ وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ شُدَّتْ فَوَازَنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى
« يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ » فَانْكَ تَعَزُّزٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَتْ . . الثَّامِنُ
عَكْسُ الظَّاهِرِ وَهُوَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَوَسَّعُوا فِي كَلَامِهِمْ وَتَجَوَّزُوا إِلَى غَايَةِ فَيْذُكَ كَرَوْنَ كَلَامًا
يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَى مَعْنَى وَهْمٍ يَرِيدُونَ بِهِ مَعْنَى آخَرَ عَكْسَهُ وَخِلَافَهُ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ
تَذَكَّرَ كَلَامًا يُعْطَى مَعْنَاهُ أَنَّهُ بَنَى لَصِفَةٍ شَيْءٌ قَدْ كَانَ وَهُوَ بَنَى الْمَوْصُوفُ أَنَّهُ مَا كَانَ أَصْلًا
. . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِهِ بِمَجَاسٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ لَا تَنْتَهِي فَتَاتَهُ أَيْ لَا تَذَاعُ فُظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ تَمَّ فَتَاتَتْ غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَذَاعُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ
ذَلِكَ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَمَّ فَتَاتَتْ أَصْلًا فَتَذَاعُ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ

* لَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

أَيْ لَيْسَ بِهَا ضَبٌّ فَيَنْجَحِرُ

القسم الثامن

(الحُلُّ عَلَى الْمَعْنَى)

وَذَلِكَ كِتَابُ تَيْتِ الْمَذْكُورِ وَتَذَكِيرُ الْمُؤَنَّثِ وَتَصَوُّرُ مَعْنَى الْوَاحِدِ لِلْجَمَاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ لِلْوَاحِدِ
وَحَمْلُ الثَّانِي عَلَى لَفْظِ الْأَوَّلِ أَصْلًا كَانَ ذَلِكَ الْإِظْفَاقُ أَوْ فِرْعَا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . . وَقَدْ وَرَدَ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَفَصِيحِ الْكَلَامِ مَنُثَوْرًا وَمَنْظُومًا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ . . فَأَمَّا تَأْيِيتُ

المذكر فكقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »
والمراد به آدم عليه السلام وأنت ردتا إلى النفس وقرئ في الشواذ من نفس واحد
.. ومنه قوله تعالى « واذ قالت الملائكة » والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر
كثيرة في القرآن .. ومنه قول الشاعر
أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال
.. وقال آخر

* طول الليالي أسرعت في نقضي *

.. وقال آخر
أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والأعداء من كل جانب
.. وقال آخر

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت
فانه ذهب بالصوت إلى الاستغاثة وذهب الآخر بالخوف إلى المخافة .. وأما تذكير
المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت اضافته إلى مؤنث
فكان المضاف بعض المضاف إليه أو به أو منه ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تنفع نفساً
إيمانها » بالتأنيث فأنت فعل الإيمان اذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير في
القرآن .. ومنه قول الشاعر

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجال الخشع
.. وقول الآخر

* كما شرقت صدر القنار من الدم *

❦ القسم التاسع ❦ -

(الزيادة في البناء)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا ان اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من خشن وأعشب ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فإن سترأ أبغ من سائر وغفار أبغ من غافر ولهذا قال سبحانه وتعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » • ومنه قوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرًا » عدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه • • ومن هذا المعنى قول أبي نواس

فعموت عني عفوّ مقتدر أحات له نعم فأنماها

والعرب عادت أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه • • قال الزمخشري رحمه الله رأيت أعرابياً بالحجاز يسوق جلاًء يه شقذ فقات ما اسم هذا فقال شقذ ثم مرّ عابنا جل عليه كجاة فقات ما اسم هذا فقال شقذ فقات فزاد فيه لكون الكجاة أكبر وأعلا في القدر والقيمة • وقد رجح بعض أهل المعاني « الرحمن على الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف • ومثل هذا في كلام العرب كثير ليس هذا موضع استقصائه

❦ القسم العاشر ❦ -

(الاطالة والاسهاب • ويسمى الاطناب • والكلام عليهما من وجوه)

الاول في ذكر الغرض الذي أتى بهما من أجله • الثاني في حقيقتهما ومجازهما •

الثالث في اختلاف علماء البيان فيهما • الرابع فيما يستحسن فيهما وما يستقبح •
الخامس في أقسامهما • السادس في الفرق بينهما (أما الاول) فان العرب جرت سنتهم
على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقاولاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم
على الكلام وتوسيعهم في النثر والنظام فيوجزون تارة ويطنلون أخرى هذا في الحقيقة
وأما في المجاز ففرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازي •• وقال ابن الاثير أني
بالاطلة والاطناب للمبالغة والمبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شيء منها
كالإخبار بالفعل الماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي ومن جملة أقسام المبالغة
الاطناب وفائدته زيادة الصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازاً وهو على الحقيقة
ضرب من ضروب التأكيد (وأما الثاني) فحقيقة الاطالة الامتداد والاسترسال وأصله
في الاجرام • وأما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة والمبالغة وأما حقيقته الصناعية فهو
زيادة في اللفظ لتقوية المعنى •• فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى
« ما جعل الله لرجل من قابلين في جوفه » فان الفائدة في قوله - في جوفه -
كالفائدة في قوله - القلوب التي في الصدور - وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور
المدلول عاينه لانه اذا سمع صور نفسه جوفاً يشغل على قلبين وكان ذلك أسرع الى
الانكار •• وأما الذي جاء منه على سبيل المجاز فنه • قوله تعالى « فانها لاتعصى الأبصار »
ولكن تعصى القلوب التي في الصدور • فائدة ذكر الصدور هاهنا أنه قد يعرف أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو مصاب الحدة بما بطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثلها أريد اثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر إن مكان العمى
انما هو القلوب لا الأبصار • وهذا نوع من أنواع البيان عظيم الاطائف كثير المحاسن
(وأما الثالث) فقد اختلف علماء البيان فيما فقال المحققون انها متغايران •• وقال
أبو هلال العسكري الاطلة والاطناب سواء وهما عنده ضد الایجاز ووافق جمهور الائمة •
وقال أبو هلال أيضاً في كتابه الاطاب في الكلام انما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالاتساع
وأفضل الكلام أيّنه والایجاز للخواص والاطاب يشترك فيه الخواص والعوام ولهذا

أُطِنِبَ في الحُتْبِ السُلْطَانِيَةِ لِأَفْهَامِ الرَعَايَا . وَكَمَا أَنَّ الْإِيْجَازَ لَهُ مَوَاضِعَ فَكَذَلِكَ الْإِطْنَابُ لَهُ مَوَاضِعٌ وَالحَاجَةُ إِلَى الْإِيْجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَوْضِعِهِ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ - وَمَنْ اسْتَعْمَلَ الْإِيْجَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ وَالْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِيْجَازِ فَقَدْ أَخْطَأَ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنِ السُّلْطَانِ فِي الْأُمُورِ الْمُظْلِمَةِ فِي الْفَتْوحِ وَتَفْخِيمِ مَوَاقِعِ الْعَمِّ الْمُتَجَدِّدَةِ أَوْ فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعَصْيَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُشَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً . وَأَمَّا كِتَابُ الْمَهْلَبِ إِلَى الْحُجَّاجِ فِي فَتْحِ الْأَزَارِقَةِ وَهُوَ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى الْإِسْلَامَ فَقْدَ مَا سِوَاهُ وَجَمَلَ الْحَمْدِ مُتَصِلًا بِنِعْمِهِ وَقَضَى أَنْ لَا يَقْطَعَ الْمَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى يَنْقَطَعَ الشُّكْرُ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ أَنَا وَعَدُوْنَا عَلَى حَالَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ نَرَى فِيهِمْ مَا يَسِرُّنَا أَكْثَرَ مِمَّا يَسُوْؤُنَا وَيُرُونَنَا فِيمَا مَا يَسُوْؤُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَسِرُّهُمْ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبًا وَدَأَّهُمْ يَنْصَرُّنَا اللَّهُ وَيَخْذِلُهُمْ وَيَمَحْضُنَا وَيَحْمِقُهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فَاتِمًا حَسَنَ هَذَا الْكِتَابِ لِكُونِهِ فِي مَوْضِعِهِ . وَأَمَّا لَوْ كُتِبَ إِلَى الْعَامَةِ وَقَدْ تَطَلَّعْتَ نَفْسُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَتَصَرَّفَتْ بِهِمْ ظَنُونُهُمْ فِي أَمْرِهِ لَجَاءَ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ عِنْدَهُمْ وَأَجْهَنَهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِطْنَابَ بِلَاغَةٌ وَالتَّطْوِيلُ عِيٌّ فَإِنَّ الْإِطْنَابَ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدَةٍ تَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ فَائِدَةٍ بِمَا تَأْخُذُ النَّفْسُ مِنْهُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالتَّطْوِيلُ بِمَنْزِلَةِ شُكُوكٍ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا يَقُوتُ فِهَذَا حِكَايَةُ كَلَامِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ . . . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِهِ عَلَى قَوْلِ أَبِي هَلَالٍ مَا خُذْنَا فَقَالَ أَمَا قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ الْإِطْنَابُ فِي الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ فَإِنَّ الْبَيَانَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ هُوَ الظُّهُورُ وَالْوَضُوحُ فَيَكُونُ الْإِطْنَابُ عَلَى قَوْلِهِ ظُهُورًا فِي الْكَلَامِ وَوَضُوحًا لَا غَيْرَ وَيُلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ إِطْنَابًا سِوَاكَ ذَلِكَ الْكَلَامِ إِيْجَازًا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَصْنَافِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِأَنَّ أَبَا هَلَالٍ قَدْ جَعَلَ الْإِطْنَابَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ ضُرُوبِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَيَانَ وَصَفَ يَمُومُ كُلَّ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ مِنْ إِيْجَازٍ أَوْ تَطْوِيلٍ أَوْ تَكْرِيرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَقَعَ لَهُ بَلْ الْإِطْنَابُ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ فَإِنَّ أَصْلَهُ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ مِنْ أَطْنِبَ فِي الْكَلَامِ إِذَا بَلَغَ فِيهِ كَمَا تَقْدِمُ (الرَّابِعُ) فَمَا يَسْتَحْسِنُ

فيهما وما يستقبح . أما الذي يستقبح منهما فهو أن يُطنب فيها لا يبنى فيه الاطناب ويطول فيما يبنى فيه الایجاز أو يطول فيما ليس في اطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى كما روى أن رجلاً استدعى لأداء شهادة على تكاح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أني كنت في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا في الدار الفلانية (ووصفها) من الحارة الفلانية (ووصفها) وسمى الساكنين بها من البلد الفلاني وقت كذا من النهار وقد طرق الباب غلام وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . . وهذا النوع من الاطالة ليس في القرآن العظيم منه شيء . وأما الذي يستحسن منهما فهو اطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى في النفس ولتعزيزه والبيان قوة الملكة في التلعب بالكلام أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز الى فهمه فهو محتاج الى بسط الكلام واتساعه حتى يفهم (الخامس) في أقسامهما . أما أقسام الاسهاب والاطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا لا يخلو إما أن يكون في جملة واحدة أو في جل . . فأما الذي في جملة واحدة فعلى قسمين . حقيقة ومجاز . أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور ويكون مغايراً له . أما الأول فكقوله تعالى « فإذا نُفِخَ في الصورِ نفخةٌ واحدةٌ ومُحَمَّدٌ الْآرِضُ وَالْجِبَالُ فُدُكُنَا دَكَّةٌ واحدةٌ » . وكقوله تعالى « أفرأيتُمُ اللاتَ وَالتَّوَيَّ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى » . وكقوله تعالى « تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » . وأما الثاني فكقوله تعالى « ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ » . وكقوله تعالى « إِذْ تَأْتُونَهُ بِالْأَسْتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْوَإِهِمْ » . وكقوله تعالى « نَحَرٌ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنَ فَوْقِهِمْ » . . وأما المجاز فكقوله تعالى « فاتها لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » واستعمال هذا مجازاً أحسن . . وأما الذي في الجمل فأقسامه أربعة . الاول أن تذكر أشياء كل واحد منها يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحداً كقول أبي تمام

مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍّ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مَحْجَلٍ

ولو قال - من منة وصنيعة واحسان - كان المعنى واحداً . وكذلك قوله

ولي سَجِيَّاتٍ تُصِفُ ضِيُوفَهُ وَيُرْجِي مُرَجِّهَ وَيُسْأَلُ سَأَلَهُ
 وكل هذه دلالة على زيادة كرمه . . والثاني الاثبات والنفي وهو أن يذكر الشيء اثباتاً
 ونفياً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً كقوله تعالى « ولكنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » . وكذلك
 قوله تعالى « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِالْمُتَّقِينَ » مع قوله « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » . . الثالث أن تذكر الشيء ثم
 تضرب له أمثالا تستهني كقول البحري يصف امرأة

ذاتُ حُسْنٍ لو استزادت من الحسنِ إليه لما أصابتَ بمنزلة

فهي كالشمسِ بهجةً والقضيبِ اللدنِ قدًّا والرَّيِّمِ طرفاً وجيذاً

. . وكذلك قوله

تَرَدَّدَ فِي مُحَلَّتِي سُودَدٍ سَمَاحاً مُرَجَّجاً وَبَاساً مَهِيَّاً

وَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَتِيَّاً

. . الرابع الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم ونحوهما كقول بعضهم

لَأَعْلَى الْوَرَى قَدْرًا وَأَوْفَرُهم حَيًى وَأَرْشَدُهم رَأْيًا وَأُسَمِّحُهم يَدًا

. . وأما الإطالة فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . كما تقدم . . فأما الحسنة فهي

على قسمين . الأول منها ما يكون بسطاً للكلام واتساعاً فيه كما ورد في القرآن العظيم

مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها

وأصولها وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرت فوائد محصولها وقصة

ذی القرنين بطول مقولها وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها . الثاني أن لا تكون

الإطالة بسبب تكرار اللفظ وهنحن نذكر أقسامه ونبين أن شاء الله تعالى (السادس)

في الفرق بينهما . والفرق بينهما أن الإطالة على سائر أحواله بلاغة والتطويل بعضه

عنى ودكاكة . . وقال ابن الاثير الاطناب للنحواس والإطالة للعوام . وهذا يحتاج الى

تفصيل وقد تقدم

القسم الحادى عشر

(التكرار والكلام فيه من وجوه)

الأول فى حقيقته . الثانى فى ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها . الثالث فى أقسامه . الرابع فى ذكر ما يهيم فيه التكرار الحسن منه والقيح (أما الأول) حقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتى بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الاول والثانى فإن كان متحد الالفاظ والمعانى فالفائدة فى اثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره فى النفس وكذلك اذا كان المعنى متحداً . وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة فى الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (وأما الثالث) فأقسامه ثلاثة . الأول ما يتكرر لفظه ومعناه متحد . الثانى ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف . الثالث ما يتكرر معنى لا لفظاً . . أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فنه قوله تعالى « فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر » . وكقوله تعالى « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » كرر - أولئك - وكذلك قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » . وكذلك قوله تعالى « فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » كرر - أن - فى أربعة مواضع تأكيذاً . وكذلك قوله تعالى « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » ومثله فى القرآن كثير . . ومن هذا النوع قول الشاعر

* ألا يا سلمى ثم سلمى ثم سلمى *
 * ألا يا سلمى ثم سلمى ثم سلمى *

والغرض من هذا المبالغة فى الدعاء لها بالسلامة . وقد يكرر القول طلباً لدوام تذكر الازهاب كما كرر فى سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وقد يكرر اللفظ

ايضاً ليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيداً كما في قوله تعالى « ثم إن ربك للذين
 عماوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »
 . ومن ذلك الآية التي قبل هذه الآية . ومن ذلك قوله تعالى « إني رأيت أحد عشر
 كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » . . وأما ما تكرر لفظه ومعناه مختلف
 فنه قوله تعالى « وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ
 الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ » فإن المقصود بقوله - يحق الحق - بيان ارادته وبقوله
 - ليحق الحق - الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم . وكذلك قوله
 تعالى « لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ولا أنتم تعبدون في
 المستقبل ما أنا عابد له ولا أعبد قط آلهنكم حتى أكون الآن عابداً لما تعبدون ولا أنتم
 عبدتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين . . ومن ذلك قوله تعالى « وإذا طلقتم
 النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو سرحوهن بمعروفٍ » الى قوله في
 الآية الأخرى التي بعدها « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن » فكرر
 - بلغن - لاختلاف البلوغين . . وأما قوله تعالى « ولما اهبطوا بمعضكم لبعض عدوٍّ » ثم
 قال « قلنا اهبطوا منها جميعاً » فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى وقيل هو من باب
 تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين فإن الهبوط الأول كان من الجنة الى سماء الدنيا
 والهبوط الثاني كان من سماء الدنيا الى الارض وفي القرآن العظيم من هذين القسمين
 كثير . . وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو
 لا يكون كذلك . والذي يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعم أو لا يكون
 كذلك . فأما ما يكون أحدهما أعم فكقوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى
 الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فان الدعوى الى الخير أعم من الأمر
 بالمعروف . وكذلك قوله تعالى « فيهما فاكهة ونخل ورمان » . وكذلك قوله تعالى
 « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ومثاله في الشعر كثير . قال الشاعر
 إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجددي بنيت لهم مجداً

وَإِنْ ضَيُّعُوا عَهْدِي حَفِظْتُ عُهُودَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا نَجِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
والغرض بهذا زيادة تأكيد الخالص .. وأما الذي لا يكون أحد المعنيين أعني فكقول
حاطب بن أبي باتمعة - والله يا رسول الله ما فعلت ذلك كفرأ ولا ارتدادأ عن دين
ولا رضي بالكفر بعد الاسلام .. وأما الذي لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى
« وَإِنْ تَمْنُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَفَرَّجُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وكذلك قوله تعالى
« فَمِصَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » .. وكذلك
قول الشاعر

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَايَأَ بَصِيدًا عَنِ الْإِطْوَاطِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِّ
فَإِذَا لَبِيتُ إِكْرَامَهُمْ وَافْتِقَادَهُمْ وَإِحْسَانَهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلِي

هذا ما يكون من التكرار لفائدة .. وقال ابن الأثير في جامع التكرار في المعنى على
قسمين . مفيد . وغير مفيد . فالفيد نوعان . الاول اذا كان التكرار في المعنى يدل
على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد وهو من باب التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك .. فما جاء
منه قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » ألا ترى أن
العرب انما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال
ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص . فأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان فمعدودات فالفائدة اذا في قوله - إلهين اثنين . وإله واحد -
هو أن الاسم الحامل للمعنى الافراد والثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فاذا
أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما وكان الذي يساق اليه الحديث هو العدد
شُفِعَ بما يؤكد فدل به على أن القصد اليه والناية به ألا ترى أنك لو قلت - انما هو
إله - ولم تؤكد بواحد لم يحسن وخيل أنك تنبت الالهية لا الوحدانية وهذا باب من
باب تكرير المعاني وعسر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير
فاعرفه .. ومن هذا النحو اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص
والآخر عام كقوله تعالى « ولئن كن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

ويُنهَوْنَ عن المنكر ، الآية فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لأن
الأمر بالمعروف خاص والخير عام ، فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف
لأن الخير أنواع كثيرة من جعلها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر
الخالص هاهنا ذكر العام للتنبيه عايه لفضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى » الآية . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها . . النوع الثاني من الضرب الاول من
القسم الثاني اذا . لكن التكرير في المعنى يدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في أول
هذا الباب كقولك أظمئ ولا تعصني لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة
في ذلك تبييت الطاعة في نفس المخاطب وتقرير لها في قلبه . والكلام في هذا الموضع
من التكرير كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد به
غرضاً واحداً فاعرفه . . الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو
غير المقيّد . فن ذلك قول ابن هاني المغربي

سارت به ضُغُ القِصائِدِ شُرْدَاً فكأنما كانت صَباً وقبولا
فكأنه قد قال - فكأنما كانت صَباً صَباً - لأن الصبا هي القبول . وليس ذلك مثل
التكرير في قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - فيما يرجع الى تكرير
اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف - فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين
الآيتين يشغل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هاني - صَباً وقبولا - لا يعطى
إلا معنى واحداً لا غير وهذا لا ينبغي على العارف بصناعة التأليف . . ومن هذا النحو
قول الصابي في كتاب - وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء وانتظار له واستبطاء فان
التأخير والاستبطاء بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في التجوز وهو التقرير في نفس
المخاطب لبعداً لئلا يطول المدّة في انقطاع كتابه عنه وذلك مملاً بأس به في هذا الموضع
. . وأمثال هذا كثير فاعرفه (وأما الرابع) فالذي يتهيا التكرار أسماء وافعال .
وجرووف . ومعان . وقد تقدم الكلام على الاسماء والافعال والمعاني . . وأما الجرووف
فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . . فأما الحسنة فهي كما التزمه الحريري في رسالته

السنية والشينية كـر الـسـين في كل كلمة في السنية والشين في الشينية • وكما التزمه الحصري في أول معشراته من حروف المعجم • وكما التزمه الفازازي في عشرينياته • وانما حصي هذا النوع لأن فيه دليلاً على قوة الملكة في الكلام والقدرة على التلعب بحروفه في النثر والنظام وهو من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتي بيانه • • وأما القبيحة فكثيراً ما حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلماً حتى يصعب النطق به ويذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قُربٌ قبرٍ حربٍ قبرٍ

(وأما الخامس) في الحسن منه والقبيح • • فأما الحسن منه فقد تقدم • • وأما القبيح فهو التكرار العاري عن الفائدة وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معاً • أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً وبعضهم فصل فأعابه على النثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبي

بحرته تـمـوّد أن يذمّ لأهله من دهره وطوارقِ الحـدثانِ

والدهم وطوارقِ الحـدثانِ بمعنى واحد • • وكذلك قيل من قال

إني وإن كان ابنُ عمّي عائلاً لمصادقٍ من خلفه وورائه

• • وأما الثاني فقد اتفق على قبحه وهو كقول مروان

سقا الله نـجـداً والسلامُ على نـجـدٍ ويا حـبـداً نـجـدٌ على النأي والبُعدِ

نظرتُ إلى نـجـدٍ وبعـداً دُونها لعلّ أرى نـجـداً وهـيـاتٍ من نـجـدٍ

• • وكذلك قول أبي نواس

أقنأ بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحّلِ خامسُ

• • وكذلك قول المتنبي

ولم أرَ مثلاً جيرانِي ومثلي لِمثلي عندَ مثليهم مَقامُ

• • وأقبح من ذلك قوله

وقلقتُ بهمّ الذي قلقتُ الحشَى قلاقلَ عيسى كلّهِنَّ قلاقلُ

• • وقال ابن الاثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبي انه لا يلزمه من هذا عيب وانه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور الثعالبي

واذا البلابلُ أطربتْ بهدبِها فأنفِ البلابلِ باحتساءِ بلابلِ

والصحيح أنه مستهمل وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه وفى تمثيله بيت الثعالبي وبيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القفلة والقلاقل أربع مرات وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة بقول - وحركتْ بالهم الذى حرك الحشى نوفا سراع الحركة كلهن منحركات - وهذا من أقبح ما يكون من التكرير • وأما بيت الثعالبي الذى مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظة - البلابل - قد وردت فيه ثلاث مرات وكلُّ منها دال على معنى غير الآخر فالاول جمع ببلبل وهو طائر حسن الصوت والثانى جمع ببلّة وهى وسوس الصدور والثالث جمع ببلّة وهى مخرج الماء من الابريق فهو يقول - واذا الاطيار من البلابل هدلت وغرّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الحمر من بلابل الاباريق - وهذا من أحسن ما يكون من التجنيس ومن هاهنا وقع السهو للواحدى وهو أن البلابل فى شعر الثعالبي يدل على معان مختلفة والقلاقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه • • ومثل قول المتنبي فى القبح قوله أيضاً

ولم أرَ مثلَ جيرانى ومثلى لثلى عند مثلهم مقامُ

فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً زائداً ألا ترى أنه يقول لم أرَ مثلَ جيرانى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين

— القسم الثانى عشر —

(القسم)

وهو أن يُقسم فى كلامه بشئ لم يُرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه وانما يُريد به

بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى « فَوَرَبِّ السَّماِ وَالْأَرْضِ
لَانه لَحَقُّ مِثْلَ ما أَنكُم تَطْفُون » . وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتابِ مَسْطُورٍ » .
وقوله تعالى « وَالنَّجْمِ إِذا هَوى » . وقوله تعالى « وَالسَّماِ وما بَناها وَالْأَرْضِ وما
طَحَّاهَا وَنَفْسٍ وما سَوَّاهَا » . وقوله تعالى « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفى سَكْرَتِهِمْ يَعمَهُون »
أقسم بهذه الاشياء كلها لعظم حاقها ولشرفها عنده وأقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم
ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه . . . ومنه قول الشاعر

حَلَفْتُ بِمَن سَوَّى السَّماِ وشادَها وَمَن مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ
وَمَن قامَ فى المَقولِ مَن غيرِ رَبِّه بِما شئتَ مَن إِدراكِ كُلِّ عِيانِ
لما خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلا لارْبِعِ عَقائلَ لِم يُعَقِّلَ لَهَنَ نَوانِ
لِتَقْبيلِ أَفْواهِ وإِعطاءِ نائلِ وَتَقْلِبِ هَندِيَّ وَجَدْبِ عِنانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) القسم فى القرآن العظيم على قسمين . مظهر . ومضمّر .
فالمظهر كما تقدم . والمضمّر على قسمين . قسم دلت لام القسم على حذفه كما فى قوله تعالى
« لَتَبْأُوْنَ فى أَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ » . وفى قوله تعالى « لَتَرَوْنَّ الْجَحيمَ » . والقسم
الثانى ما دلّ عليه المعنى فى مثل قوله تعالى « وَإِنْ مَنكُم إِلا وارِدُها كان على رَبِّكَ
حَتماً مَّقْضِيًّا » تقديره والله إِنْ مَنكُم إِلا وارِدُها يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- لن تمسه النار إِلا تَحْمِلَ القسم - وله فى القرآن نظائر

القسم الثالث عشر

(الاقتباس . ويسمى التضمين)

وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه فى لفظه لتأكيد المعنى الذى
أتى به أو ترتيبه فان كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وان كان كلاماً قليلاً
أو نصف بيت فهو إبداع . وعلى هذا الحد لبس فى القرآن من هذا النوع شئٌ إِلا

فما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » • ومثل ما حكاه سبحانه من قول المنافقين « قالوا انما نحن مُصلِحون » • وقولهم « قالوا أنؤمنُ كما آمن السفهاء » • وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء • ومثله في القرآن كثير • وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الاعجمية مثل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » • وهى لغة للحطب بالحشية و - كالف - س - طاس - وهو الميزان باللغة الرومية - والفردوس - وهو البستان و - القنطار - وهو اثنا عشر ألف أوقية • • • ومن اللغة المسية - الكف • والساق • والفراش • والوزير • والقاضى • والوكيل • والشراب • والحلال • والحرام • والحسد • والصواب • والبركة • والخطأ • والوسوسة • والكساد • والنطيحة • والحط • والقلم • والهوى • والكرسى • والقفل • والركاب • والغاشية • والمشرق • والمغرب • واللطيف • ومن اللغة الفارسية المحكية - الابريق • والسندس • والياقوت • والزنجير • والمسك • والكافور - وهذه الكلمات كلها حكاهما الثعالبي في فقه اللغة وهى عند المحققين مختلف فيها ففهم من قال انها أعجمية عرت ومنهم من أسكر ذلك وقال ليس في القرآن لفظ أعجمى لقوله تعالى « بلسان عربى مُبين » وهذه الالفاظ انما هى عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية والرومية • وانما الذى ورد في القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام الله عز وجل فأشبهه التضمين والابداع • من ذلك قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » • ومنها قوله تعالى فيما حكاه من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك قوله تعالى « محمدٌ رسولُ الله » الى قوله « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل » فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين • • وأما التضمين في الشعر فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهوراً أو غير مشهور فإن كان مشهوراً لم يحتاج الى تنبيه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تغنى عن ذلك وان كان غير مشهور فلا بد من تنبيه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر

ما على طيبٍ ليلٍ سَلَفَتْ من ليالى الوصلِ لو عادتْ لنا

نبه عليه في البيت الذي قبله بقوله

فأنا من فرطٍ وجدي مُشِدُّ بيتٍ شرٍ قاله من قبلنا

•• وكذلك إذا كان المضمّن نصف بيت كقول ابن البائنة الاندلسي في بيت من قصيدته

حبيبٌ الى قابي حبيبٌ لقولي عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلنا

•• ومن التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بفتة له

مرت على عافٍ فمات فوقه جوعاً وقالت والمدامع تسبجهم

وقفت الهوى في حيث أمت فليس لي متأخرٌ عنه ولا مُتقدِّمٌ

•• ومثله قول آخر

إن برذوني المدقع بالاصقا ت في لوعةٍ بكابدُها

رأى بغال الأمير عابرةً مالتن يوماً فظل ينشدها

قفا قليلاً بها على فلا أقل من نظرةٍ أزودُها

•• وقد وقع التضمين في الشعر في بيت كما ذكرناه وفي بيتين •• ومنه ما قيل في الحبص

بيص حين قتل جُريجاً وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق في حلقها قصة

وأطامقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة وأدخلت على الوزير فإذا

فيها مكتوب هذه الايات

يا أهل بغداد إن الحيص بيص أتى بخزبة البسته العار في البكة

أبدى شجاعته مالميل مجترئاً على جري ضعيف البطش والجلد

فأشدت أمه من بعد ما احتسبت دم الأبيلق عند الواحد الصمد

أقول للنفس تأساء وتضرية إحدى يدي أصابني ولم تُرد

كلامها خُف من فقد صاحبه هذا أخى حين أذعوه وذا ولدي

وهذان البيتان البيت الأخير والذي قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها فقالت

ذلك تسلية لنفسها وتبتيّاً لقابها •• وأما أوصاف الايات والكلمات فكثير جداً ••

فمن ذلك قول ابن المعتز

عَوْدُ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ اقْرَاصُهُ مَنَى بِبَاسِينِ
قَبْتُ وَالْأَرْضُ فُرَاشِي وَقَدْ خَنَّتْ قَفَانِيكَ مَصَارِينِي

.. ومنه قول الضحاک

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي قَفَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
.. وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء في أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التي هي من جملة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباساً من القرآن وهذا مما قد نهى عنه جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك أو يستشهد به في واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه - ثم جئت على قدر يا موسى - وأشبه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به .. فن التضمن المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السري حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه - لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون - وقال لرسوله - ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون - وأوحش من ذلك وأعظم منه في الشعر قول الشاعر

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَقِي إِذَا اعْتَرَفَ بِمَا جَنَاهُ وَانْهَى عَمَّا اقْتَرَفَ
لِقَوْلِهِ قُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَنَبَّهُوا يُفَكَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَافَ

.. وقول الآخر

قَتُّ لَيْلِ الصَّدُودِ الْأَقْلِيلَا ثُمَّ رَنَلْتُ ذَكَرَهُمْ تَرْبِيلَا
وَجَعَلْتُ السَّهَادَ كَلَامًا لَعِينِي وَهَجَرْتُ الرِّقَادَ هَجْرًا جَبِيلَا
كَلَّمَا ضَمْنَا مَحَلَّ عُنَابِ أَخَذْنَا الْعِيُونَ أَخْذًا وَبِيلَا

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا وما أشبهه مما يمدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس مساعه وهو مندرج في التحريم لما فيه من عدم الاجلال لكلام الله عز وجل والنمط وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم .. وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواظهم

وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة وابن الجوزي وقد استعمله كثير من الناس

❦ القسم الرابع عشر ❦

(التذييل والكلام عليه من وجوه)

الأول في حده والمعنى الذى أتى به من أجله • الثانى فى اشتقاقه • الثالث فى أقسامه (أما الاول) فقال علماء علم البيان انه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين • قسم لا يزيد على المعنى الاول وانما يؤتى به للتأكيد والتحقيق • وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله • مثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمناً للقسمين معاً قوله تعالى « إن الله آتى من المؤمنين أنفسهم وأمرائهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » فى الآية الكريمة تذييلان • أحدهما قوله تعالى - وعداً عليه حقاً - فان الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سببه - انه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها • والآخر قوله سبحانه - ومن أوفى بعهده من الله - فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم وهو تذييل ثانٍ للتذييل الاول • ومنه قوله عز وجل « ومن أحسن من الله قيلاً » • وكقوله تعالى « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور » ومثله فى القرآن كثير • ومثال ما جاء منه من السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم - من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عسراً ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك - فقوله ولا يهلك على الله الا هالك تذييل فى غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل • • ومثال ما جاء من ذلك فى الشعر قول النابغة

ولست بمُستبِقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ أئى الرجالِ المهذبُ

فقوله - أى الرجال المهذب - من أحسن تذييل وقع فى شعر .. ومنه قول الحطيئة
نزورُ فتىً يُعطى على المذبح مالهُ ومن يُعط أثمانَ المحامدِ يُحمدُ

فان عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج امثل لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى ..
وأما الحروف فستأتى أمثاله فى الكلام على أقسامه ان شاء الله تعالى (وأما الثانى)
فان التذييل مصدر ذيل الشئ يذيله تذييلا اذا جعل له ذيلا مأخوذ من ذيل المرأة
وهوما يفضل عن قامتها ويزيد عاها فيبقى مجرورا على الارض . قال الشاعر
كُتِبَ القتلُ والقِتْلُ عاينا وعلى الغانيات جرُّ الذبولِ

.. وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذيل المرأة فقل يطهره ما بعده
فكانه شبه هذه الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر
على الارض (وأما الثالث) فالتذييل على ثلاثة أقسام قد تقدم منها قسمان والثالث هو
أن تزيد احدى الكلمتين على الاخرى بحرف فقط إما من آخرها واما من أولها . فثال
الزائد فى آخر الكلمة قولهم فلان حام حامل لاعباء الامور كاف كافل بمصالح الجمهور
.. وكقول أبى تمام

يمدُّونَ من أيدي عواصٍ عواصم تصولُ بأسيا في قواضٍ قواضبِ
.. ومثال الزائد فى أولها قوله تعالى «والنَّفْتُ السَّاقُ بالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ»

ومنه قول الشاعر

وكم سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَى عَوَارِفٍ ثنائى على تلك العَوَارِفِ وارف^(١)
وكم غَرَّرَ مِنْ بَرٍّ وَلَطَائِفٍ لشكرى على تلك المطائِفِ طائِفٍ

— القسم الخامس عشر —

(المغالطة . والكلام عليه من وجوه)

الاول فى حقيقتها . الثانى فى اشتقاقها . الثالث فى أقسامها (أما الاول) فقال

(١) فى هامش الاصل .. أى متمد يقال ورف الظل اذا امتد

علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء وما يتوهم مقابله وليس كذلك (وأما الثاني) فاشتقاقه من الغلط وهو من باب المفاعلة من واحد مثل طارقت النعل وعاقبت اللص لأن فاعله يذكر شيئاً يقع به غيره في الغلط ويوهم ما ليس هو المراد وهو المشار إليه في الحديث المروي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطن وهي شرار المسائل (وأما أقسامها) فاربعة • الأول ان يذكر الشيء وما يتوهم مقابله ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر

وما أشياء نشرها بمالٍ وإن نفقت فأكسدت ما تكون

أوهم بنفقت النفاق السوقي وهو رواج السلعة ومراده الموت يقال نفقت الدابة اذا ماتت • وقد ورد منه عن العرب كثير • من ذلك ما روى أن حيين من العرب اقتتلا فقتل من كل حي قتلى وأسرى فقال أحد الحيين لأشير عندهم أرسل الى قومك رسولا يقول لهم ليكرموا أسيرنا فأننا لك مكرمون فقال اتتوني برسول منكم أرسله اليهم فجاؤ برجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك إلا عاقلاً أبلغ قومي السلام وقل لهم ليكرموا فلانا فان قومه لي مكرمون وقال له وقل لهم يحلوا عن ناقتي الحمراء ويركبوا جملي الاصهب بآية ما أكلت معكم حبساً وسلوا الحارث عن خبري فلما بلغهم الرسالة حلوا وناق ذلك الرجل وقالوا والله ما له ناقة حمراء ولا جبل أصهب فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال فقال أشار بقوله حلوا عن ناقتي الحمراء واركبوا جملي الاصهب ارتحلوا عن هذه الارض الدهناء واصعدوا الجبل وأشار بقوله بآية ما أكلت معكم حبساً الى أن أخلاطاً من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حبيكم ليلاً فان الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فارتحلوا عن تلك الارض وصعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم في المكان الذي كانوا فيه فسلموا من اغتيال عدوهم لهم • وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

محلوا عن الناقة الحمراء أرحلكنم والبازل الأصهب الميعول فاصطنعوا

ان الذئب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر إذا شعبوا

ومثل هذا عن العرب كثير • • الثاني أن يذكر مع الشيء مثله ويسمى مغالطة المثل

كقول المتنبي

يَسْلُتُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَ نَهْدٍ لفارسه على الخيلِ الخيَّارُ
وَكُلِّ أَصَمٍّ يَعْصِلُ جَانِبَهُ على السَّكِينِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ
يُنَادِرُهُ كُلُّ مُتَلَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لثَعْلَبِهِ وَجَارُ

والثعلب - الحيوان وطرف السنان - والوجار - بيت ذلك الحيوان . وكقول الشاعر
بَرَّغَمَ شَيْبِيبَ فَارَقَ السِّيفُ كَفَّهُ وكنا على العِلَّاتِ يَضْطَجَعَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي
- فالسيف - يقال له يمان إذا كان صارماً - وشيب - من قيس وكان بين قيس ويمان
محاربة . . ومنه أيضاً

وَحَاطَتْهُمُ بَعْضُ الْقُرْآنِ بَعْضُهُ فِجَعَاتُ الشُّعْرَاءِ فِي الْأَنْعَامِ

- فالشعراء - جمع شاعر واسم سورة - والأنعام - الابل والبقر والغنم واسم سورة أيضاً
وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتئاذ بفهم ما فيه غموض والأول أحسن
لزيادة غموضه . . الثالث من المغالطات الالغاز . والغز الطريق المنحرف وسمى به
هذا لانحرافه عن نمط الكلام ويسمى أيضاً أحجية لأن الحجي هو العقل وهذا النمط
يقوى العقل عند التمرن والارتياض بالكثير من حله وإعمال الفكر فيه ويسمى أيضاً
المعتمى لما فيه من الخفاء . ومن هذا النوع في أشعار العرب والمختصرين والاسلاميين
وهو في أشعار المتأخرين منهم أكثر . . ومنه في القرآن العزيز ما جاء في أوائل السور
من الحروف المفردة والمركبة التي دق معناها وبعد غورها غزاها وحارت العقول في معانيها
• ومنها قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام حين سئل لما كثر الأصنام وقيل له
« أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا » قَالَهُمْ بِهِذِهِ الْمَغَالِطَةُ
ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما
جادل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال إبراهيم « رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أَحْيِي وَأُمِيتُ » مُحْكِي أَنَّهُ أَتَى بِأَنَيْنِ فَقَتَلَ أَحَدَهَا وَأَرْسَلَ الْآخَرَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ النَّمْرُودِ
مُغَالِطَةً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَيِّتَ

ويعت الخى بغير آله لا يحى ويميت كذلك الآ هو •• ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال انه رجل يهدينى الطريق •• ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين ومثله كثير

القسم السادس عشر

(الاشارة • وتسمى الوحى أيضاً • والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها • الثانى فى أقسامها • الثالث فى الفرق بينها وبين الكناية (أما الاول) فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً وذلك من ماح الكلام وجواهر النز والنظام • ومنه قوله تعالى « ولا تَقُلْ لهما أفٍ » أشار بذلك الى بر الوالدين وترك التعرض اليهما يسير من الإيلام فضلاً عن كثيره • ومنه قوله تعالى « فيهنّ قاصرات الطرف » اشارة الى عفافهن • ومنه قوله تعالى « وفرش مرفوعة » اشار الى نساء كرام • ومن هذا النوع فلان طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد اشارة بقوله - طويل النجاد - الى تمام خاقته وبقوله - رفيع العماد - الى أن بيته مرفوع يعرفه الاضياف والطراق وبقوله - كثير الرماد - الى كثرة قراه الاضياف •• ويقولون أيضاً فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم - جبان الكلب - الى أنه لكثرة طرافه أنست كلابه الطراق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنانها فرحاً بهم وأشاروا بقولهم - مهزول الفصيل - الى كثرة سقيه الالبان ومداومة حلب مواشيه فتقل بذلك ألبانها فيهنزل الفصيل بسبب ذلك • والاشارات فى القرآن كثيرة خصوصاً على ما يراه أرباب الحقائق • وبعض أرباب هذه الصناعة يسمي هذا النوع الإيلاء •• ومنه قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط إماله نهل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

أشار بقوله - بعيدة مهوى القرط - الى طول عنقها . . ومنه قول امرئ القيس

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغِيَامَ وَرَيْحَ الْخُزَامَى وَنَشَرَ الْعُطْرُ
يُعَلِّقُ بِهِ بَرْدُ أَنْبَابِهَا إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ

أشار الى طيب رائحة فيها وقت السحرو هو وقت تغير الافواه (وأما الثانى) فأقسامها أربعة . الاول ما قدمناه . والثانى أن يكون اللفظ القليل مشتقاً على المعنى الكبير . ومنه قوله تعالى « فيها ما تشتهى النفسُ وتَلَذُّ الأعينُ » جمع ما تميل اليه النفوس من الشهوات وتلذذ الأعين من المراتب . ومنه قوله تعالى (فأوحى الى عبدِهِ ما أوحى) . والثالث من أنواع الاشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والالغاز وقد تقدم بيانهما . الرابع من أقسامها التورية وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أمهله لاما استعمله ولهذا مواضع نينها وأملتها فيه ان شاء الله تعالى (وأما الثالث) فالفرق بينها وبين الكناية أن الاشارة فى الحسن والكناية فى القبيح وسيأتى بيانه

القسم السابع عشر

(فى الكناية . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى المعنى الذى أتى بهامنه . الثالث فى أقسامها (أما الاول) فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هى اطلاق لفظ حسن يشير الى معنى قبيح كقوله تعالى « وَأَوْزَنْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا » أراد بالارض الثانية نساءهم اللاتى كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم . . ومنه قوله تعالى « وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكل الطعامَ ويمشى فى الأسواقِ » يريدون أنه يتغوّط فكثروا عن التغوط بأكل الطعام لانه سيئه . . ومنه قوله تعالى « أَحِلَّ لَكُمْ لَبَءَ الصَّيَامِ الرِّفْقُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » كفى بالرفق عن

الحديث في الجماع وباللباس عن الوطء نفسه . ومنه قوله تعالى « وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ »
 أى هيأناها للولادة بعد الكبر . ومنه قوله تعالى « وامرأته قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ » أى
 حاضت . قال بعض المتأخرين من الحذاق في هذا الفن الكناية في اللفظة الست وفي
 الصناعة أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً للحقيقة مع ضمنه أى ارادتها^(١) وإذا استعمل اللفظ
 في ذلك كان ضرباً من الاستعارة وتقع الكناية في المفرد والمؤلف وسأنى بيانه (وأما
 الثانى) فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الاجمال في الخطاب والدفع بالتي هي أحسن
 والتجنب للهجر من القول إذ هو أرسخ في الالفة وأمكن . قال الله تعالى « ادْفَعْ بِالَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (وأما الثالث) فقد اختلفت
 عبارات أهل هذه الصناعة فيها وآثرها ما ذكره ابن الاثير في جامعه قال إن الكناية
 على قسمين . قسم يحسن استعماله . وقسم لا يحسن استعماله . فأما الضرب الأول وهو
 الذى يحسن استعماله فينقسم الى أربعة أقسام . الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل
 الكناية وذلك أن تراد الإشارة الى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر وتكون تلك
 لالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الإشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان
 نقي الثوب - أى منزّه عن العيوب وللکلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه
 الخالص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لانه اذا صور في نفسه
 مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع الى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فن بدیع التمثيل
 قوله تعالى « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » فانه مثل الاغتياب بأكل الانسان
 لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم لآخ ولم يقتصر على لحم الآخ
 حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحببة فهذه أربع دلالات
 واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب
 بأكل لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً وذلك لأن الاغتياب انما هو ذكراً مثالب
 الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يقتابه لأن أكل
 اللحم فيه تمزيق لا محالة وأما قوله لحم أخيه فلما في الاغتياب من الكراهة لأن أرباب

المثل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه . ولما كان كذلك كان بمنزلة لخم الاخ في كراهته ومن المعلوم أن لم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله الا أنه لا يكون مثل كراهة لم أخيه وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمد فوقها . . . وأما قوله - ميتاً - فلاجل ان المقتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها . . . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحجة فلما جُبات عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذى الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس . . . ومن هذا القسم قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط » فمثل البخل بأحسن تمثيل لان البخل لا يمدُّ يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وإنما قل - ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك - ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى - ولا تبسطها كل البسط - فتاب ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين الى العنق هي اقصى الغايات التي جرت العادة بفعل اليد اليها . . . ومن امثال العرب - ايك وعقيلة الملح - وذلك تمثيل للمرأة الحسناء في المنبت السوء لأن عقيلة الملح هي الذرة . . . ومن التمثيل قول ابن الله مينة

أبني أفي يميني يدك تركتني فأفرح أم صيرتني في سمالك

أى ابني أنزلتني كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثالا لا كرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثالا لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال وأكرم محلا . وفي القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » فأعرف ذلك . الثاني الاردا ف وهو اسم سماه قدامة بن جعفر الكاتب قال اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الاردا في التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان نبي الثوب - أى منزعه عن العيوب . . . وأما الاردا ففهو أن يراد الاشارة الى معنى

فترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادف له كقولنا - فلان طويل النجاد - والمراد طويل القامة الا انه لم يتلفظه بطول القامة الذي هو الغرض. ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة وليس نقاء الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب وانما هو تمثيل لها فاعرف ذلك. واعلم أن الارداف يتفرع الى خمسة فروع. الاول فعل البداة كقوله تعالى «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه» أى انه سفيه الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ماسمعه ولم يفعل كما تفعل المراجع العقول المثبتون فى الاشياء فان من سفاهتهم اذا ورد عليهم أمرٌ أو سمعوا خبراً أن لا يستعملوا فيه الروية وتأتوا فى تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه. ألا ترى أن معنى قوله - كذب بالحق لما جاءه - أى انه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وذلك أكد وأبلغ. ومن ذلك قوله تعالى «واذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» ومثله فى القرآن كثير. • • • الثانى من الارداف باب المثل وهو ان العرب تأتي بمثل فى هذا توكيداً للكلام وتشيداً من أمره يقول الرجل اذا نفي عن نفسه القبح - مثلى لا يفعل هذا - أى أنا لأفعله فنفى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فيسلك به طرق الكناية لانه اذا نفاه عن مثله ومثابه فقد نفاه عنه لا محالة. كذلك قولهم أيضاً - مثلك اذا سئل أعطى - أى أنت كذلك. وهو كثير فى الشعر القديم والمولود فى الكلام المنثور. • • • وسبب توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم تبييناً للامر وتوكيداً له ولو كان فيه وحده لفاق منه موضعه ولم ترتب فيه قدمه. مثل ذلك قولهم لانسان - أنت من القوم الكرام - أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلاً فيه. • • • ومن هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى «ليس كمثل شيء» وهو السميع البصير» وهذا كقولك - مثلى لا يفعل كذا - فينفون البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذلك قصداً للمبالغة لانهم اذا نفوه عن من يسد مسدده وهو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه. ونظير ذلك قولك للعربى - العرب لا تخفر الذم - وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذم وليس فرق بين قوله تعالى «ليس كمثل شيء» وبين قوله

ليس كالله شيء إلا من الجهة التي نهبنا عليها فاصرفها . الثالث من الادراف ما يأتي في جواب الشرط وذلك من أَلطف الكنايات واحسنها . فن ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث » كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك كنت تنكر حضور زيد فيها هو أي فأنت كاذب وهذا من دقائق الكناية . . الرابع من الادراف الاستثناء من غير موجب وذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى « ليس لهم طعام إلا من ضريع » الآية . - والضريع - نبت ذو شوك تسميه قريش الشبرق في حال خضرته وطرأوته فإذا يبس سمته الضريع والابل ترعاه طرياً ولا تقربه يابساً . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس وهذا مثل قولك - ليس لفلان ظل إلا الشمس - تريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم

وتفرّدوا بالمكرّمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

فالمراد نفي المكرّمات عن سواهم لأنهم اذا كان لهم الحرمان من المكرّمات فما لهم منها شيء . . الخامس من الادراف وليس مما تقدم بشيء وذلك نحو قوله تعالى « عفا الله عنك لِمَ أَذِنَ لَهم » والمراد به اذا خاطب بثل هذا غير النبي صلى الله عليه وسلم أمك أخطأت وبئس ما فعلت فقلوه - لم أَذِنَ لَهم - بيان لما كفى عنه بالعضو أي ماله أَذِنَ لَهم وهلا استأنيت فذكر العفو دليل ورادف له وان لم يذكر . وكذلك قوله تعالى « فأن لم تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » قيل لهم ان أَسْتَنْدِمْ الى العجز فأتركوا العناد فوضع قوله - فاتقوا النار - موضعه لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة من حيث أنه من نتائجه وروادفه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه - إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي - يريد فأطيعوني وأطيعوا أمرى واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قالت الأعرابُ آمَنَّا قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ألا ترى الى لطافة هذه الكناية فانها أفادت تكذيب دعواهم ودفع

ما انتحلوه وفائدتها هاهنا أنه روى في تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم لأن فيه نوع استقباح في الخطاب فوضع قوله - قل لم تؤمنوا - الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه لأن ذلك رادف له . . . وما يجري هذا الجرى قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مُرْسَلٌ من ربه » أثبت العلم بارساله وانه من الأمور الظاهرة المسلمة التي لا يدخلها ريب ولا يعتريها شك لكن عدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به أعنى صالحاً إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم والعلم بارساله اليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبي مرسل وهذا من دقائق الادراف ولطائفه . . . وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية في حديث أم زرع تصف زوجها له إبل قليات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزاهر أيقنَّ أنهنَّ هوالك . . . فان الظاهر من هذا القول أن ابله يبركن عند بيته بفنائها ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للاضياف فاذا هزمت المزاهر للغناء نحرها لضيوفه فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها وغرض الاعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجوود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وإنما أتت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها . . . وكذلك قال بعضهم

وَدِدْتُ وَمَا تَعْنَى الْوَدَادَةِ أَنِّي بما في ضمير الحاجرية عالمٌ

فان كان خيراً سَرَّني وعلمته وإن كان شراً لم تُلَمَّني اللوائمُ

أى أخرجها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر ذلك اللفظ المختص به لكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له . . . الثالث من الكناية وهو المجاورة وذلك أن يريد المؤلف ذكر شئ فيترك ذكره جانباً الى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنزة

فشككتُ بالرمحِ الأصمَّ نِيَابَهُ ليس الكرمُ على القنابِ مُعَرَّمٌ

أراد - بالثياب - هنا نفسه لانه وصف المشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة

وقال أيضاً

يزجاجة صفراء ذات أشعة قُرِنَتْ بأزهرَ في الشمالِ مُفدِّم

- الصفراء - هاهنا هي الحجرة والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ومشقة عليها
• وذهب بعضُ المفسرين في قوله تعالى « وَيَا بَكَ فَطَهَّرْ » انه أراد بالثياب القلب أو
الجسد أى وقلبك فطهر أو جسدك •• ومنه قول امرئ القيس

فَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مَنِ خَلِيقَةٌ فُسْلَى ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَسْلَى

•• الرابع - من الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة كقوله تعالى « أو من
ينشؤُ في الحلية وهو في الخِصامِ غيرُ مُبينٍ » فكنى بأنهم يتزينون في الحلية أى الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجارة الخِصوم كان - غير مبين - أى ليس عنده بيان ولا برهان
يحتاج به من خاصمه وذلك لضعف عقول النساء وقصانهن عن فطرة الرجال •• ومن
هذا الباب قال أبى نواس

تقولُ التي من بيتها خَفَّ مَخْمِلِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ

• ألا ترى ما أحسن هذه الكناية فانه أضربَ عن ذكر امرأته بقوله - من بيتها
خف مركبي - فانه من ألطف الكناية مذهباً •• وكذلك قول نصيب

فمأجوا فأتونا بالذى أنتَ أهأهُ ولو سَكْتُوا أَتَانَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

•• وقال الجاحظ نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول •• الثانى من التقسيم الاول من
الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبي

إِنِّي عَلَى شَفْعِي بِمَا فِي خُمْرِهَا لَا عِفْتُ عِمَافِي سِرَاوِيلَاتِهَا

فان هذه كناية عن الزهادة والعفة وعلم الله أن الفجور لا حسن منها •• وقد ذكر الشريف
الرضى هذا المعنى فابرزه في أجل صورة فقال

أَحْنُ إِلَى مَا يَضْمَنُ الْخُمْرُ وَالْحُلَى وَأَصْدِفُ عِمَا فِي ضِمَانِ الْمَآزِرِ

ألا ترى الى هذه الكناية ما لطفها والمعنيان سواء •• وبهذا يعرف فضل الشاعرين
أحدهما على الآخر وذلك اذا أخذنا معنىً وأحدأ فصاغه أحدهما أحسن صياغةً تمزه

القسم الثامن عشر

(التعريض)

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن فذهب بعضهم الى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد وبعضهم فرق بينهما . قال ابن الاثير في جامعه في الكناية والتعريض ان لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد تكلم جماعة من المؤلفين في هذا الفن وخلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين بالآخر وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي وأبو هلال العسكري والغامبي فأما ابن سنان فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلال

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر فنقول وبالله التوفيق . ان الكناية هي أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كفى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء اذا لمستته ولما كان الجماع ملامسة بالابدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً وضد الكناية التصريح . وأما التعريض فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح عن معرض الشيء وهو جانبه ويبت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية وهو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما آخر ودل به عليه لأن المصير الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أراده أمرؤ القيس من المعنى

وذلك مما لاختفاء به وحيث تين الفرق نشرع في أقسام كل واحد من الكناية والتعريض
فبقول . . ان الكناية هي على قسمين . أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذي نحن بصدد
ذكره هاهنا والآخر ما لا يحسن استعماله وقد تقدم بيانها . وأما التعريض فقد ميزه الله
تعالى في خطبة النساء فقال جل من قائل « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ
النِّسَاءِ » قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها وهي في عِدَّةِ الْوَفَاةِ انك لجميلة
وانك لحسنة وانى اليك لشيق وان قدر الله شيئاً فهو يكون وما أشبه ذلك . وعما هو من
التعريض قوله حكاية عن عبدة الاصنام حين كسرها ابراهيم عليه السلام « أَنْتَ قَمَاتَ
هَذَا بِأَلْهَتِنَا يَا اِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ » يعنى أن كبير
الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها ففرض ابراهيم صلوات الله
عليه وسلامه من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لانه قال - فسألوهم ان كانوا ينطقون -
هذا على سبيل الاستهزاء بهم . وهذا من رموز الكلام والقصد فيه ان ابراهيم عليه
السلام لم يكن القصد الصادر عنه الى الصنم انما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على
أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم
وتبكيتهم والاستهزاء بهم . ومن يديع التعريض قوله تعالى « قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا تَبْعَكَ الْآلِ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ
يَكُونُوا بِكَ كَاذِبِينَ » فقلوه - ما تراك الا بشراً مثلاً - تعريض انهم أحق بالنبوة منه
وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملائكة
وموازن لهم في الميزة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عنهم
- وما نرى لكم علينا من فضل - . ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه قال حكمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحداً بنى ابنه وهو يقول والله انكم
لتجنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن رنجان الله وان آخر وطئة وطئها الله بوج
. . اعلم أن - وج - بالطاقف والمراد غزاة حنين وادقبل وج لانها آخر غزاة وقع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وأما غزوات الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد

حينئذ فلم يكن فيهما وطأة اى قتال وانما كانتا مجرد مخرج الى الغزاة حسب من غير ملاقاته المدو أعنى ولا قتال لهم ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - على ما قبله من الحديث وهو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حينئذ كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما ستان ونصف وكأنه قال - وإنكم من ربحان الله - أى من رزق الله وأنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - فكان ذلك تعريضاً لما أراد وقصده من قرب وفاته ومفارقته لإياهم يعنى اودلاه وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها . ومن هذا الباب قول الشميدر الحارثي

بني عمننا لاتذكروا الشعر بعد ما دفتتم بصحراء الغمير القوافيا

فان ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ودفعه تعريضاً أى لانفخرون بعد ذلك الواقعة التي جرت لنا ولكم بذلك المكان . ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد الى المأمون فى حق بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع فلان الى أمير المؤمنين ليشطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فوق المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما

- ❦ القسم التاسع عشر ❦ -

(الاستطراد)

وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعلق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره مثل قوله تعالى « وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ » . ومثل قوله تعالى « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ

عادي ونمود • • ومثل قوله تعالى « أَلَا بُعِدًا لِّلْمُذِينَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ » ومثل هذا في القرآن كثير • • ومنه في الشعر قول السموءل بن عاديا
 وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَّا نَرَى الْقَتْلَ مُسَبَّةً إِذَا مَارَأْتَهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
 يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
 • • وقال آخر

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرُ عِرْقٍ لِّعَشِيرَةٍ كَرَامٍ وَأَنَا لَأَنْخَطُّ عَلَى الرَّمْلِ
 يَرِيدُ أَنَا لَسْنَا بِمَجْمُوسٍ فَإِنِ الْمَجْمُوسَ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا تَزَوَّجَ أُخْتَهُ أَوْ
 ابْنَتَهُ فَجَاءَتْ مِنْهُ بَوْلَدٍ أَنَّ ذَلِكَ الْوَلَدَ إِذَا خَطَّ بِيَدِهِ عَلَى دَاءِ الْخَلَّةِ اِبْرَاهُ

— القسم العشرون —

(في التورية)

وهو أن يعاقب المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعاقبها بمعنى آخر
 وهو في القرآن العظيم كثير • • من ذلك قوله تعالى « حَتَّى تَأْتِيَ مَثَلَ مَاوْتَى رَسَلِ اللّٰهُ
 اللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ » الآية الجلالة الأولى مضاف اليها والثانية مبتدأ بها • وقوله
 تعالى « وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ومثله قوله
 تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ »

— القسم الحادى والعشرون —

(الاحتجاج النظرى)

وبعض اهل هذا الشأن يسميه المذهب الكلامى • • وهو ان يذكر المتكلم معنى
 يستدل عليه بضرب من المعقول • • ومنه قوله تعالى « أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ

والارضَ بقادر على إن يخلقَ مثلهم » • وقوله عز وجل « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا » • وقوله تعالى « قال من يحيى العظام وهى رميمٌ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » • • • ومنه قول الشاعر

جَرَى القضاء بما فيه فلا تلم ولا ملام على ما خُطَّ بالقلم
• • • وقيل إنَّ الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقة الجدل كقول النابغة
مُلوكة واخوانُ اذا ما آتيتُهم أَحَكُّمُ فى أموالهم وأقربُ
كفعلك فى قومٍ أراك اصطنعتهم فلم ترهم فى شكر ذلك اذنبوا
همول لانهم فى مدح آل جفنة وقد أحسنوا الى كما أحست الى قوم فشكروك فلم
ر ذلك ذنباً

• • • • •

القسم الثانى والعشرون

(حسن المطالع والمبادئ • ويقال فيه حسن الافتتاح)

قال علماء علم البيان • • • ومن ضروب هذا العلم حسن المطالع والفوائد وذلك دليل
على جودة البيان وبلوغ المعانى الى الاذهان فانه أول شئ يدخل الاذن وأول معنى يصل
الى القلب وأول ميدان يجول فيه تدر العقل وهو فى القرآن العظيم على قسمين • جلى
وخفى • أما الجلى فكقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » • وكقوله تعالى « الحمد
لله الذى خالق السموت والارض وجعل الظلمات والنور » • وقوله « تبارك الذى
بيد الملك وهو على كل شئ قدير » وأكبر مطالع سور القرآن على هذا النمط
• وأما الخفى فنسل قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب » • وقوله « ألم الله لا إله إلا
هو الحى القيوم » • وقوله « المص » • وقوله « حم » • وقوله « ق » والقرآن
• وقوله « نور والقلم » وما يجرى مجرى ذلك من السور التى أفتتحت بالحروف المفردة
والمركبة وسبأنى الكلام عاينها فى فصل مفرد

— القسم الثالث والعشرون —

(حسن المقطع)

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يحتم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى فانه آخر ما يبقى في الذهن ولانه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد في رشاقته وحلاوته وجزالته وجميع خواتم سور القرآن في غاية الحسن ونهاية الكمال لانها بين • أدعية • ووصايا • وفرائض • وقضايا • وتحميد • وتهليل الى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطامع ولا الى ما يعقبها تشوف — كالدعاء — التي ختمت به سورة البقرة — والوصايا — التي ختمت بها سورة آل عمران — والفرائض — التي ختمت بها سورة النساء — والتبجيل • والتعظيم — اللذين ختمت بهما سورة المائدة — والوعد • والوعيد — اللذين ختمت بهما سورة الانعام — والتحريض — على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الاعراف — والحض على الجهاد • وصلة الرحم — التي ختمت بهما سورة الانفال • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وتسليته ووصيته بالتهليل التي ختمت به سورة براءة • وتسليته التي ختمت بها سورة يونس ومثلها خاتمة سورة هود • ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف • والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به سورة الرعد • ومدح القرآن وذكر فائدته والعلة في ازاله التي ختمت به سورة ابراهيم • ووصية الرسول التي ختمت بها سورة الحجر • وتسليته صلى الله عليه وسلم وطمأنينته ووعده الله سبحانه الذي ختمت به سورة النحل • والتحميد الذي ختمت به سورة سبحان • وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذي ختمت به سورة الكهف • وما ذكر في نصف القرآن مثال لمن نظر في بقيقته الى غير ذلك من فواصل القرآن

- القسم الرابع والعشرون -

(في براعة الاستهلال)

وهو أن يذكر الانسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لكتاب أ كنب الى الامير وعرفه بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الانسان فكتب . أما بعد حمد الله الذي خلق الانام في بطون الانعام . ومنه قوله تعالى « ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون » . ومنه قوله تعالى « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » . ومنه في القرآن كثير . . وشرطه أن لا يتبدأ بشئ يُتطير منه كقوله الاخطل

إذا مُتَّ مات الجودُ وانقطع الندى ولم يبقَ إلا من قليلٍ مُصرَّدٍ
.. وان يجنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير

وتقول بوزعٌ قد دنت لغيرنا هلاً هويت لغيرنا يابوزع^(١)
.. بل يتبدى بالمديح مثل قول أبزون العماني

على منبر العلياء جذك يخطبُ ولبلدة العذراء سيفك يخطبُ
وفي التهاني بمثل قول المتنبي

الجدُّ عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك الى اعدائك الالمُ
.. وقول الآخر

أبشر فقد جاء ما تريدُ وبأداء عداك المبيدُ
.. وفي التشبيب كمثل قوله

زُئِموا الجمالَ فقلْ للماذلِ الجاني لا عصم اليوم من مدرار أجفاني

(١) هكذا في الاصل والمحفوظ

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يابوزع

•• وفي المراتي بمنل قول أوس

أيها النفسُ أنجلى جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تُحَذِّرِينَ قد وقعا

(قال المصنف) عفا الله عنه هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني رحمه الله أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفردهُ وكان في فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا وهذه الزيادة التي اقتضت أفرادها

— — —

﴿ القسم الخامس والعشرون ﴾

(الانتقال من فن الى فن • ويسمى التخلص • والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته • الثاني في سرطه • الثالث في الفرق بينه وبين الاقتضاب •
الرابع في المعنى الذي جىء به من أجله • الخامس في ذكر من هو أحق باستعماله
(أما الاول) فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني فينبأ هو فيه اذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً اليه فيكون بمضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ أفرأغا (وأما الثاني) من سرطه أن يكون انتقاله من فن الى فن ببديع وحسن رصف ووجازة لفظٍ ورشاقة معنى ليكون الذى انتقل اليه أقرب الى القلب وأعلق بالنفس من المعنى الذى انتقل عنه (وأما الثالث) فالفرق بينه وبين الاقتضاب أن التخلص لا يكون الا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه • وأما الاقتضاب فليس سرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن الاول (وأما الرابع) فالمعنى الذى جىء به من أجله شيان • أحدهما معرفة حذق المتكلم وقوة ملكته في التلعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه واتساع قدرته في الفصاحة والبلاغة • والثاني التفنن بمحصول ملاذ كثيرة وتكون لذته بأموار اقتضاها اعمال الفكرة فيايتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق (وأما الخامس)

فالأحق باستعماله الشاعر فإن الشاعر تحصره القوافي والاوزان فيضيق عليه النطاق اذا اقتصر على معنى واحد فدعو حاجته الى الخروج من فن الى فن ومن معنى الى معنى ليتسع نطاقه ويتحقق ارفاقه بخلاف الناثر فانه مطلق العنان بمدود الباع منبسط البنان يمضى حيث شاء ويتفنن فى الانشاء . . وقد ورد فى القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة . منها قوله تعالى « قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فأنهم عدو لى الآ رب العالمين الذى خافنى فهو يهدين » لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات الله عز وجل قال - ان أولئك أعداء لى الآ الله - فانقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خبر من غيره من الكلام ومثله فى القرآن كثير

﴿ القسم السادس والعشرون ﴾

﴿ فى الاقتضاب . والكلام عليه من وجوه ﴾

الاول فى حقيقته . الثانى فى المعنى الذى أنى به من أجله . الثالث فى أقسامه الرابع فى أدواته . الخامس فى الفرق بينه وبين النخاص . السادس فى ذكر اختلاف الأئمة فى الأبلغ منهما . أما الأول : فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد النخاص وذلك أن يقطع الناطم كلامه الذى هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو محام أو غير ذلك ولا يكون لثانى علاقة بالأول ولا تالفيق بينه وبينه وهو مذهب القدماء وادلك قال أبو العلاء محمد بن غام الغامى ان كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص . وهذا القول فاسد . لأن حقيقة التخلص انما هى الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذى خرج منه والكلام الذى خرج اليه وفى القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والانذار والبطارة بالجنة الى أمر ونهى ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لشيء وتنبأ بمثل

الى ذم شيطان مرید وجبار عنید بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . . فما جاء من التخلص في القرآن الكريم قوله تعالى « وائلٌ عليهم نبأ إبراهيمَ إذ قال لآبيه وقومهُ ما تعبدُونَ قالوا انعبُدُ أصناماً فنظَّلُ لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون » الى قوله « فلو أن لنا كُرَّةً فسكونَ من المؤمنين » الآيات . هذا كلام يُذهل العقول ويحير الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة والمتنصب لهذه الصناعة فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه ومطاوى حكمته علم أن في ذلك غنى لمن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن . ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لاسؤال مستفهم ثم أنحى الى آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والى تقليد آبائهم الاقدمين فكشفه وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذى لا تجب العبادة لإلهه ولا ينبى الرجوع والانابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم لقوله - فاتهم عدوٌّ الى الآ رب العالمين - على معنى انى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة العدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك انها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم الابنما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول وأبصت على الاستماع منه ولو قال - فاتهم عدوٌّ لكم - لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعميد نعمه من لدن خلقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما يرجو في الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستكانة من عظمتهم ثم خرج من ذلك الى أدعية مناسبة فدعا الله بدعوات الخالصين وابتهل اليه ابتهاجاً والأوايين لأن الطالب من مولاه والراغب اليه اذا قدم قبل سؤاله وضراعتة الاعتراف بالنعمة والاقرب بالاحسان كان ذلك أسرع بالاجابة وأنجح لحصول القصد والطلبته ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث يوم القيامة ومجازات الله تعالى لمن آمن به باثابة الجنة ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الاصنام سؤالاً

موجب لهم مستهزء بهم وذكر ما يدفعون اليه عند ذلك من التندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا • • فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد وخرج من ذكر الاصنام وتقريره لآبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهوية وعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه فتدبر هذه التخليصات اللطيفة وضم هذا الى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف وهى الإيجاز والكناية والتقديم والتأخير ثم إنباء الفعل الماضى عن الفعل المضارع • فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى باب الذى سبق ذكره أولا وان من جملة قوله تعالى « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ » وبرزت الجحيم للفاوين • فانه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما ونغامة شأنهما فى هذه الكلمات اليسيرة • وأما الكناية فقوله - وبرزت الجحيم للفاوين - والفاوون هنا كناية عن آبيه وقومه ويدل على ذلك قوله وقيل لهم . أين ما كنتم تعبدون من دون الله - لان كلامه فى الاول كان معهم فى عبادتهم للاصنام • وأما التقديم والتأخير فانه ذكر ابراهيم النعمة وتعدد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة • وأما إنباء الفعل الماضى عن المضارع فقوله - وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وبرزت الجحيم للفاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - بعد قوله - ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقبابٍ سليم - وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه فى باب الذى سبق ذكره (وأما الثانى) فالمعنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الاول الى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما اذا لم يكن بفاصلة فانه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلعب بالكلام وجودة فكرة المؤثف وحسن فطرة السامع وصحة ذهنه (وأما الثالث) فقال علماء البيان هو على قسمين • منه ما يكون بفاصلة • ومنه ما لا يكون بفاصلة وهو بالفاصلة أحسن

لأن بها نتشوف النفس الى المعنى الثانی فتكون له لذّة أشد مما اذا ورد بفتة (وأما الرابع) فأدواته فواصله وهى - أما بعد - وقيل إن أول من تكلم بهارسول الله ثم تداولها الناس بعده - وهذا - وهذه - وقد يذكر لها خبر كقوله تعالى « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب » وقد لا يذكر لها خبر كقوله تعالى « هذا وإن للطاغين لشر مآب » وكما قال الشاعر

هذا وإنكم لى بالجنة سكرة أنا من بقايا شرها مخور

• • وقد قال ابن الاثير فى جامعہ فى قوله تعالى « واذكر عبدنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار » الى قوله « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من ذكر من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال - هذا ذكر - ثم قال - وإن للمتقين لحسن مآب - ويدل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب - وذلك من فعل الخطاب الذى هو اللطف موقعا من التخلص فاعرفه • • ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى « ويل للمطففين » الى قوله « لرب العالمين » ثم اقتضب فقال « كلاً إن كتاب الأبرار لى عاتين » • • وهو فى القرآن كثير جداً وأكثر ما يرد فى ذكر القصص وهذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه ملا فاصلة • • وقال ابن الاثير ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزمكافى (١)

وليل كموج البر قعدي ظامة وبرد أعانيه وطول قرؤنه
سربت ونومى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهريودينه
على أولق فيه التفات كأنه أبو جابر فى خطبه وجنونه
الى أن بدا ضوء النهار كأنه سنا وجه قرأس وضوء جبينه

وقال إن هذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح كان جالسا فى ندمائه فى ليلة

(١) ابن الزمكافى هذا تصحيح منا اعتماداً على حفظنا وفى الاصل ابن الزمكلمة

• • وقد أورد الابيات التيوخى فى كتابه الاقصى القريب فى باب التخاص والاقتضاب

ولم بسم القائل

من ليالى الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجّاهم الشاعر كان البرقعيدى مغنياً وسليمان بن
فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه
(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذى ذكره ابن الاثير قد أورده علماء علم البيان في
باب الاستطراد وهو به أمس وأليق

❦ القسم السابع والعشرون ❦

(فى التطبيق)

ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد . والكلام عليه من وجوه

الاول فى حقيقته . الثانى فى اشتقاقه . الثالث فى أقسامه (أما الاول) فقال علماء
علم البيان هو أن يجمع فى الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم
الى الفعل ولا الفعل الى الاسم وهو كقوله تعالى « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً »
وقوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ » . وقوله تعالى « سواءٌ منكم من أسرَّ
القول ومن جهرَ به ومن هو مُستخفٌ بالليل وسارِبٌ بالنهار » . وقوله تعالى « قلِ
اللهم مالكَ الملكِ تؤتِى الملكَ من تشاء وتنزعُ الملكَ ممن تشاء وتُعزِّى من تشاء وتذلُّ
من تشاء بيدِكَ الخيرُ » الى قوله « وترزُقُ من تشاء بغيرِ حسابٍ » . وقوله تعالى
« وأنه هو أضحكُ وأبكى » ومثله فى القرآن كثير . ومن ذلك فى أشعار العرب
ومخاطباتهم كثير . . فن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حلزة

بأنّا نورِدُ الرّاياتِ بيضاً ونُصدِرُهُنَّ مُهمراً قَدَرَوينا

جمع فى هذا البيت بين الطباق والمقابلة . . وأبدع منه قول بعض المتأخرين
فأوردَها بيضاً ظمأً صُدُورُها وأصدَرَها بالرّيمى ألوانها مُهمراً

. . قال ابن الاثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام
هى الجمع بين السىّ وضده كالبيض والسواد والليل والنهار وخالفهم فى ذلك أبو الفرج
(١٩ - فوائد)

قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويتين في البناء والصفة مختلفتين في المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا اذا كانت مشتقة ولتنظر نحن فيما حمله على ذلك • والذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباق وسنينه (وأما الثانى) فاشتقاق الطباق وأصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يقوى قول قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحداً • وأما الجماعة فيحتل أن يكونوا رأوا أن الرجل مخالفة لليد فراعوا المخالفة والضد مخالف للضد لا اجتماع لهما وهذا عين التضاد • ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول لأن بعضهم ساء التضاد وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق (وأما الثالث) فقد قسم أرباب علم البيان الطباق الى قسمين • لفظى • ومعنوى • أما اللفظى فهو على قسمين • الاول ما قدمناه • والثانى أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما ثم اذا اشتراطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » الآية • فكما جعل التيسير ليسرى مشروطاً بالاعطاء والتقى والتصديق جعل ضده وهو العسر مشروطاً بأضداد تلك الامور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب • وأما المعنوى فعلى قسمين الاول أن يزواج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

(١)

• والثانى فى التنى كقول البحترى أيضاً

يُقَيِّضُ لى من حيث لا أعلمُ النوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلمُ

• والطباق فى القرآن كثير • ومنه فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم — علم الانساب

علم لا ينفع وجهل لا يضر - وقوله صلى الله عليه وسلم في مدح الانصار - إنكم لتقولون عند الطمع وتكثرلون عند الجزع .. ومن الطباق البديع قول الشاعر
إن هذا الربيع شئٌ عجيبٌ تضحك الأرض من بكاء السماء

❦ القسم الثامن والعشرون ❦

المقابلة • والكلام عليها من وجوه

الأول في حقيقتها • الثانى في اشتقاقها • الثالث في أقسامها • الرابع في الفرق بينها وبين الطباق (أما الاول) فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشئ مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها .. وقال بعضهم المقابلة أن تضع معانى تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو مخالفة فتأتى في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف وتشترط شروطاً وتعدد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن تأتى في الثانى بما يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للإسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للإسرى » وكقول الشاعر

فيا عجيباً كيف اتفقنا فناصرٌ وفى ومطوى على الغل غادرٌ

(قال المصنف عفا الله عنه) قال الامام نضر الدين رحمه الله هذا النوع في فصل الطباق وذكره الزنجاني في فصل المقابلة والذي اختاره العلماء المتقدمون في هذا الفن أن المقابلة ذكر الشئ مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها كما تقدم (وأما الثانى) فالمقابلة مصدر من قابل الشئ الشئ يقابله مقابلة اذا واجهه وصار مائلاً أمامه وهو من باب المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة وأصله في الاجرام يقال قابل الشخص الشخص والجبل الجبل اذا واجهه وناوحوه اذا صار موازياً له مائلاً أمامه ثم توسع فيه حتى استعمل في المعانى ولما وضع المؤلف الكلمة بازاء الكلمة الأخرى والمعنى بازاء المعنى الآخر حصلت المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة

مقابلة لفظية • وهى على قسمين وقد تقدم • ومقابلة معنوية • وهى على قسمين أيضاً •
الاول أن يقابل معنىً بمعنىً مثل « إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا تَضْحَى » وجهُ المقابلة فى هذه الآية أن - الجوع - هو خلو الباطن - والعرى -
خلو الظاهر - والظمأ - احترق الباطن - والضحى - احترق الظاهر • فقابل الخلو
بالخلو والاحترق بالاحترق • والثانى أن يحىء فى السلب كقول الفرزدق

لَعَمْرِي لَنْ قُلَّ الْحَصَى فِي رِحَالِكُمْ بِنَى نَهْشَلٍ مَا لَوْكُمْ بَقِيلٌ

• والثالث المقابلة الفاسدة وهو أن يقابل الشئ بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول الكعبى
وقد رأين بها حوراً منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

-والشنب- لا يشاكل الدل • وهذان القسمان ذكرهما الزنجاني فى تكلماته • والمقابلة
قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرها بعد هذا
القسم (وأما الرابع) فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين • الاول أن الطباق
لا يكون إلا ضدّين غالباً مثل قوله تعالى « وَهُوَ الَّذِي يُبَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُنْجِيكُمْ » وأشبه ذلك
• والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة أضداد • ضدّين فى أصل الكلام • وضدّين فى
عجزه • وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد • خمسة فى الصدر • وخسة فى العجز • • الثانى
لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها • وقد ورد فى أشعار
العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلاتين وطباقين • • فن ذلك قول
الحارث بن حلزة

بَانَا نَوْرِدُ الرَايَاتِ بَيْضاً وَنُصْدِرُ هَنْجَرٍ أَقْدَرَوِينَا

• • ومن ذلك قول بعض المتأخرين

فَأَوْرَدَهَا بَيْضاً طَاءَ صُدُورَهَا وَأَصْدَرَهَا بِالرَّيِّ أَلْوَانَهَا حُمْرُ

• • قال ابن الأثير فى جامعہ ان الطباق أحد أنواع المقابلة لانه لا يخلو الحال فى ذلك
من ثلاثة أقسام • اما أن يقابل الشئ بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع •
فأما الاول وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذلك كقوله تعالى
« فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً » ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل

الضحك بالبكاء والقليل بالكثير • وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير المال عين ساهرة لمين نائمة - ومن هذا قول بعضهم في السحاب
وله بلا حزن ولا فرح ضحك يراوح بينه وبكا

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لامن حيث المقابلة لأن ترتيب التفسير يفتضى أن كان قال - بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك - وهذا لا كبير عيب فيه • وإنما الأولى والأليق ما أسرنا إليه فاعرفه •• وقال آخر

فلا الجود يُفنى المال والجُدُّ مقبلٌ ولا البخل يُبقى المال والجَدُّ مُدبرٌ
•• ومثله قول البحتري

وأمة كأن قبضُ الجورِ يسخطها دهرأ فأصبح حسنُ العدلِ يُرضيها
فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع في بابه فاعرفه • وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان • أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كقول بعضهم

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن أساء أهل السوء إحساناً
والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وأمثال هذا كثير • وأما القسم الثاني أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعد ولا يناسبه بحال من الاحوال • أقول وذلك لا يحسن استعماله في التأليف •• ومما جاء منه قول بعضهم

أم هلْ ظمائنُ بالعلياء رافعةً وإن تكامل منها الدل والشنب

فان ذلك غير مناسب لانه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الفنج أو ماقاربه ومع الشنب اللبس أو ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والفم • وأما الثالث فهو ان يقابل الشيء بمثله وهو ضربان • أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى • والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ • أما التقابل في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « ومَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا » • وقوله

تعالى « فَاسْأَلُوا اللَّهَ فَاسْأَلَهُمْ » . وأما التقابل في المعنى دون اللفظ فهي مقابلة الجملة لمثاتها مستقبلية كانت أو ماضية فإن كانت ماضية قوبات بالماضية وإن كانت مستقبلية قوبات بالمستقبلية وربما قوبل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر . فمن ذلك قوله تعالى « قل إن ضللتُ فأنما أضل على نفسي وإن أهديتُ فبما يوحى إلى ربى » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن أهديت فأنما أهديت لها . . . وبين تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كلما هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو ذبالٌ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها أماراة بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها وهذا حكم عام لكل مكاف وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تخنه مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب قوله تعالى « ألم يروا أناجننا الليلَ ليسكنوا فيه والنهار مُبصرًا إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون » فانه لم يراع التقابل في قوله - ليسكنوا فيه فيه . ومبصرًا - لأن القياس يقتضى أن يكون والنهار ليبصروا فيه وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهكذا الظم المطبوع الغير المتكلف لأن معنى قوله مبصرًا ليبصروا فيه طرق التقابل في الحاجات . ومن مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظاً تقتضى جواباً فالمرضى عندنا أن يأتى بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها . فمن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثاها » وما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنباً عامداً أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه . والأليق ان كان قال لزمه ما اقترف وحق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث أن معناه صواباً لكنه عدول عن الأليق والاولى في هذا الباب وأمثاله كثيرة فاصرفها . واعلم ان في تقابل المعاني بابا عجيب الامر يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالعجائز من أبيات الشعراء . فما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا » الى قوله « ولكن لا يشعرون » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا »

الى قوله « ولكن لا يعلمون » ألا ترى كيف فصل الآية الاخيرة يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال - ولكن لا يشعرون - وأما النفاق وما فيه من المعنى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى ينبئ على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال - يعلمون - وأيضاً فإنه لما ذكر السفه فى الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً قال - لا يعلمون - وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - فنصبغ الارض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ » وقوله « له ما فى السموات وما فى الارض وإن الله لهو الغنى الحميد » وكقوله « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات والارض والفلak تجري فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » فإنه انما فصلت الآية باطيف خبير لان ذلك فى موضع الرحمة لخالقه بانزال الغيث واخراج النبات من الارض ولانه خير بمنفعتهم وضررتهم فى انزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه له ما فى السموات وما فى الارض فعرف الناس أن جميع ما فى السموات وما فى الارض له لا حاجة بل غنى عنها جواد بها لان ليس غنى نافعاً بغناه الا اذا كان جواداً منهما واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليبدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه . وأما الآية الثالثة فانها فصات - برؤف رحيم - لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الارض لهم واجراء الفلك فى البحر لهم وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله - رؤف رحيم -

القسم التاسع والعشرون

(الاحتراس)

وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدماء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيد ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى « يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش ولا يتأدى به العمر فحصل الاحتراس بقوله تعالى - وكهلا - يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم في المهد بل يعيش إلى أن يبلغ السكولة • ومنه قوله تعالى « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ » أزال بقوله - من غير سواء - توهم أن يبيض اليد من برص وغيره • • وقد ورد في أشعار العرب من هذا كثير • من ذلك قول بعضهم فسقا ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهيمى فاحترس بقوله - غير مفسدها - لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار • • وقال آخر

ألا فاسلمى يا دارمى على البلا ولا زال منها لا بجرعائك القطر
فاحترس بقوله - ألا فاسلمى - ومثله في القرآن والشعر كثير

القسم الموفى ثلاثين

(الاختصاص)

وهو عند الأصوليين التخصيص واختلفت فيه عبارات أهل العلم • • فقال بعضهم هو إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص وهو شبهه بالنسخ من حيث اشتراكهما في الابس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة • الاول أن الناسخ أبدا

لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ كذا وقع في جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا في آيتين . أحدهما قوله تعالى « متاعاً الى الحول غير إخراج » قلها منسوخة بما قبلها وهو قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » وهذا على خلاف الاصل وقد يمتدح عن هذا بأن آية الحول إنما نسخت بالسنة لكن لا يتأني هذا إلا على قول من يقول إن السنة تنسخ الكتاب . وأما على قول أنها لا تنسخه فلا يتأني هذا . وقد يقال إن آية الحول نزلت قبل آية الأشهر ولكن آية الأشهر أثبتت في الصحف قبلها فكان آية الحول مقدمة في النزول متأخرة في التلاوة (الثاني) أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الاول والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك (الثالث) أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة (الرابع) أن التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لاسيما على أصل من يبنى نسخ الشيء قبل وقته (الخامس) أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه . والذي اعتمد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه . فقولنا - أو ما يقوم مقامه - احتراز من المفهوم فانه يدخله التخصيص . وقولنا - بالزمان - احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا - بالحس - لأن العقلي المخصص مقارن . وقولنا - قبل تقرير حكمه - احتراز من أن يعمل بالعام فان الإخراج بعد هذا يكون نسخاً . . . والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى « وإنه هو رب الشجرى » اختصاصاً دون سائر النجوم لأنها عُبِدَت . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهي تقطعها عرضاً . وقيل لأن المنجمين بطولها يتكلمون على المغيبات وما يحدثه الله في ملكه من الكائنات وينسبون ذلك الى طلوعها وإن هذه الحوادث في كل عام من تأثيرها فرد الله ذلك عليهم باعلامنا بأنها مدبرة بتدبيره مقدرة بتقديره متصرفه بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء وهو على

كل شيءٍ قدير .. ومن هذا النمط قوله تعالى « فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ومُرَّانٌ » وهذا لا يتأتى إلا على قول من يقول أن الرمان والرطب فاكهة . وأما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاكهة فلا يكون من هذا النوع .. ومن ذلك قوله تعالى « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ » أعاد الله ذكر جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه وميكال أمينه على خزائن فتحه ورحمته . وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر

يَذْكُرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُبَهُ لِسَكَلٍ غُرُوبِ شَمْسٍ

وانما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بفارته على أعدائه وغروبها يذكرها بأقاربه ضيفانه فاخصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين . وعبارات التخصيص ثلاثة . الأولى انما جاءني زيد . الثانية جاءني زيد لاعمرو . والثالثة ما جاءني الا زيد . فيفهم من الأولى تخصيص . طلاق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في دفعتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك - إلاقام - نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع - لا قاعد - تكراراً ويصح إنما زيد قائم لا قاعدان صيغة - انما - موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ولهذا يصح زيد هو الجاني لا عمرو فدلالة الأولين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك وقد تذكر الثالثة في مثل ما اذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قات بخلافه فتقول ما قلت الا ما قلته قبل . وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ما قلت لهم الا ما أمرتني به » ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولكن المعنى اني لم أَدع بما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه . وحكم - غير - اذا وقع موقع - الا - حكم الا .. وأما - انما - فلا اختصاص فيها يقع مع

المُتَأَخِّرُ فَإِذَا قُلْتَ إِنَّمَا ضَرَبَ عَمْرَأَ زَيْدٍ فَالِاخْتِصَاصِ فِي الضَّارِبِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » وَإِذَا قُلْتَ إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرَأَ فَالِاخْتِصَاصِ فِي
 الْمَضْرُوبِ وَإِذَا قُلْتَ إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَالِاخْتِصَاصِ فِي - لَكَ - بِدَلِيلِ أَمَّا تَقُولُ بَعْدَهُ لَا لِعَبْرِكَ
 وَإِذَا قُلْتَ إِنَّمَا لَكَ هَذَا فَالِاخْتِصَاصِ فِي - هَذَا - بِدَلِيلِ أَمَّا تَقُولُ بَعْدَهُ لَا ذَاكَ • قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى « فَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ » فَإِذَا وَقَعَ بِمَدِّهَا الْفِعْلُ فَلَمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ
 الْفِعْلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْمَذْكُورِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّمَا يَنْتَكِرُ الْوَطَنَ الْأَوَّلَ الْإِلَهِيَّ » • وَقَدْ يَجْمَعُ
 مَعَهَا حَرْفُ التَّنْفِيهِ إِمَّا مُتَأَخَّرًا كَقَوْلِكَ إِنَّمَا جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو • وَإِمَّا مُتَقَدِّمًا كَقَوْلِكَ
 مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَنِي عَمْرُو • فَهَنَّاكَ لَوْ لَمْ تَدْخُلْ - إِنَّمَا - كَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنُّوا أَنَّهُمَا
 جَاءَكَ وَإِنْ أَدْخَلَهَا كَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِظَ فِي الْجَائِي وَلَوْ قُلْتَ إِنَّ عَمْرَأَ جَاءَنِي فَإِنْ
 كَانَتْ الْمُسْتَفْتَى عَنْهَا فَظَهَرَتْ فَائِدَةُ دُخُولِ - مَا - عَلَى - إِنْ - فِي - إِنَّمَا - • وَاعْلَمْ أَنَّ
 مَوْضُوعَ - إِنَّمَا - أَنْ يَجِيءَ فِي أَمْرٍ لَا يَدْفَعُ الْمُخَاطَبُ صَحَّتَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ
 الَّذِينَ يَسْمَعُونَ » أَوْ يَنْزِلُ بَعْدَهُ مِثْلُهُ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ

إِنَّمَا مَصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ نَجَلَتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فَادْعَى كَوْنَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ بِمَا لَا يَنْكَرُهُ أَحَدٌ • وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْيَهُودِ « وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » الَّذِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ
 أَمْرٌ ظَاهِرٌ مَعْلُومٌ فَلِذَلِكَ أَكَّدَ الْأَمْرَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ جَمْعَ فِيهِ بَيْنَ - أَلَا - الَّتِي هِيَ لِلتَّنْذِيرِ
 وَ- إِنْ - الَّتِي هِيَ لِلتَّحْقِيقِ - وَهَمْ - الَّتِي هِيَ لِلتَّأْكِيدِ فَقَالَ « أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ »
 • وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَهُمْ يَرَوْنَ بِالْتَّخَصُّصِ فِي أَعْمَالِ الْعَامِ فِي التَّنْفِيهِ وَالْخَاصِّ فِي الْإِتْبَاتِ
 مِثَالُ ذَلِكَ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ فَإِنَّ اثْبَاتَ الْإِنْسَانِيَّةِ يَوْجِبُ اثْبَاتَ الْحَيَوَانِيَّةِ وَلَا يَوْجِبُ
 نَفْيَهَا نَفْيَ الْحَيَوَانِيَّةِ وَكَذَلِكَ نَفْيَ الْحَيَوَانِيَّةِ يَوْجِبُ نَفْيَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا يَجِبُ مِنْ اثْبَاتِهَا اثْبَاتُ
 الْإِنْسَانِيَّةِ • • وَعَمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ الْأَسْمَاءُ الْمَفْرَدَةُ الْوَاقِعَةُ عَلَى الْجُنْسِ الَّذِي يَكُونُ
 الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَاحِدِهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ فَهِيَ مَتَى أُريدَ التَّنْفِيهِ كَانَ اسْتِمَالُ وَاحِدِهَا أَبْلَغَ وَمَتَى
 أُريدَ الْإِتْبَاتِ كَانَ اسْتِمَالُهَا فِي الْجُنْسِ أَبْلَغَ • فَالْأَوَّلُ هُوَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى
 « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » وَلَمْ يَقُلْ

بضوئهم لأن ذكر النور في حالة النفي أبان من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم كان المعنى يعطى نفي تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً لان الاضاءة هي فرط الانارة دليله قوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً . والفرض من قوله - ذهب الله بنورهم - انما هو ازالة النور عنهم رأسافهو اذا ازاله فقد ازال الضوء . وكذلك قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » ولم يقل اذهب الله نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد اذهب وليس كل من اذهب شيئاً ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استصحابه له ومضى به وفى ذلك نوع احتياز للمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حاله والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهب للشيء لزوال معنى الاحتياز وهذا كلام دقيق يحتاج الى زيادة تأمل وانعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق

--- *** ---

— القسم الحادى والثلاثون —

(الاختراع)

قال علماء علم البيان . . الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه واشتقاقه من التلين والتسهيل يقال نبت خرع اذا كان ليناً فكان المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود . ومنه فى القرآن كثير . . من ذلك قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال . . ومثال ذلك من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - سمى الوطيس - فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا حين قدم المسلمون خالد بن الوليد فى غزوة مؤتة حين حمل خالد فى العدو

- والوطيس - هو التور فعبر بشدة حيه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد
نارها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- السعيد من وعظ بغيره - . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - أما بعد - ومثل
هذه الكلمات فى السنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها

﴿ القسم الثانى والثلاثون ﴾

(الهدم)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بناه
المتكلم الاول كقول أبى تمام

وبروحى القمر الذى بمحجرى أضفى مصوناً للتوى مبذولا

هدمه بعض الشعراء فقال

وبروحى القمر الذى لم يُبتذل بل حل وسط القلب لا بمحجر

• • وقال البلاذرى

وقد يرفعُ المرءُ اللثيمُ حجابَهُ ضعةً ودُونَ العُزفِ منه حجابُ

هدمه الآخر فقال

ملكٌ أغرٌ محجَّبٌ معروفُهُ لا يحجَّبُ

• ومنه فى كتاب الله العزيز كثير • • من ذلك قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه » هدمه الله تعالى بقوله « والله لا يحب الظالمين » • وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله » • وقوله تعالى « فلم يعذبكم بذنوبكم » قديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعذبكم بذنوبكم • ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » هدمه الله عليهم بقوله « ذلك قولهم بأفواههم » • وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ » • ومنه قوله تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله » هدمه الله بقوله « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » • • ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضاً

القسم الثالث والثلاثون

(الاستفهام)

وهو على قسمين • استفهام العالم بالشيء مع علمه به • ومراده بذلك معان سنة (الاول) التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقر به الفاعل كقوله تعالى حكاية عن قوم نمرود «أأنتَ فعلتَ هذا بآلِهمتا يا ابراهيم» ولا شبهة أنه ليس غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام ولكن غرضهم أن يقر بأن ذلك منه لامن غيره (الثاني) يراد به الانكار وهو كقوله تعالى «أفأصفاكم ربكم بالبنين» • وقوله تعالى «أصطفى البنات على البنين» والانكار هاهنا في نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم جصلوا الملائكة إناهم وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وكذلك قوله تعالى «الله أذن لكم أم على الله تفترون» المقصود إنكار أصل الاذن لانكار انه كان من غير الله وأضافوه الى الله • وكذلك قوله تعالى «آلذ كرين حرم أم الأتنيين» تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرماً إما ذا أو ذاك ثم يستدل ببطلان الاصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم • ومثله قولك للرجل الذي بدعى أمراً وأنت تنكره متى كان هذا في ليل أم نهار - وتقديره لو كان لكان إمامي ليل وإمامي نهار ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بوجود أصلاً • فكذلك تقول في الآية فاتهما نفي لأصل الاذن لنفي أقسامه وذلك أبغ في النفي • وكذلك قوله تعالى «أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» حصل الانكار هاهنا بنفس الازام • • وكذلك قول الشاعر

* أنقتلني والمشرقي مضاجحي *

• • واعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع الى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور إلا بالحوال على سبيل أن يقال له - أنت في دعواك كمن يدعى المحال - وعلى هذا جعل قوله تعالى «أفأنت

تسمِعُ الصمَّ أو تهدي السَّمْعَ ، وليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الإنكار
وانما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم وانما قدم الاسم
في هذه الآية ولم يقل - أفْتَسْمِعُ الصم - لمعنى وهو اختصاصه صلى الله عليه وسلم
كأنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم أنت خصوصاً تظن أنك تقدر على اسماعهم فتكون
بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم . . . واعلم أن حال المفعول في ذلك حال الفاعل
فاذا قدِّمَتِ المفعول توجه الإنكار الى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فاذا
قلت - أزيداً تضرب كان على هذا الحكم ولهذا قدِّم - غير - في قوله تعالى « قل أغير
الله اتخذ ولياً » . ومن ذلك قوله تعالى « أْبْشِرْأَ مَنْأَ وَاحِدأَ نَبِّعُهُ » وقد تقدم بيانه
فاتهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع . . . واعلم أن صيغة المستقبل
إما أن يكون الاسم مقدماً أو الفعل فان كان الاسم مقدماً اقتضى شيئاً بما اقتضاه في
الماضى بمطابقته من الاقرار بكونه فاعلاً فالإنكار لذلك . فتعال ذلك قوله تعالى « أ هم
يقسمون رحمة ربك » (الثالث) الاستفهام للمبالغة في الاستحقاق مثل قولك للرجل
تستحققه - أنت تمنعني أنت تضربني - ومنه قوله تعالى « أْبْشِرْأَ مَنْأَ وَاحِدأَ نَبِّعُهُ »
. وقوله تعالى « قل أغير الله اتخذ ولياً » (الرابع) يأتي للمبالغة في التعظيم كقولك
- أ هو يسأل الله أ هو يمنعمهم حقوقهم - ومنه قوله تعالى « أْأْمَنُ جعل الارض قراراً »
الى قوله « أله مع الله » (الخامس) يأتي للمبالغة في بيان الخساسة كقولك - أ هو
يسمع لهذا أو يرتاح الى الجميل - ومنه قوله تعالى « أْفْتَعْبُدُون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (السادس) يؤتى
بالاستفهام ليقع في النفس عذوبة المستفهم عنه واستحلاؤه كقول الشاعر

أيا ظبية الوعاء بين جُلاجلٍ وبين النقا أأنت أم أم سالم

تقديره أأنت الظبية أم أم سالم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع في النفس موقعاً عظيماً
من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك
تخييل لا يفرق بسببه بينها وبين الظبية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل
. . . ومن بديع التجاهل قول مهباز الديلمي

أَنْتِ أَمَرْتِ الْبَذَرَ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى وَعَلِمْتَ غَصْنَ الْبَانِ أَنْ يَتِمَّلَا
 .. ومن بديعه أيضاً قول الآخر

وَعُقَارِ عَيْشٍ مَنْ عَاقَرَهَا عَيْشٌ أُنِيقُ
 هِيَ لِلزَّهْوِ نِظَامٌ وَالِىَ الْهَوِ طَرِيقُ
 قَلْتُ لِمَا لَاحَ لِي مِنْهَا شُعَاعٌ وَبَرِيقُ
 أَشْفِيقُ أَمْ عَفِيقُ أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ

.. وأما القسم الثانى من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شئ لم يتقدم له به علم حتى
 يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب



❦ القسم الرابع والثلاثون ❦

(المزلزل)

وهو أن يكون فى الكلام لفظة لو غير وضعها أو اعرابها تغير المعنى . ومنه فى
 القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى « اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ اِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » لو كسرت
 الكاف لتغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى « اُنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » لو ضُمَّت لاختل المعنى .
 ومن ذلك قوله تعالى « وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ » . ومن ذلك قوله تعالى « وَاذْ
 اٰبَتٰى اِبْرٰهِيْمَ رَبُّهُ » . وقوله تعالى « اِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » لو غير اعراب
 ابراهيم واعراب العلماء لاختل المعنى .. ومنه فى الشعر قول الوطواط
 رَسُولُ اللّٰهِ كَذَبُهُ الْاَعَادَى فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَيْلٌ لِّلْمَكْذَبِ

ن كسرت ذال المكذب كان حسناً وان فتحت كان قبيحاً وكفراً .. ومن هذا المعنى
 قوله تعالى « فَسَاءُ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » نفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً

﴿ القسم الخامس والثلاثون ﴾

(التعجب)

ومنه في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ »
 — ما — هاهنا تعجبٌ والتقدير تعجبوا • من صبرهم على النار وقيل هي الاستفهامية
 والتقدير فأي شيء صبرهم على النار • • ومن التعجب قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » والخلاف فيها كاخلاف في الأولى • • ومن ذلك قوله
 يُعَالَى « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أي ما أشد كفره • ومثله في القرآن كثير • •
 ومنه في الشعر قول بعضهم

أَيَا شَمْعًا يُضِيءُ بِلا انْطِفَاءٍ وَيَا بَدْرًا يُلَوِّحُ بِلا تَحَاقٍ
 فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انْتِقَاصِي وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِي

﴿ القسم السادس والثلاثون ﴾

(الساب والايجاب)

قال علماء علم البيان هو أن يوقع الكلام على اثبات شيء وينفيه في كلام واحد
 وخطبة واحدة أو بيت واحد • وهو في القرآن العظيم كثير • • ومن ذلك قوله تعالى
 « هُوَ يُخَيِّرُ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ » • وقوله تعالى « هُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ » • • ومنه في
 الشعر قول السموءل بن عدياء اليهودي

وَتُكِرُّ إِنْ شُنْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

- القسم السابع والثلاثون -

(الهزل الذى يراد به الجِد)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى « فالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ »
 روى أن أهل الجنة يُفتح لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا
 من الكفار أتدخلون الجنة فيقولون نعم فيقولون لهم هلموا فيتبادرون الى الجنة فيعلق
 الباب دونهم ويضحك منهم المؤمنون ويردون خائبين وليس مراد المؤمنين بذلك القول
 الضحك منهم وانما مرادهم بذلك تبيكتهم وتشديد الحزن عليهم .. ومنه قوله تعالى
 « إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » يعنى يوم القيامة .. ومنه فى السنة قوله
 صلى الله عليه وسلم للعجوز التى سألته عن دخولها الجنة فقال لا يدخل الجنة عجوز
 هزل بها وصدق وقال حقاً فان الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال « عُرْبًا أَتْرَابًا »
 لأصحاب اليمن « وترب الانسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. ومنه فى الشعر قوله
 اذا ما تيمى أذاك مُفَاخراً فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
 .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وهو الجد ليس بالهزل فالمراد به
 الهزل الذى لا يراد به الجد

- القسم الثامن والثلاثون -

(التاميح)

وهو أن يشير فى غوى الخطاب الى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من
 غير أن يذكره كقول بشار بن عدى
 اليومَ خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرٌ والدَّهرُ ما بين إناصٍ وإباصٍ

أشار به الى قول امرئ القيس - اليوم خمره وغدا أمره - حين بلغه قتل أخيه^(١) وهو يشرب فصار مثلاً .. وكقول أبي بكر الخوارزمي
 كأنك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيتٍ من لا يظلم الناس يُظلم
 .. وكقول أبي فراس

ولا خير في دفع الأذى بمثلٍ كما ردّها يوماً بسوءته عمرو
 أشار بذلك الى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
 .. وقد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباساً وإيراد المثل كما هو تضميناً .. ومما جاء
 من التلميح في الكتاب العزيز قوله تعالى « واذكراً خاعداً إذ نذر قومهُ بالأحقاف »
 . وقوله تعالى « ألا بعداً لمدينٍ كما بعثت نوحاً » وقوله تعالى « صاعقة مثل صاعقة
 عادٍ ونوح » الآية .. ومن ذلك قوله تعالى « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
 إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي » الى قوله « فانما هم في شقاقٍ » ثم قال
 « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً » . ومن ذلك قوله تعالى « هذا نذيرٌ
 من النذر الأولى أذِفَتِ الآزفة » ثم قال « ليس لها من دون الله كاشفةً » .. ومثله
 في القرآن كثير

❦ القسم التاسع والثلاثون ❦ -

(النسخ والسامخ والمسخ)

فأما النسخ ففي القرآن العظيم كثير . وهو على ثلاثة أقسام . منه ما نسخ لفظه
 وحكمه . ومنه ما نسخ لفظه وتبقى حكمه . ومنه ما نسخ حكمه وتبقى لفظه .. أما

(١) ليس هو من قول امرئ القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل
 جساس أخاه كليلاً . وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فان كان قاله حين بلغه قتل بني أسد
 أمه حجراً فربما اه كتبه محمد بدر الدين

ما نسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم - وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب - . . . وأما ما نسخ حكمه وبقي لفظه في القرآن العظيم منه كثير . . . وأما السليخ والمسخ فليس في القرآن العظيم منهما شيء لأنه لم يسبق قبله كلام فيساخ منه ولم يتقدم معانيه فيقصر عنها فيمسح لانه الكلام القديم الذي لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام وسند ذكر في القسم الذي ليس في القرآن منه شيء ما قاله أهل هذه الصناعة في السليخ والمسخ ان شاء الله تعالى



القسم الاول بعون

(التعميد . ويسمى أيضاً سياق الاعداد)

وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فازدروى في ذلك ازدواج أولزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية في الحسن كقولهم وضعنا في يده زمام الحل والعقد . والقبول والرد . والامر والنهي . والاثبات والنفي . والبسط والقبض . والابرام والنقض ، والهدم والبناء . والمتع والعطاء . . . ومنه قول المتنبي

الخليلُ والبلبلُ والبيضاءُ تعرفني والحربُ والطعنُ والقرطاسُ والقلمُ

. . . ومنه في القرآن كثير . . . من ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » . . . ومن ذلك قوله تعالى « وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكور والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب السمى وأنه أهلك عاداً الأولى ونموداً أبنى وقوم نوح من قبل

أنهم كانوا هم أظلم وأظنى ، . . ومنه قوله « والله يقبض وَيَبْسُط »

❦ القسم الحادى والاربعون ❦

(المَوْجَةُ)

وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح لشيء آخر كقول المتنبي
 نهبت من الاعمار مالو حويتهُ لهنت الدنيا بِأَنَّكَ خَالِدُ
 أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة . وفى القرآن العظيم منه كثير
 . . ومنه قوله تعالى « محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشداءُ على الكفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
 تراهم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أُنْورِ
 السُّجُودِ » مدحهم فى أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ثم بالخشوع
 والخضوع ثم بالتدلل وحسن المسئلة ثم حسن السياء وصباحة الوجوه . ومثله قوله
 تعالى « التائبونَ العابدونَ الحامدونَ السَّائِحُونَ الزَّاكِمُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ » . . ومن هذا النوع قوله
 تبارك وتعالى « ويقولون طاعةً فإذا برزوا من عندك بيَّتَ طائفةٌ منهم غيرَ الذى تقول »
 يجوز ان تكون - تقول - راجعة الى - الطائفة - ويجوز أن تكون عائدة على النبي
 صلى الله عليه وسلم

❦ القسم الثانى والاربعون ❦

(المحتمل الضدين)

وهو أن يكون الكلام محتملا لشيء وضده . ومنه فى القرآن العظيم كثير . . من ذلك
 قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » يجهل أن يكون أراد

بورائهم - أمامهم ويحتمل أن يكون - وراءهم - وهو يطالبهم ومنه قوله تعالى
« والمطلقاتُ يتَرَ بَصْنَهُنَّ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروءٍ » - والقرءُ - يطلق على الحيض والطمهر
• ومثل ذلك قوله تعالى « قال إنه يقول إنها بقرة صفراء » قال المفسرون أراد
سوداء • ومثله في الشعر قول الشاعر

* يغادرُ الجونة أن تقيبا *

- والجون - الاسود - والجون - الابيض وهو من الاضداد • • ومنه قول بشار في
رجل خاط له قباء وكان الخياط أعور

خاطَ لي زيدُ قباءَ لبتَ عينه سواء
فأحاجي الناسَ طرّاً أمديحاً أم هجاء

وكان سبب ذلك أن بشاراً خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن
شئت لبسته على بطنائه فقال له بشار وأنا أقول فيك شعراً إن شئت جعلته مدحاً وإن
شئت جعلته ذمّاً وأنشده البيتين • • وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال

أيا ابنَ كرويسٍ يا نصفَ أعمى وان تفخرُ فيا نصفَ البصير

وكان ابن كرويس أعور • • وينخرط في هذا السلك قوله تعالى « إنك لأنك الحليم
الرشيد » إذا جعل هذا من باب التهكم به والازراء عليه كان ذماً • ولهذا قال بعض
المفسرين أرادوا - انك لأنك الاحق السفیه - وإن أريد به المدح فالتقدير - انك
أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم والرشيد
بالالف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو لامهد • • ومثله في السنة قول النبي صلى الله
عليه وسلم - من جعل قاضياً ذنباً بغير سكين - فإن أريد به الذم يكون التقدير من
من جعل قاضياً فقد قتل بغير سكين لأنه ليس في قدرته اقامة الحق على وجهه واجراء
الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كلف ما لا طاقة له به ومن كلف ما لا طاقة له
به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين • ومن أراد المدح قال انه لشدة تحرزه
في أحكامه واجتهاده في نقضه وإبرامه وانعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من
خفايا الاحكام والنظر في أمر الوصايا ومال الايتام الى غير ذلك من الامور المشقة يحصل

له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكين بل أشد لأن من ذبح بغير سكين يقامى الألم في حال ذبحه ثم يستريح والحاكم بهذه الامور مستقر التعب دائم النكد مشغل القلب منقسم الفكر دائم النظر فنسأل الله اللطف بنا وبه انه على ما يشاء قدير

القسم الثالث والاربعون

(التجريد)

وهو على قسمين . . الاول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الانسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له وذلك قد يكون فضيلة كقول الحيف بيص

إلّا مَ يراكَ المجدُّ في زى شاعرٍ وقد نحات شوقاً فرُّوعَ المنابرِ
وأنتَ نصبتَ الشعرَ علماً وحكمةً ببعضهما ينقادُ صعبُ المفاخرِ
أما وأبيكَ خيرُ انك فارسُ السِّمقالِ ومحى الدّارِساتِ الغوائرِ
وإنكَ أتعبتَ المسامعَ والنهى بقولكَ عما فى بُطونِ الدّفاترِ
. . . وقد تكون لتقيصة ولكن يؤثر ابداءه إما لتشكّ كقول النابغة

حننتَ الى رَيّاو نفسكَ باعدتَ مَزَارَكَ من رَيّاو شعباً كما معا
فاحسنُ أن تأتى الأمر طائماً وتحزّجَ إن دأى الصبابة أسمعاً
وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أتتى على كبدى من خشية أن تقطعا
بنفسى تلك الارض ما أطيب الرُّبا وما أحسنَ المصطافِ والمتربعا

. . . أو يكون لغير التشكى وذلك كالاعتذار كما قال المتنبي

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ فايدُ عِدِ النطقِ إن لم تسعد الحالُ
واجز الامير الذى نعماء بادية بغير قولٍ ونعمى القومِ أقوالُ

. . . القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه مخيلاً لها أن معه غيره كما قبل

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدَى يَدَيَّ أصابَتني ولم تَرِدْ
وهذا النوع في القرآن العظيم منه كثيرٌ وسنذكره في فصل تلوين الخطاب ان شاء الله
تعالى وقد ذكرنا منه طرفاً في أنواع الالتفات فانظره هناك فهو كثير

❦ القسم الرابع والاربعون ❦

(الرجوع والاستدراك)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له باباً • وهو على
قسمين •• الاول أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم والله ما معه من العقل شيء
الأمّ مقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدمُ بلى وغيرها الارواحُ والديمُ
•• القسم الثاني من الاستدراك وهو أن يتبدى كلامه بما يوهم السامع أنه هجو ثم
يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضير

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
وهذا النوع غير مستحسن عند الخذاق فإن السامع ربما بتطير من أول الكلام فيتأذى
ولا يلتذ بما بعده والاستدراك في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى « بلى من كسبَ
سيئةً وأحاطت به خطيئته » وقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » وقوله
تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر » على قراءة
من خففَ فرفع - البر - وقوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم » وقوله تعالى « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »
•• وفي القرآن كثير

﴿ القسم الخامس والاربعون ﴾

(السؤال والجواب)

وهو أن يحكى كلاماً يقال ثم يحويه بقال أيضاً • وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الى قوله « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » • ومنه قوله تعالى « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوَلَةٌ أَلَا تَسْتَعْمُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قَالَ لَنْ نَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ قَالَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوْكُلُوا جِثَّتِكُمْ بَشَرًا مِمَّنْ قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ » • وفي الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس

ويومَ دَخَلْتُ الْخِدرَ خِدرَ عَنزةٍ فقالت لك الولياتُ إنَّكَ مُرْجَلِي
فقلتُ لها سيري وارْخِي زِمَامَهَا ولا تمنعينا من جَنَّاكِ المَلَلِ
ومن بديعه قول بعض المتأخرين

وكاملة الأوصافِ وأفرّةِ الحيا إذا افتخرتَ بالحسنِ عجَزَها المثلُ
شكوتُ إليها ما أجنُّ من الجوى فقالت إذا اشتدَّ الجفا عَذْبُ الوصلِ
فقلتُ أصمُّ العاذلونِ مسامى فقالت إذا صحَّ الهوى بطلَ المذلُ
فقلتُ فإذا عندكم لدلَّةُ فقالت له إما الحياةُ أو القتلُ
إذا شئتُ أَنْ تحظى لدينا فكن لنا فريداً فلا مالٌ لديك ولا أهلُ
فكم هلكتُ في حُبِّنا من معاشر وما نهلوا صفوَ الحياةِ ولا علَّوُا
ولا ظفروا مِنَّا بأيسرِ طائل انطمعُ بالتفريطِ في وصلنا جهلُ

•• ومن ذلك قول الباخري

قد قلتُ لها هجرني ما العلةُ صدتُ وتمايلت وقالت قلْ لهُ
قال علماءُ البيان أحسن هذا النوع ما كذرت فيه القلقة

﴿ القسم السادس والاربعون ﴾

(التوهم • ويسمى الايهام أيضاً)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى • ومنه قوله تعالى « يومئذ يُوفيهم الله دينهم الحق » يوهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق لأن دينهم إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك • ومنه قوله تعالى « قل ما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة » من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن ما بافية وأنه ليس عند الله خير من اللهو ومن التجارة • ومنه قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون الله • ومنه قوله تعالى « فويلٌ للمصابين » من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحقٌ بالمصابين ولهذا قال بعض الجاهل

ما قال ربك ويلٌ للذين سهوا بل قال ربك ويلٌ للمصلين

• • وقد يقع من ذلك في الشعر كثير • ومنه قول سُحَيم

فجاءَ على وحشيهِ وتخالهُ على ظهره سباً جديداً يمانياً

فقوله - يمانياً - يوهم أنه شباً بالشين • وكذلك قول المتنبي

فإن الفِئامَ الذي حوَلَهُ لتحسد أرجاءها الأروسا

فقوله - أرجاءها - يوهم أنه القيام بالقاف وإنما هو بالفاء والفتاء الجماعات



❦ القسم السابع والاربعون ❦

(الشمس)

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى « قد نرى تقاب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله
تعالى « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك وما أنت بتابع
قبلهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ومثل قول الشيخ أبي العلاء
قد أوردت غمد الخيام وأعشبت
شعب الرجال ولو ن رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا
غيري ولكن للحزين تذكر
.. وقال آخر

وما هجرتك النفس يا عز أنها قللتك ولكن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا بقول إذا ما جئت هذا حبيبها
أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

❦ القسم الثامن والاربعون ❦

(الاستثناء)

وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه . أما
الاستثناء ففي القرآن منه كثير . فنه قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير » الى قوله تعالى « الا ما اضطررتم اليه » . ومنه قوله تعالى « قل لا أجد في
ما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسحوقاً أو لحم خنزير »
ومثله في القرآن كثير . وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في القرآن منه شيء لأن

المتكلم به لا يلبق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء • وأما ماسوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك في الاستعمال قولهم ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة • وأما في الشعر فقد ورد في أشعار كثيرة • • منها

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها اليك ولكن ليس منك قليل
• • ومنه قول الآخر

وما بي انتصار إن عدا الدهر ظلالا على بلى إن كان من عندك النصر
• • ومنه قول النابغة

ولا عيبَ فيهم أن سبوا فهُمُ بهنَّ قُلُوبٌ من قِراعِ الكتائب



﴿ القسم التاسع والاربعون ﴾

(الغرابة • والظرافة • والسهولة)

أما الغرابة فقال ابن قدامة • • هي أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب اذا كان عديم المثال أو قليله والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قدما زجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الاسماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يُسأَم على ترداده ولم تملهُ النفوس على دوام ايراده فيكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دقّ ورقّ • • ومن هذا النوع في أشعار العرب والمختصرمين والمتأخرين كثير لا يحصى • • فن ذلك قول بعض العرب

هو صَاحِبِي رِيحُ الشَّامِ إِذَا جَرَتْ وَأَشْنَى لِقَلْبِي أَنْ تَهْبَّ جَنُوبُ
يَقُولُونَ لَوْ عَزَيْتَ قَلْبَكَ لَارْعَوَى فقلت وهل للعاشقين قلوب
• • وقال آخر

ولا تحسبا هندا لها الفدرُ وحدها سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلِّ غَايَةِ هِنْدُ

فما خلفَ اجفائي شؤونٌ بخيلةٌ ولا بينَ أضلاعي لها حَجَرٌ صلدٌ
.. وقال آخر

تقولُ نساءُ الحَيِّ تأملُ أن تَرى محاسنَ ليلى مُتَ بِداءِ المطامعِ
وكيفَ تَرى ليلى بهينَ تَرى بها سِواها وما طَهَّرَها بالمدايعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى حديثُ سِواها في خروجِ المِسامعِ
.. وقال آخر

لا خيرَ في الحبِّ وقفاً لا تحركهُ عوراضُ اليأسِ أو يَرتاحهُ الطمعُ
لو كان لي صبرها أو عندها جزعُ لكنَّتُ أملكُ ما آتَى وما أَدَعِ
إذا دَعَى بِاسمِها داعٍ لِيَحزَنِي كادتُ له شُعبَةٌ من مُهيجِ قمعِ
لأَحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها ما كلفَ اللهُ نفساً فوقَ ما تَسعُ
.. وقال مسلم بن الوليد

عيني لِعينِكَ حينَ تنظرُ^(١) لكنَّ عينِكَ سَهمٌ حَتَفَ مُرْسَلُ
ومن العجائبِ أنَّ معنًى واحداً هو منك سَهمٌ وهو مني مَقْتَلُ
.. وقال آخر

وماذا عسى الواشونَ أن يُتحدَّثوا سِوى أن يقولوا إِنِّي لَكَ عاشقُ
نعم صدَقَ الواشونَ أنتِ عَزيزَةٌ علىَّ وإن لم تصفُ منكِ الخِلائقُ
.. وقال أبو تمام

أقولُ وقد قالوا استرحتَ بموتِها من الكربِ رُوحُ الموتِ شرٌّ من الكربِ
.. وقوله أيضاً

وقالوا عزاءُ الموتِ للنفسِ مدفعُ فقلتُ ولا لِالحزنِ مُدْذِماتُ مدفعِ
ومن الغريبِ السهلِ الظريفِ قولُ أبي تمامِ في قَصيدته التي أولها
ما في وقوفكَ ساعةً من باسِ تحيِّ بقايا الأربُوعِ الأدراسِ
إقدامُ عمرو في سِباحةِ حاتمِ في حِلْمِ أحنفَ في ذِكاؤِ إياسِ

(١) كذا في الأصل ولم تقف عليه في المطبوع من شعره

لا تشكروا ضربى له من دُونِهِ • مثلاً شروداً فى الندى والباسِ
 قاله قد ضربَ الأقلَ لورهِ • مثلاً من المشكاة والنيراسِ
 وهذه الابيات على غاية من الغرابة وعلى نهاية من الظرافة والاطانة واغرب ما فيها أن
 أباً تمام لما أنشد قوله

إقدامُ عمرو فى ساحة حاتم فى حلم أحفَ فى ذكاءِ إياس
 قال بعض من حضر فى مجالسِ الخلافة شبه أمير المؤمنين بكل نوال على عقبيه فأشدد فى
 الحال بديهاً * لا تشكروا ضربى له من دونه * البيتين • فقال له الخليفة تمن فقال
 تمنيت الموصل فكان الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه
 لا يصل اليها فافنى من قوة فكرته شممت رائحة كبده فتوجه اليها فمات فى الطريق • وهذا
 النوع القرآن كله منه فانه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق وجودة الاتساق على
 غاية لا تدرك وطريقة لبعده مثالها لا تسلك • • ومن هذا النوع قول زهير

وما كان من خير كبير فانما توارثه آباءُ آبائهم قبلُ
 وهل يُنبِتُ الخطى الأوشيجهُ وتُفرسُ إلا فى منابتها النخلُ
 على مُكزيهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذلُ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح بيت
 قالته العرب وقد طعن عليه بعض الحداق منهم وذكر فيه عيوباً • منها أنهم لو كانوا أكرماً
 ما كان فيهم مقل • ومنها أنه جعل حق المعترى على المكثرين واجباً عليهم ولم يوجهه
 على المقلين فكان المكثرون عليهم أكرامُ الضيف واجبا ولم يكن واجباً على المقلين
 فاقضى ذلك أن يكون اعطاء المكثرين عن كظم واعطاء المقلين عن كرم فصار المقلون
 أحسن حالاً من المكثرين وأكرم أفسا وعليه ما أخذ غير هذه ولسنا بصدد استيفائها
 وهذا الباب واسع جداً وما ذكرناه فيه مقنع

﴿ القسم الموفى خمسين ﴾

(ما يوههم فساداً • وليس بفساد)

وهو أن يقرن الناظم أو النائر كلاماً بما ليس يناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه • • ومنه في القرآن كثير وكذلك في أشعار العرب • • أما القرآن • فنه قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قرنها بقوله « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن » الآية واتبعها • بقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية » الآية فليس قبها وبعدها ما يناسبها • ومنه قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظم فيها ولا تضحي » الذي يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول إن لك أن لا تجوع فيها ولا تنظم وأنت لا تعرى فيها ولا تضحي • ومنه قوله تعالى « فان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وغير العالم المطاع على خفايا معاني القرآن العظيم يظن في ذلك كله عدم المناسبة وليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الاحسن وسندكر ان شاء الله المناسبة في ذلك • • فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير في المناسبة وجوها • أحدها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت هذا في اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبه حسنها ومالها فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثاها ويحوز مالها فأعلم الله المؤمنين أن من خشى منهم أن يقع في مثل ذلك مع اليتامى فليتكح ما طاب له من النساء من غير اليتامى • وقيل المعنى فان كنتم من التقوى على حد تحشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقساط فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعنى اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فان كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عاينه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وقد ذكر أئمة التفسير في الجمع غير ذلك اقصرنا على هذا خشية التطويل • وأما آدم عاينه السلام فقد تقدم في المناسبة انها تارة يقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط

وثارة يراعى فيها مناسبة المعنى وهذه الآية منه وهو الذى أريد لأن - الجوع - خلو
الباطن عن الغذاء - والتعمرى - خلو الظاهر عن الثياب - والظمأ - احتراق الباطن
بالحرارة - والضحى - احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها • وأما آية
الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال لما
أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع
لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم الكمال ثم لما كانت حقوق
الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة
بالمات بعدها • وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على
هذا منها • وقد وقع فى اشعار العرب الاقدمين والمتقدمين من الاسلاميين والمتأخرين
من هذا النوع كثير • من ذلك قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل نخيلى كرى كرتة بعد إجفال

• قال بعض النقاد ان هذا فاسد لانه جعل التغزل مجاوراً للشجاعة فى البيتين
والأجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول

كأنى لم أركب جوداً ولم أقل نخيلى كرى كرتة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

• ومن هذا النوع قول المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال جرحى هزيمة ووجهك وضاح وثورك باسم

• وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الخدائق بما حكى أن سيف الدولة قال
للمتنبي هذا فاسد المجاورة لانك أثبت بالتنبيه قبل ذكر المشبه والاجود أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثورك باسم
تمر بك الابطال كللى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

• فقال المتنبي أيد الله مولانا الامير ان صح الذى استدرك صح الذى استدرك على

امرئ القيس وهو أعلم بالشعر منى فقد أخطأ امرؤ القيس وأسأت أنا ومولانا يعرف
أن الثوب لا يعرفه البراز كعرفة الناسج لأن البراز يعرف جلته والحائك يعرف جلته
وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية . . وانما قرن امرؤ القيس لانه للنساء
بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السباحة فى سبأ البحر للاضياف بالشجاعة فى منازل
الاعداء وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما
ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية
قلت - ووجهك وضاح وتغرك باسم - لأجمع بين الاضداد فى المعنى وان لم يتسع اللفظ
لجميعهما فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً . . ومن ذلك قول بعضهم
فالك أن تهجو تيماً وترثى سرايل قيس أو سحق العمام
كمهزق ماء فى الفلاة وغره سراب أذاعته رباح السمام
. . وقال آخر

إنى وتركى ندا الاكرمين وقد حى بكفى زناداً شحاحا
كناركة بيضها بالعرأ وملبسة بيض أخرى جناحا
يجب أن يكون كل بيت من الاولين مع بيت من الاخرين لانه أجود وأنسب . . ومن
هذا النوع أيضاً قول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه دليلا ومن كفيه بحراً من النداء
قال النقاد هذا فاسد التفسير لانه قابل البنى بالسباحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك
فيقول تنظر أسداً حامياً وليثاً مانعاً . . وقد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة
بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر

لا تطابن من البخيل شجاعة ان البخيل يخاف أسباب الردى
من لا يجود بماله يوم النداء أنى يجود بنفسه يوم اللقاء
وقد تمسف لهذه الابيات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها عن أن
تكون فاسدة ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقتنع والله الهادى والموفق
(٢٣ - فوائد)

❦ القسم الحادى والخمسون ❦

(فى النادر والبارد)

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه سىء وسبأنى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شئ . . . وأما النادر فلقرآن مشحون به فان أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى وكل آية تحتوى على معان لغير المتكلم به لا تتأنى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر وفيه النادر الحسن والاحسن . . . فمن الآيات التى لم يسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى « ولما جاء أمرنا وفار التنور » الى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ولهذا ان ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة وزق ما كان اختلقه . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين . . . ومن هذا النوع فى القرآن كثير بل القرآن كله حسن وأحسن وليس هذا موضع استقصاء الاحسن وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه

— ❦ ❦ ❦ —

❦ القسم الثانى والخمسون ❦

(المساواة والتقصير)

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . والقرآن العظيم جلّه بل كله على هذا النمط . وأما التقصير فليس فى القرآن منه شئ وسبأنى بيانه فى الفن الثالث

﴿ القسم الثالث والحمدون ﴾

(التصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير)

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فسر ذلك الامر بقوله - أن دابر هؤلاء • مقطوع مصبحين - وفي ابهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتعظيم لشأنه فانه لو قال تعالى - وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - لما كان بهذه اثابة من الفخامة فان الابهام أولاً يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوف الى معرفة كنهه والاطلاع عليه وعلى حقيقته • • ومن هذا الباب قوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذى أنعمت عليهم » لما جاء فى الاول من التنبية والاشهار بأن - الصراط المستقيم - هو صراط المؤمنين فدل عليه بأناغ وجه كما تقول - هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم - ثم تقول - فلان - فيكون ذلك أبانغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم والأفضل لانك بدأت بذكره مجملاً ثم بينته مفصلاً فجعلته عاماً فى الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً للخصاتين جميعاً فعليه بفلان • وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى « وقال الذى آمن يا قوم انبعونى أهديكم سبيل الرشاد » الى قوله « يرزقون فيها بغير حساب » ألا ترى كيف قال - أهديكم سبيل الرشاد - فاهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فاقتتح كلامه بدم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها أصل الشكر كله ثم نبى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هى الوطن المستقر ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف ويُنشط لما يزلف فكانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة فى الآخرة والامتناع عن الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمساورة الى الاعمال الصالحة

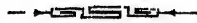
رجاء المجازاة عليها .. وكذلك قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت » ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد ولما في تبيينها بعد ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس في الاضافة .. ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً » الى قوله « فأطاعُ إلى إله موسى » الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبهماً أولاً ثم فسرهما ثانياً ولأنه لما كان بلوغهما أمراً عجيباً أراد أن يورده على صورة مشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك .. ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » فانه لما أتى بالضمير الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو في القرآن كان ذلك تفخيماً له وتعظيماً من أمره ولو قال - وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن - ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير .. ومثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل - ثم يقال - فلان - وقد سبق الكلام عليه .. وأما الابهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن العزيز كقوله تعالى « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْأَقْوَمِ » أي الطريقة أو الحالة أو الملة التي هي أقومها وأشدها وأى ذلك قدرت لم تجده له مع الافصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .. ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العددي وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى وانما يفعل ذلك طلباً للمبالغة لأن له تأثيراً شديداً في القلب وموقفاً عظيماً في النفس وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد في العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرنا من الابهام ثم التفسير بعدهما يسوّى بينهما .. فن ذلك قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبثَ فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً » فانه انما قال - ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً - ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة وهي ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيهاً له فان ذكر رأس العدد الذي هو منتهى

العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع قوّة صبره وما لاقاه من قومه .. ومن بديع التفسير بعد الابهام قوله تعالى « انما أعظمكم بواجدة أن تقوموا لله مثنى وفُرادى » ولو حذف - واحدة - كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التي في الابهام وزال ما فيه من الغموض وانقطع شوق النفس الى التفسير وفسر - الواحدة - بقوله أن تقوموا لله مثنى وفُرادى .. ومنه قوله تعالى ٢ والمؤتفكة أهوى ففشاها ما غشى » . ومنه قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . ومنه « وفعلت فعلتك التي فعلت » . ومنه في الاستعمال قولهم فواد فيه ما فيه .. ومنه قول الشاعر في وصف الجر

فقد مضى ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقى يطلبُ الباقي
.. ومنه قول الآخر

مضى ما مضى حتى علا الشيبُ رأسه فلما علاه قال للباطل ابعُد
.. وقال آخر

سأغسلُ عنى العارَ بالسينبِ جالِباً على قضاء الله ما كان جالِباً
فاعرف ذلك وقس عليه



❦ القسم الرابع والخمسون ❦

(التعقيب المصدري)

وانما يُعمد الى ذلك لضرب من التأكيّد لما تقدّمه والاشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك .. مثال الاول قوله تعالى « ويوم يُنفخُ فى الصُّورِ ففزعَ مَنْ فى السمواتِ وَمَنْ فى الارضِ » الى قوله « هلْ تُجزَوْنَ اَلا ما كنتم تعملون » فقوله - مُنْعَ الله - من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله « وعد الله . وصبغة الله » ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ في الصور وإحياء

الموتى والفرع واحضار الناس للحساب وتسير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقب ذلك بأن قال - صنع الله - أى هذا الأمر العجيب البديع صنع الله والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت من الاشياء الباهرة وأثابة الله المحسنين ومعاقبة المجرمين فجعل هذا الصنع من جملة الامور التى هى أنفسها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال - صنع الله الذى أتقن كل شئ - يعنى أن مقابلة الحسنه بالتواب والسيئة بالعقاب من إحكام الاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على الحكمة أى انه عالم بما يفعل العباد وبما سيرجعون اليه فيكافئهم على حسب أفعالهم ثم خص ذلك بقوله « من جاء بالحسنة » الى آخر الآيتين . فانظر أيها المتأمل الى بداعة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة ايجازه وفصاحته تفسيره وأخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ افراغا واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق . ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كاشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا ما قد كان ألا ترى الى قوله - صبغة الله . وصنع الله . ووعد الله . وفطرة الله - بعد ما وسمها باضاقها اليه بسمه التعظيم كيف تلاها بقوله - الذى أتقن كل شئ - . . وأما الثانى وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تفسير الشأن كقولهم اذا ذكر انسانا يريدون ذمه - قد ركب هواه . واستقر على غيه . وتمادى على جهله . وسحب ذيل عجيجه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع الشيطان الذى غلب النفوس وميل الالباب - ومثل هذا كثير فاعرفه

— القسم الخامس والخمسون —

(النفي والاثبات)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان وقالوا ان لنى الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه

على نفيه • وقد بينا أن زيادة المفهوم في اللفظ توجب زيادة الالتئاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص واثبات الخاص أحسن من اثبات العام • أما الاول فكقوله تعالى « مَثَلُهُمْ كَمِثْلٍ نُورٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » ولم يقل بضوئهم لأن النور أعم من الضوء إذ يطلق على الكثير والقليل وإنما يقال الضوء على القدر الكثير • ولذلك قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » وهاهنا دقيقة وهو أنه قال - ذهب الله بنورهم - ولم يقل أذهب نورهم لأن الأذهاب بالشيء لا يمنع من عود ذلك الشيء بخلاف الذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه في الذهاب ومقتضى ذلك منعه من الرجوع • وكذلك قوله تعالى « قال الملأ من قومه إِنَّا نُرَاكِ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ » معناه لاضلالة واحدة في ويلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة ولا كذلك لو قال ليس بي ضلال لان اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفي هو الكثير • ومما يشبه ذلك قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » فان هذا يدل على النهي عن الضرب أيضاً لاعلى أن التأنيف أعم بل لأن المقصود من منع التأنيف هو الاكرام وعدم الاهانة والاهانة بالضرب أكثر من الاهانة بالتأنيف • الثاني كقوله تعالى « وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » ولم يقل طولها لان العرض أنقص اذ كلما له عرض فله طول ولا ينعكس • ومما يتعاق بهذا انه اذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم في التشبيه أو أوفق من بعض فالاولى والألام الاقتصار على ما هو أتم وأوفق فان ذكر الكل فالاولى الابتداء بالادنى والاضعف ليكون انتقال الذهن الى الأعلى بتدرج ولأن التشبيه بالأعلى أدنى وانتقال من لذة الى ما هو دونها غير مُلذذ ولا مستحسن فلذلك قال الاشتر النخعي

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَانَهُ لِمَعَانٍ بَرَقَ أَوْ شِعَاعُ شَمْسٍ

• واذا كان للشيء صفة يعنى ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لان ذكرها كالنكرار وهو ممل واذا ذكر فالاولى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدلالة عليها وقد يحل بذلك لمقصود

آخر كما في قوله تعالى « وكان رسولا نبيا » فانه آخر نيا لاجل السجع . واذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فان ذكرنا فالأولى تأخير الدال وقد يخل بذلك المقصود كما في قوله تعالى « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وعلى قياس ما قلنا ينبغي أن يقتصر على صغيرة وان ذكرت الكبيرة فأتذكر أولا . ومنه قوله تعالى « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وعلى ذلك الفياس يكتب في قوله - ولا تقل لهما أف - وان ذكرنا فيقول - ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف - . . . واذا تكررت الصفات فان كان للمدح فالأولى الانتقال من الأدنى الى الأعلى ليكون المديح مزيداً لتزايد الكلام وان كان للذم فقد قالوا ينبغي الابتداء بالأسد ذماً وهو مشكل . وقد يجوز أن يستعمل نفي الخاص لنفي العام ويسمى هذا عكس الظاهر وهو من المجاز البديع . ومثاله قول على رضي الله عنه في وصفه لمحاسن رسول الله صلى عليه وسلم انه لانتني فلتاته - أي تذاع والمراد أنه لافلتات له البتة وانما يعرف ذلك لأنه نكرته في معرض المدح وانما يكون كذلك اذا كان المراد ما ذكرناه . ومنه - ليس بهاضب فينجح - والمراد أنه لا ضب بها . . . وكذلك قول بعضهم

تردين جلاب الحياء فلم يرى لذيهرهن على الطريق غبار

والمراد انهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا يعني ان يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت افراده

❦ القسم السادس والخمسون ❦

﴿ في الضمائر وما يتعلق بها ﴾

اعلم وفقنا الله ويايك أن الضمير لا يخاو إما أن يكون معلوماً أو لا يكون كذلك . فالأول تأكيده بضمير آخر . عدم تأكيده بذلك سواء في البلاغة كما في قوله تعالى « بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » مع قوله تعالى « نعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان

فاستوى حذف الضمير المؤكد واثباته معهما . والثاني الأولى فيه والأفصح تأكيد الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعاق به . وحينئذ إما أن يكون الضميران متصين أو منفصلين أو أحدهما متصل والآخر منفصل . أما المتصلان فكقوله تعالى « قال أفتأت نفساً زكيةً بغير نفسٍ لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً » وإنما أكد هنا دون قصة السفينة لارادته في قصة الغلام زيادة النكر . . وأما المنفصلان فكقول المتنبي

فالك أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر المليك الهمام

والغرض المبالغة في زيادة المدح . . وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلًا فكقوله تعالى « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » وهاهنا دقائق . أحدها الاتيان بلفظة -إن- المشددة لتفيد تأكيد ثبوت ما بعدها . وثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد ما يتعاق به . وثالثها ذكر -الأعلى- معرّفاً يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف عالي وأعلى . ورابعها أن -الأعلى- بصفة أفعل يشعر بزيادة العلو . وخامسها حذف لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله - لا تخف - علة لعدم الخوف لأنه نهى عنه واشتقاقه بعد ذلك بقوله - إنك أنت الأعلى - منع أيضاً من الخوف لأن الأعلى لا يحاف الأدنى

- القسم السابع والخمسون -

(الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حد البلاغة معرفة الفصل والوصل . . واعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هاهنا والعطف (٢٤ - فوائد)

والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام . الاول عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الاعراب . الثانى عطف الجمل التى فى قوة الافراد ويفتضى التشريك أيضاً . الثالث الجمل التى ليست فى قوة المفرد . وهى على قسمين . قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعاقفاً بمعنى الأخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز ادخال العاطف لأن التوكيد والعفة متعاقبان بالتوكيد والموصوف لذاتيهما والتعاقب الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه فالتأكيد كقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . وكقوله تعالى « واذا تلى عليه آياتنا ولّى مُستكبراً كان لم يسمعهما كأنّ فى أذنيه وقراً » ولم يقل وكأن لأن المقصود من التشبيه بين فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أبغ . . وكذلك قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ » . وقوله تعالى « وما يسلط عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى » الانبئات فى الآيتين جميعاً تأكيد لنى ما نفى . . وأما قوله تعالى « إن هذا إلا مآكٌ كريمٌ » فيحتمل أن يكون تأكيداً لقوله « ما هذا بشراً » اذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات اما هو الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من اخلاق الحسن واخلق الجليل ما يعجبوا منه قالوا ما هذا بشرٌ لارغرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوماً قبل التصريح به كان التصريح به تأكيداً ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على الخصوص فان القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله ملكاً تعييناً لذلك النوع وتميز له عن غيره . الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعاقب ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذي هو عالمٌ أن الهوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريمٌ

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين . ثم ان كان الحديث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما والذي أخبر عنهما والمراد بال مناسبة أن يكونا متشابهين كقوله زيدا كاتب وعمر وشاعر أو متضادين تضاداً على الخصوص كقوله زيدا طويل وعمر قصير وكقوله العلم حسن والجمل قبيح . فلو كانت زيدا طويل

والخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع اذ لم يكن لزيد تعاقب بحديث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل اللفظ اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر .. وان كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً كقولك فلان يقول ويفعل فيجب الاتيان بالعاطف فان الغرض جعله فاعلاً للامرين وترك العاطف يوهم أن الثاني رجوع عن الاول والاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك المعجب من انك تنهى عن شيء وتأتى مثله . وكقول الشاعر

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكفّ الاذى عنكم وتؤذونا
أى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا ويجامعها في الحصول ..
والعاطف تارة يجب اسقاطه وتارة يجب اثباته وتارة يخير بين اسقاطه واثباته .. أما
الذى يجب اسقاطه فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى « واذا قبل لهم لانفسدوا
في الارض قالوا ائمانحنُ مُصالحون ألا انهم هم المفسدون » فقوله - ألا انهم هم
المفسدون - كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو العاطفة لكان اخباراً
عن اليهود أنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام ..
وكذلك قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا اياهم معكم انما نحن مستهزون
الله يستهزئ بهم » فهذا اخبار من الله تعالى وفي الحقيقة جواب سوء الى مقدر لانه
تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تشوّف السامعون الى العلم بتصير أمرهم
فكانه قيل : ذا فعل الله بهم فقال « الله يستهزئ بهم ويمتهزئهم في صغيانهم يمتهون »
.. وأما ما يجب اثبات العاطف فيه فقولته الى « يخادعون الله وهو خادعهم »
ومكروا ومكر الله » فان كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى . ومثله في القرآن
العظيم كثير . وأما الذى يخير بين اسقاطه واثباته فهو اذا كان اسقاطه لا يخل بالمعنى
واثباته لا يفيد معنى زائداً . وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

يشقّل على ذكر جلّ عطف بعضها على بعض
بالواو • والفاء • ونم • واختلاف معانيها

• فمن ذلك قوله تعالى • هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي وإذا أمرتُ فهو يشفين والذي
يمتني ثم يحين • عطف أولاً بالواو لان الاطعام والاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع
أن تأخير الاسقاء أولى ولذلك أخره في الذكر وعطف ثانياً بالفاء اذ لامهلة بين المرض
والشفاء وعطف ثم لما بين الامانة والاحياء من المهلة ومع ذلك نسب الموت الى الله
لما في ذلك من اظهار القدرة والقهر ونسب المرض الى نفسه لان الادب أن لا ينسب
الى الله تعالى الا ما يحمد والموت وان كان مذموماً لكنه عند قائل هذا محمود لانه
على يقين من السعادة الاخرية • ومن ذلك قوله تعالى « فحَمَاتِهٖ فَأَنْتَبَذَتْ به مكاناً
قصياً فَأَجْأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى رِجْذَعِ النَّخْلَةِ » انما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخض والحمل
مهلة لان المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يوماً وقيل كانت ثلاث
ساعات وعليه أكثر المفسرين حتى يتبين حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها
فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك • • وجميع أفعال المطاوعة اذا كانت على معانيها فاتها
يعطف عايتها بالفاء لا الواو وتقول دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ ولا يحسن أعطيته وأخذ
ولادعوته وأجاب قال الله تعالى حكاية عن ابليس « وما كان لي عليكم من سلطان
الا أن دعوتكم فاستجبتم لي » وكذلك تقول كسرت فأنكسر ولا تقول كسرت و انكسر
• وأما اذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عايتها بالواو كما في قوله
تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » • ومن المعطوف بالواو
أيضاً قوله تعالى « وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. » ولو قال لي هدى أو
على ضلال لم يحسن لان على - تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق - وفي - تفيد الوعاء والكافر
كأنه مغموس في الضلال • • ومن هذا النوع قوله تعالى « انما الصدقات للفقراء

والمساكين والعاملين عايتها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل»
 ما عدل عن اللام في الاصناف الاخيرة الا لبيان ان تلك الاصناف أحق بالصدقات ينبغي
 أن توضع فيهم وضع الشيء في الوعاء وكرر في ابيان أن سبيل الله أولى بذلك فتأمل
 فهو كثير في القرآن

القسم الثامن والخمسون

(في الوصف)

والوصف أصله الكشف والظهار من قولهم - وصف الثوب الجسم - اذا لم
 يستره ونم عليه . . وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولاجل ذلك قال بعضهم أحسن
 الوصف ما قاب السمع بصراً . . ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة
 التي أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوها أن توصف لهم بقولهم « أدع لنا ربك مبین لنا
 ما هي قال انه يقول انها بقرۃ لا فارض ولا بكرۃ عوانۃ بین ذلك » وقوله لما سألوها
 أن يصف لهم لونها « قال انه يقول انها بقرۃ صفراء فاقعۃ لونها تسرۃ الناظرین »
 وقوله لما سألوها بيان فعلها قال انه « يقول انها بقرۃ لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
 مسلمة لا شية فيها » فجمع في هذه الآية جميع الاحوال التي يضبط بها وصف الحيوان
 فان الحيوان عند البيع والاجارة وسائر وجوه التمايكات يحتاج فيه الى معرفة سنه ولونه
 وعمله ثم يفتقر فيه الى معرفة عيوبه فنفي الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب
 بقوله - لا شية فيها - فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف فانه في الاول وصف سنه وفي
 الثاني وصف لونها وفي الثالث وصف خاقها وعملها . . ومن ذلك قوله تعالى « مثل
 الجنة التي وعد المتقون » أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت . . ومنه قوله تعالى
 « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا » وقوله تعالى « الذين ينفقون » الآية . . وقوله
 تعالى « مثل الحياة الدنيا » الآية . . ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى وكذلك

فى السنة النبوية وكذلك فى الشعر ٠٠ ومن بديع ما ورد فى الشعر قول أبى تمام فى وصف سحابة

ديعةٌ سحت المهاد سكوب مستقيثٌ بها الزى المكروب
لوسعت بُقعة لاعظام أخرى لسى نحوها المكان الجديب
٠٠ والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع الى حقيقته وذاته ٠ وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير

٥ - القسم التاسع والخمسون ٥ -

(تنسيق الصفات بغير حرف لسق)

وهو أن تصف الشئ بصفات عديدة متوالية ٠ اما لتعظيمه ٠ واما لتحقيره ٠ واما لبيان خصوصية فيه ٠ ومنه فى الكتاب العزيز كثير ٠ ٠ أما فى التعظيم فمثل قوله تعالى « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » الى آخر السورة ٠ وأما فى التحقير فكقوله تعالى « ولا تطع كل حلافٍ مهين هازٍ مشاءٍ خميم مَناعٍ للخيرِ مُعتدٍ أنيم مُعتلٍ بعد ذلك زينم » ٠ ومالبيان الخصوصية واطهار الكرامة فكقوله تعالى « عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً » الآية ٠ ومنه فى السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - ألا أخبركم بأحبكم الىّ وأقربكم منىّ مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون - ومن الدم - ألا أخبركم بأبغضكم الىّ وأبعدكم منىّ مجالس يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون - ٠٠ ومن هذا النوع فى الشعر كثير ٠ من ذاك قول العباس يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للارامل ٠٠ وقول حسان

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم سَمَّ الأنوف من الطراز الاول

❦ القسم الستون ❦

(حسن النسق)

وهو أن تأتي بكلمات من النثر أو النظم متاليات ومتعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل وكل بيت إذا جرد من تلوه استقلال معناه ولم يفتقر الى غيره وان ضم اليه تلوه صارا كأنهما بيتاً واحداً . .
ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي » وقيل بعداً للقوم الظالمين « فأنت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لانه سبحانه بدأ بالاهم اذ كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتبها ذلك الا بانكشاف الماء عن الارض فلذلك بدأ بالارض فأمرها بالانقلاع ثم علم سبحانه أن الارض اذا ابتاعت ما عاها ولم تقطع مادة السماء تأذي بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكبر مما تبتاع الارض فأمرها بالانقلاع بعد أن أمر الارض بالانقلاع ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الارض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضى أن تكون ثالثة الجمالين المتقدمين ثم قال تعالى - وقضى الامر - أى هلك من قدر هلاكه ونجى من قضيت نجاته وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها الا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ولذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتي بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا . وقوله سبحانه وتعالى - وقيل بعداً لقوم الظالمين - وهذا دعاء أوجه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسبهم ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدم والله أعلم . فانظر

الى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء .. وقد حكى ان ابن المقفع العبدى عارض آى القرآن فلما بانغ الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذه الفصاحة التى لا تبارى والبلاغة التى لا يسابق انتكالم بها ولا يجارى والقول الفصل الذى لا يختلف فيه ولا يتمارى * وهذا فى الشعر كثير .. ومن أحسنه قول ابن شرف القيروانى

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْمَلْ بِمُحَادَّةِ
سَلِّ عَنْهُ وَانْطِقْ بِهِ وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ
اِذَا اَدَّرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْاَسْلِ
مَلءَ الْمَسَامِعِ وَالْاَفْوَاهِ وَالْمَقَلَّ

القسم الحادى والستون

(المدح والذم)

وفي كتاب الله تعالى منه كثير . المدح للمؤمنين . والذم للكافرين . ومدحه هو المدح على الحقيقة . وذمه هو الذم على الحقيقة . . وقد مدح الله تعالى نفسه بقوله « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . وقوله تعالى « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » حتى قال بعض العلماء لكل أحد نسبة ونسبة الله تعالى - قل هو الله أحد - ومدح الله عز وجل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ومدح نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في آيات كثيرة . منها قوله تعالى « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » ومدح المؤمنين بقوله تعالى « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمُ آلَةً يُحِبُّونَ الَّتِي أَحْصَانَا فِي الْحَقِّ وَتِلْكَ لَمَنَاسِكُهَا » . وذم سبحانه وتعالى الكافرين بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . . وذم سبحانه وتعالى الكافرين بآيات كثيرة . منها قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَبُصُرِهِمْ لِيَنْحَرِبُوا عَنْ دِينِهِمْ قَدْ كَانُوا لَافِقِينَ » . وذم المنافقين بقوله « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم . . . وأمدح الناس بعضهم بعضاً فينبى لمن أراد أن يمدح أحداً أن يمدحه بألفاظ حسنة مستعذبة واضحة المعنى رقيقة اللفظ غير حوشية ولا قلقة وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة المطلع بديعة التخلص عذبة المقطع وأن يكثر في وصف المبدوح ونشر مآثره وتهديد مكارمه ونحو ذلك ويكثر من ذكر النوع الذي يميل إليه من المكارم ويجب أن يوصف به من المآثر ونحو ذلك . . . وقد قال قدامة الأوصاف التي يمدح بها أربعة . الأول العقل ويدخل فيه الحياء والنبات والسياسة والكفاءة وثقافة الرأي والصدق بالحجة والحلم عن سفاهة السفهاء وأمثال ذلك . الثاني الشجاعة ويدخل فيها المهابة والحماية والدفاع والاختذ بالثأر والنكاية في العدو وقتل الاقران والسير في المهامه وأشياء ذلك . الثالث العفة ويدخل فيها القناعة وقلة الشره وطهارة الإزار ونحو ذلك . الرابع العدل ويدخل فيه السباحة والاطلاق والتبرع بالنائل واجابة السائل وقرأ الضيف . ويحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات والوفاء بالوعد . ومع العفة ترك الشره والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة . ومع العدل البروانحجاز الوعد . ويحدث من تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغبرة على الحريم . ومع العدل الانشلاف وترك الخلاف . ويحدث من تركيب العفة مع العدل الاسعاف بالقوة والايتار على النفس ونحو ذلك . . . واستوعب زهير الاقسام الاربعة فقال

أخي ثقة لا تهلك الحر ماله ولكنهُ قد يهلك المال نائله

وصفه بالعفة لقلة امعانه في الذات وبالسخاء ووصفه بالشجاعة والعقل فقال

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لا ذهاب ضيم أو خصم يجادله

وأما قوله - أخي ثقة - فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا . . . وفي الذم يأتي بأضداد ما تقدم . وقيل أحسن الهجاء ما لا تستحي العذراء من انشاده . وقيل في الذم أن تأتي بالألفاظ المنكية والمعاني المشجية والمقاصد المؤلمة المبكية ويتوخى أقبح معائب المهجور وأعظم وجوه الازدراء به ولهذا المعنى حرّمه الله ورسوله وعم بالذم

والانكار كل من يحفظه أو يقوله

﴿ القسم الثاني والستون ﴾

(الحمد والشكر)

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم وهم الجمهور الحمد هو ذكر ما في الانسان من المآثر الحسنة والصفات المستحسنة والشكر ثناء يقصد به مجازاة المنعم . . وقال بعض أهل العلم ان الحمد وصف الحلال كقول الحساء أخت صخر

وما نامت كفأ امرئ متناولا من المجد إلا والذي بات أطول
وما باغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا التي فيك أفضل
والشكر وصف الافعال كقول الشاعر

وانكم بقية حتى قيس وهضبت التي فوق النصاب
تبارون الرياح اذا تبارت وتمشون أفعال السحاب
يذكرني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

.. وقيل ان الحمد والشكر سواء . . وقال أهل اللغة - حمدت الرجل - اذا شكرت له صنيعه - وأحمدته - اذا وجدته محموداً . . وقال ابن الانباري - حمد - مقلوب مدح وقد قيل كيف يكون الحمد والشكر سواء والحمد فيضه الذم والشكر قبيضه الكفران والذي أختاره أن الحمد أعم من الشكر وانه قد يحمد الشخص على ما فيه من الاخلاق الجليلة والصفات الجميلة ويحمد على حسن خلقه من الصباحة والجمال والكمال ويحمد على ما فيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ويحمد على كثرة اعماله واحسانه والشكر انما يكون للنعيم عليك فقط فاذا حمدت أحداً ان نويت بالحمد الشكر له على ما اسدى اليك من الانعام والاحسان كان هذا الحمد هو الشكر لانه مجازاة لصنيع ومكافأة لاحسان فقد اتيت بأعلى درجات الشكر هو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله الحمد رأس الشكر وهو الذى يجوز اطلاقه على الشكر والطلاق الشكر عليه وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه الله عليها فهذا أخو المدح وهو اعلاه ويجوز اطلاقه على المدح والطلاق المدح عليه وان أردت بالمدح وصفه بكمال الجمال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى اليك والى غيرك من الانعام والافضال فهذا هو الحمد الكامل ولا يجوز أن يطابق عليه الشكر والمدح فهذا هو الحقيقى . . . وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق والجمع بينهما وبين المدح ومن علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والاتلاف والله الموفق للصواب لا رب غيره

— القسم الثالث والستون —

(تأكيده المدح بما يشبه الذم)

وهو كقولهم بحار العلم إلا أنهم جبال الحية . . . ومنه قول بديع الزمان هو البدر إلا أنه البحر زائراً . . . سوى أنه الصرغام لكنه الوابن وهذا من نوع الغلو والإغراق وسأأتى بياته عقيب هذا القسم ان شاء الله تعالى . وهذا النوع فى القرآن كثير

— القسم الرابع والستون —

(المبالغة) وتسمى الافراط والغلو والايغال .

ومعنى هذه الاسماء متقاربة وبعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان المبالغة الريادة على التمام وسميت مبالغة للموغها الى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تاما دونها لكن الغرض بها تأكيده ذلك المعنى فى الله . . . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والاشعار منه كنه . . .

أما الكتاب العزيز فقوله تعالى « اذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » • ومنه قوله تعالى « وقد
مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وقد قيل ان
هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع • ومنه قوله تعالى « تكادُ السَّمَاوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا » • وقوله تعالى « ولَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى » الآية • • وأما الكلام الفصيح
فقد رَوَى عن العرب أنهم قالوا فلان يَهْدُ الجبال ويصرع الطير ويفزع الجن ويَزْوِي
الماء • • وقال بعض العرب في فرسه - يحضر ما وجد أرضاً وإن الوابل ليصيب عجزه
ولا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتي - • وذم اعرابي رجلاً فقال - يكاد يمدى لؤمه من
تسمى باسمه - • وقالت سكينه - ما لبست بنيت الدر إلا لتفضحه - ومنه في الشعر
كثير • • فمن ذلك

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظم الجزع نأربه

• • وقال المتنبي

لقيت الروابي والشناخيب دونه وجبت هجراً يترك الماء صاديا

• • وقال آخر

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم لقليل اقعدوا يا آل عباس

• • وقال آخر

فكنت إذا ما جئت ليلي بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنوبعيدها
من الخفريات البيض ود جليسا إذا ما مضت أحداثة لو تعيدها
وكيف يود القلب من لا يودده بل قد تريد النفس من لا يريد لها

• • وقال آخر

وحديتها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود الحديث أنها لم توجز

شركُ النفوس ونزعةُ ماثلها للطمئن وعُقلةُ المستوفز
والاشعار في هذا الباب كثيرة لا يحصى

— القسم الخامس والستون —

(الرثاء والتعزية)

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاسن الماثورة . ومنه قوله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سلاماً على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين » . وقوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » . وقوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنه من عبادنا المؤمنين » . وأما التعزية فهو أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلفي الميت وتصبيرهم واطفاء نار ثكلهم . وفي القرآن من ذلك كثير وهي كثيرة في أشعار المتقدمين والمتأخرين . . . أما القرآن فقوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة » . وقوله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . وقوله تعالى « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » . وقوله تعالى « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة » . وقوله تعالى « أينما تكونوا يذرَكُمْ الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » . وقوله تعالى « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » . وقوله تعالى « والذين إذا أصابهم مصيبةً قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » . وقوله تعالى « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . وأما الاشعار فقد ورد منها في هذا كثير لا يحصى . . فن أحسن ذلك قول بعضهم

مضى ابن سَعِيدٍ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
وَأَصْبَحَ فِي حِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُفْرَدًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
لَنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمَرَاتِي وَحُسْنُهَا لَقَدْ عَظُمَتْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ الْمَدَائِحُ
•• وَمَنْ بَدِيعِ التَّعْزِيَةِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

•• وَقَوْلَ بَعْضِهِمْ
قِسْمَةُ الْمَوْتِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ كُلُّ حَيٍّ بِكَاسِهَا غَمُورٌ
•• وَقَوْلَ الْخُنَسَاءِ

يَذَكَّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْ لَا كَنْزَةُ الْبَا كَيْنَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَسَكُنْ أَسَلَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّائِسِي

﴿ الْقِسْمُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ ﴾

(فِي الشَّكَايَةِ)

وهي في القرآن على قسمين . ملفوظ بها . وغير ملفوظ بها . •• أما الملفوظ بها
ففي قوله تعالى « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » •• ومن الشعر قول بعضهم
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي وَالْآخِلَاءَ تَذْهَبُ
•• وَقَالَ آخَرُ

وَلَا خَيْرَ فِي شَكْوَى إِلَى غَيْرِ مُشْتَكِي وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرٌ
•• وَأَمَّا غَيْرُ الْمَلْفُوظِ بِهَا ففِي الْقُرْآنِ مِنْهُ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « قَالَ رَبِّ إِنِّ
الْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام » قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ
قوله » وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۖ وقوله تعالى » وَأَفْوَتْ ضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » و مثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير ۖ ۖ فمن بديعه قول الشاعر

يَا إِلَهِي قَدْ أَثْقَلَتْنِي الذُّنُوبُ فَاغْفِرْ عَنِّي فَالْمَوْمِنُكَ قَرِيبُ
وَتَجَاوَزْ عَنِّي مُذْنِبِي بِخَطَايَا هـ عَنْ الْخَيْرِ قَلْبُهُ مُحِبُّ
كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي عَلَيْهِ وَيَدْرِي أَنَّهُ مِنْ حَيَاتِهِ مُحْسَبُ
وَهُوَ فِي غَفْلَةٍ بَعِيدٍ مِنَ الْخَطَا يَرِ قَرِيبٌ مِنْهُ الْخَطَا وَالذُّنُوبُ

ۖ ۖ ومن بديعه أيضاً قول بعضهم

يَا مَنْ يُنَاجِي بِالضَّمِيرِ فَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُنَاجِي لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَأْمَنُ إِلَيْهِ الْمَشْتَكِي وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ فِي قَوْلِ كَنْ أَمِنَ فَإِنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى قِرْعِي لِإِبْرَافِيلَ فَإِذَا رَدَدْتَ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَاهْتَفِ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ بِكَ عَنْ فَقِيرِكَ مَنَعُ
حَاشَى لْجُودِكَ أَنْ يَقْنَطَ رَاجِيًا الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
ۖ ۖ وفي هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى



❦ القسم السابع والستون ❦

(الحكاية)

وهو أن يحكى كلام المتكلم أما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشحون بذلك ۖ وهو
على قسمين ۖ ظاهر ۖ ومقدر ۖ ۖ أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول
الملائكة » قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَتُقَدِّسُ لَكَ ۖ ۖ ومنه قوله تعالى » وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْبَصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ

النصارى» وكذلك كل ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والامم الماضية . وأما المقدر فكقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » التقدير يقولون - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - دليل ذلك انه رد عليهم بقوله « قل كل من عند الله فإلهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » ومثله في القرآن العظيم كثير

﴿ القسم الثامن والستون ﴾

(الاقتضاء)

وهو طلب الموعود بالوعد السالف . وهو على ضربين . حسن . وخشن . فالحسن مرغوب فيه لانه يحصل المقصود وينجز الموعود . . وأما المذموم فهو سبب الحرمان وحسم لمادة الاحسان . وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . . أما الحسن فنقل قوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخاف الميعاد » . وقوله تعالى « قل رب احكم بالحق » وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » . وقوله تبارك وتعالى « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . . وأما الخشن فورد منه في القرآن كثير أيضاً . فنه قوله تعالى « واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية . وقوله تعالى « وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب » . وقوله تبارك وتعالى « فأتينا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » . وفي الشعر منه كثير



القسم التاسع والستون ﴿

(التذكير)

وهو التنبية لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومن أزلفت لديه نسيها أو تناسها لتقوم عليه حجة النعم وليوقظ من نوم غفاته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفي الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم . » وقوله تعالى « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضاتكم على العالمين . اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآنا هم مالم يؤث أحداً من العالمين . » وقوله تعالى « فقولا له لينا لعله يتذكر أو يخشى » ومعناه لعله يتذكر سترنا له وإعمانا عليه في أمر النيل اذ تضرع الينا فأجرينا له النيل لما التمس قومه منه اجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بللار والحرق . والفرق بين الاقضاء والتذكير أن التقاضي لاستبعاد حصول المطلوب اطول مدة انتظار المرغوب . والتذكير انما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتك للاذكار مستحضراً للتقاضيك وحوشتنا
ولست بالمهمل لكننا لكثرة الاشغال أنسينا

القسم الموفى السبعين ﴿

(الوعد والوعد)

• أما الوعد فهو اطماع باحسان في المستقبل وهو على قسمين متحقق الوقوع وهو وعد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى « وعد الله لا يخاف الله وعده » . وقوله تعالى « ان الله لا يخاف الميعاد » ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد • والوعد يكون (٢٦ - فوائد)

في الخير والشر لكن استعماله في الخير أكثر قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مائياً » . وقال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشاع » والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » . وفي هذه الآية شاهد للمؤمنين . وقد ورد في القرآن العظيم وفي الشعر منه كثير . أما القرآن فنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » . وقوله تعالى « وعدكم الله مغام كثيرة تأخذونها » . وقوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسنا » . . . وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فردها على أديارها أو نأخذهم كالعنا أبحاب السبب وكان أمر الله مفعولاً » . وقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها وله عذاب مهين » . وقوله تعالى « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » الى قوله « وما للظالمين من نصير »

— — — — —

❦ القسم الحادى والسبعون ❦

(العتاب والانذار)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد اللفة والصحة . والغرض به ازالة ما فى النفوس من الوحشة لأن مجريانه يظهر ما فى القلوب من آثار الجناية ويبدو ما فى البواطن من تأكيد أسباب العناية اذ لولا بقاء المودة الخفية لحصلت القطيعة بالكلية ولم يحتج الى عتاب ولم يرغب فى الاعتبار ولهذا قيل

* ويبقى الود ما بقى العتاب *

ومنه في القرآن العظيم كثير . . فن ذلك قوله عز وجل « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وقوله تعالى « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » . وقوله تعالى « عيسى وتولى أن جاءه الأعمى » . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الى قوله « والله عليم حكيم » . وفي القرآن من جيل العتاب شيء كثير . . وأما الاذكار ففي القرآن منه كثير لا يحصى . . منه قوله تعالى « إن الذين كفروا سوائنا عليهم الأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » . ومنه قوله تعالى « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر » الآية . وقوله تعالى « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون »

﴿ القسم الثاني والسبعون ﴾

(الاعتبار)

وهو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبت فاستعتب أى أرجسته فارتجع . ومنه قوله تعالى « فأن يصبروا فالتار متوى لهم وإن يستعتبوا فما هم بمعتين » . وفي الحديث - اما محمداً فيزداد واما مسيئاً فيستعتب . . ومنه قول الشاعر
عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

﴿ القسم الثالث والسبعون ﴾

(الاعتذار)

وهو التوسل الى محو الذنب وازالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنزل اذا درست . . ومنه قوله تعالى « يمتدرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا » الآية . وقوله تعالى « واذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم

عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون . وقوله تعالى « تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون »



— القسم الرابع والسبعون —

(تأكيـد الضمير المتصل بالمنفصل)

يُفعل ذلك لضرب من المبالغة . وفي القرآن العظيم منه كثير . . فمن بديع ما جاء منه قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تُتلقى وإما أن نكون نحن الملقين » قولهم - يا موسى إما أن تلقى - تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمشاهير قبل أن يتخاضوا في الجدل وانما قالوا - وإما أن نكون نحن الملقين - ولم يقولوا وإما أن نتلقى كما قالوا - يا موسى إما أن تلقى - لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوفهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل . . ومما يجرى على هذا المنهاج قوله عز وجل « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنا نحن الأعلـى » فتوكيد الضمير هاهنا في قوله - لا تخف انك أنت الأعلى - نفى الخوف من قاب موسى وأثبت في نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الأعلى أو - وأنت الأعلى - لم يكن في التأكيـد لنفي الخوف من قلب موسى كما له من القوة في تقرير الغلبة ونفي الخوف بقوله - انك أنت الأعلى - وذلك لأن في هذه الثلاث كلمات وهي قوله تعالى - انك أنت الأعلى - ست فوائد . الأولى إن المشددة التي من شأنها التأكيـد كما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول إن زيدا قائم ففي قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد والتقرير له ما ليس في قولك زيد قائم . الثانية تكرير الضمير في قوله تعالى - انك أنت - ولو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره . الثالثة لام التعريف في قوله - الأعلى - فلو قال انك أنت أعلى ففكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك

رجل فانه يصاح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قالت الرجل فقد خصه من بين الرجال بالتعريف وجعته عالماً فيهم • وكذلك قوله - انك أنت الاعلى . أى أنت الاعلى دون غيرك • الرابعة لفظ أفعّل الذى هو من شأنه التفضيل ولم يقل العالى • الخامسة اثبات الغلبة من عالى • السادسة الاستئناف فى قوله - انك أنت الاعلى - ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لانه عال وانما نفى الخوف عنه أولاً بقوله - لا تخف - ثم استأنف الكلام بقوله - انك أنت الاعلى - فكان ذلك أبلغ فى تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة والسلام وأثبت ذلك فى قلبه ونفسه • فهذه ست فوائد فى هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل الى هذه البلاغة العجيبة التى تحيّر العقول وتذهب الالباب ومهجز هذا الكلام العزيز الذى أعجز البلغاء وأخفّ الفصحاء ورجل فرسان الكلام (فان قيل) لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاختصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه فى كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام وقد رأينا فى الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير » فما الموجب لذلك ان كان تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ فى بابه من الاختصار على أحدهما دون الآخر فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لانه أحق بالأبلغ من العلاء وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلنا ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ (الجواب) عن ذلك انا نقول توكيد المتصل بالمنفصل انما يرد فى الكلام لتقرير المعنى وأنبأته فى الذهن وما يختص بالله تعالى لا يقتصر الى تقرير ولا اثبات لانه اذا قيل عنه انه على كل شئ قدير لم يحتاج فى ذلك الى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شئ قدير بل علم وعرف أنه على كل شئ قدير وأن قدرته جارية على كل مخلوق فصار هذا من الأمر المعروف الذى لا يعتريه شك ولا يعترضه ريب وما هذا سبيله فى الوضوح والبيان فلا حاجة فيه الى التوكيد اذ كان التوكيد من شأنه التقرير للبعنى المراد اثباته فى النفس وكون الله سبحانه على كل شئ قدير ثابت فى النفوس فلم يحتاج الى تقرير

واثبات (فان قيل) فقد ورد في القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيـ
بـالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت
قلت للناس اتخذوني وأمتي آلهم من دون الله » الى قوله « انك أنت علام الغيوب »
كما انك على كل شيء قدير . فما السبب في هذا وهلا كان الجميع شرعاً واحداً
(فالجواب على ذلك) انا نقول توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقض
علينا ما أشرنا اليه أولاً لانه ان وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر فإن القول في ذلك
ما تقدم في الآية الأولى وان جرى بهما معاً فإن ذلك أبلغ في بابه وأكد والله تعالى أحق
بما هو أبلغ من الكلام وأكد . ولنمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على
أحدهما دون الآخر مثلاً تتبعه فنقول اذا كان المعنى المقصود أمراً معلوماً قد ثبت
في النفس ورسخ في الالباب فأنت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في
الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لانك ان وكدت الكلام فيه
أعطيت المعنى حقه وان لم تؤكد فانه لا يحتاج الى تأكيد لبيانه وظهوره فان كان المعنى
المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم فالأولى تأكيد أحد الضميرين بالآخر لتقرره
وتكسبه وضوحاً وبيانا . ألا ترى الى قوله لموسى عليه السلام قلنا لا تخف انك أنت
الاعلى . فانه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمراً مستقرآ في ضمن
الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف والحذر
بالأبلغ من الكلام ليكون ذلك اثبت في نفس موسى وأقوى دليلاً عنده في انتفاء
الخوف عنه فؤكد الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ولو لم يؤكـد كان ذلك أيضاً
اخباراً لموسى عليه الصلاة والسلام بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن
ليس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله انك انت الاعلى فاعرف
(وعلى) نحو من ذلك قوله تعالى . قالوا يا موسى اما أن تأتي وإما أن نكون نحن الملقين .
فان ارادة الالتقاء قبل موسى لم يكن معلوماً عنده لانهم لم يعرجوا بما في أنفسهم من ذلك
لكنهم لما عدلوا عن مقالة خطابهم لموسى الى ما هو تأكيد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم
يريدون التقدم عليه والالتقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام

مثله أن يقولوا اما أن تأتي واما أن تأتي لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم - واما أن نكون نحن الملقين - استدل بذلك على ارادتهم الالتقاء قبله فهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينبه لها إلا الفطن اللبيب فاعرفها

— القسم الخامس والسبعون —

الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
المؤكدة بأن المشددة وتفضيل احدهما على الاخرى

وذلك كقولنا قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم اخبار عن زيد بالقيام أيضاً الا أن في الثانية زيادة ليست في الاولى وهي توكيده بان المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها من الكلام . . ومن هذا النحو قوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزؤن » فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة فقالوا في خطاب المؤمنين - آمناء - ولاخوانهم - إنا معكم - لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وكان ذلك مُتقبلاً منهم ورائجاً عند اخوانهم وما قلوه للمؤمنين فانما قالوه تكلفاً واظهاراً للايمان خزيّاً ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ وأشد ما راج لهم عندهم الا رواجاً ظاهراً لا باطناً ولانهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين بخلاف ما قالوه في خطاب اخوانهم وصرّحوا في كلامهم لاهوانهم أن ما خاطبوا به المؤمنين انما هو هزة فقالوا « انما نحن مستهزؤن » . . وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية لا توجد في نوع من الكلام العربي الا في القرآن الكريم وما أ كثر ذلك وأمثاله في آياته وأوفره مودعاً في غضونه فاعرفه وقس عليه ترشد

- القسم السادس والسبعون -

(فى لام التأكيد)

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية انفقوا على أن هذه اللام تدخل فى الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم اذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر احداثه ووقوعه جرى بها محققة لذلك وشاهدة . . فن ذلك قوله تعالى « أفرايتم ما تخرجون أنتم تزرعونهُ أم نحن الزارعون لو نشاء اجمعناه حطاماً » . وقوله تعالى « أفرايتم الماء الذى نشربون أنتم أنزلتموه من انزلت أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ألا ترى كيف دخلت اللام فى آية المطعوم دون آية المشروب واما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب مائحاً ليس بعظيم ولأن كثيراً ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضى المتغيرة التربة احوالها الى الملوحة والمرارة فلم يحتج فى جعل الماء العذب مائحاً الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله صعب فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة فى تحقيق أمره وتقرير ايجاده . وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية

- ملاحظة الجرام -

- القسم السابع والسبعون -

(فى الاقتصاد والافراط والتفريط)

قال ابن الاثير رحمه الله الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن فى العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه فى منزله . . وأما التفريط والافراط فهو أن يكون المعنى المضمن فى العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه . أما لانحطاطه دونها وهو التفريط وأما تجاوزاً عنها وهو الافراط لان أصل التفريط فى وضع اللغة من فرط فى الامر اذا قصر فيه وضيعه وأصل الافراط فى وضع اللغة من أفرط فى الامر اذا تجاوز عنه . . والتفريط

عيب في الكلام فاحش كقول الأعشى

وما من بد من خليج الفراء تَجُونِ غوارِبُهُ تَلْطِمْ

بأجودَ منه بما عونه إذا ما ساء لهم لم تَقَمِ

فانه قد مدح ملكا يهود بما عونه - والماعون - هو كل ما يستعمل من قدوم أو قاس أو قصبة أو قدر وما أشبه ذلك فلا سيل الى جملة مدحا البتة بل هو الى الذم أقرب منه الى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه . وأما الافراط فهو بمنزلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رجلا جاءه فكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلني لله ندا قل ما شاء الله وحده . . . ومن هذا الباب قول عنزة

وأنا النية في المواطن كلها والطمع منى سابق الآجال

فان الطمع لا يسبق الأجل لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ويروى بالياء باثنين من تحتها وهو أقرب أمراً من كونه بالياء الموحدة غير أن كليهما افراط . . . واعلم أن علماء علم البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صوابا كأبي عثمان الجاحظ فيما روى عنه ومنهم من يختاره ويؤثره كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول الغلو عندى أجود المذهبين فإن أحسن الشعر كذبه . . . ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك أن يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يستثنى فيه بأو يكاد أو ما جرى هذا المجرى فيدرك مراده ويسلم من عيب طائب أو طمع طاعن وذلك كقول بعضهم في مدح الحسين

يكاد يمسه عرفان راحته رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

. . . وكقول أبي عبادَةَ البحتري

ولو أنْ مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما في وسعه لسى اليك المنبرُ

وهذا المذهب المتوسط أبقى المذاهب الثلاثة وأدخلها في الصنعة فاعرفه (قال المصنف عفا الله عنه) أما الاقتصاد والافراط فقد ورد في الكتاب العزيز منه شيء كثير وقد تقدم بيانه وأما التفريط فليس في القرآن منه شيء

القسم الثامن والسبعون

(الغزل)

وهو من محاسن النظم والغزل التصابي والاشتهار بمودة النساء ولهذا قال بعضهم
أيام تدعوني الشيطان من غزل وكن يهويني اذ كنتُ شيطاناً
واشتقاقه من الرقة لان المتغزل يرقق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب ويعدها للرسائل
والوسائل بين المحب والمحبوب • وينبغي أن تكون ألفاظه مُستعذبة ومعانيه مُلهية
مُطربة • وينبغي أن يكثر فيه من ذكر الاجرع والحى • ولعل • والنقى • وطويل •
وقبا • والحقيق • وحاجر • والمنحنى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التي
ترشف ذكرها القلوب وتصبو اليها النفوس من غير أن تراها وكذلك يكثر فيه من
ذكر الحنين والتشويق والتحزين • وقد يحتاج في بعض المواضع الى ذكر الكرم
والشجاعة والفصاحة والبراعة لميل بذلك قلب المحبوب ويكون مدعاة الى نيل المطلوب
ألا ترى الى قول بعض الشعراء

يَوَدُّ بَأْنَ يُمَسِّىَ عَلِيلاً أَهْلَهَا إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ بِشَكْوَى تَرَايِلَهُ
وَيَهْتَرُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَى لِنَحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ سَامِي شَائِلَهُ

• • ومثل قول المتنبي

أَبْقَنْتُ أَنْ سَعِيداً أَخَذَ بَدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرَّمْحِ مُعْتَقِلاً

اراد انها اذا رأتَه على هذه الصورة المليحة هويته فقالها من هواء كما نال المتنبي من
هواها فكأنه أخذ بشاره • • ومنه قوله فى هذه القصيدة أيضاً

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّيَّ فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الْإِثْنِ جَعَلْتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا

يشير الى أنها اذا أحبت الامير علمت مقدار المحبة وعزرت من يحبها كما قيل

أَمَّا يَرْحَمُ الْحَبَّ الْحَبُوبَ نَ وَيَحْنُو عَلَى الْمَشُوقِ الْمَشُوقُ

والقرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجاة وترقيقه للقلوب واستماته للنفوس بحيث أنه

لا يسمعه أحد الا ومال اليه قلبه وامتلأت به جوانحه وانطوت على مثل جبر الفضا
ضلوعه وجرت على صفحات خده دموعه وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلفى
وطيب رسومها ما يشوق القلوب الى لقاءها ويسوق النفوس الى الحلول بفنائها مثل قوله
تعالى « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ
لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَفَقْرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرَى فِي
مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ » . وقوله تعالى « وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزْلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ
مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » الى آخر السورة . وقوله تعالى « وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِ جَنَّاتٍ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » الى آخر السورة . وفي القرآن العظيم من هذا النوع كثير

❦ القسم التاسع والسبعون ❦

(فى التشيب)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن أخلاقهن وتصرف أحوال الهوى
معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرها بالرياح الهبّاة والبروق
اللامعة وأمثلها . . . ومن محاسن التشيب قول بعضهم

لَوْ جَادَهْنَ غَدَاةً وَمِنْ رَوَاحَا	غَيْثٌ كَدَمَى مَا أَرْدَنَ بَرَا حَا
مَاتَتْ بِفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيَارُهُمْ	فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهَا أَرْوَاحَا
النَّائِيَاتُ النَّافِذَاتُ نَوَاطِرَا	وَالنَّافِذِينَ أَسِنَّةٌ وَسِلَاحَا
وَأَرَى الْعِيُونَ وَلَا كَأَعْيُنِ عَامِرٍ	قَدَرَا مَعَ الْقَدَرِ امْتِنَاحَا
مُتَوَارِثِي مَرَضِ الْعِيُونِ وَأَمَّا	مَرَضُ الْعِيُونِ بَأَن يَكُنْ صَحَا حَا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ شُحِّ نِسَائِهِمْ	وَمِنْ السَّاحَةِ أَنْ يَكُنْ شَحَا حَا

طَرَفُهُ فِي أُرَابِهَا خَلَّتْ لَهُ وَهَنًا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا
وَبَسَمْنٍ عَنْ بَرْدٍ تَأَلَّفَ نَظْمُهُ فَرَأَيْتُ ضَوْءَ الْبَرْقِ ثَمَّتَ لَاحًا
أَبْرَزَنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةً وَهَزَنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحًا
يَا حَبَّذَا ذَاكَ السَّلَاحُ وَحَبَّذَا وَقْتُ يَكُونُ الْحَسَنُ فِيهِ سِلَاحًا

والأشعار في مثل هذا كثيرة . وفي القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله تبارك وتعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن » مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات ساجدات ثيبات وأبكاراً » . وقوله تعالى « حورٌ مقصورات في الخيام » . وقوله تعالى « قاصرات الطرف » الآية . وفي القرآن العظيم كثير

❦ القسم الموفى ثمانين ❦

(الاستدراج)

قال ابن الأثير وهو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به . وفي ذلك من الفرائب والدقائق ما يؤتى السامع ويطر به لأن بناء صناعة التأليف عليه ومنشأها . ومن هذا الباب قوله تعالى « واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيّاً » اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبدني إلى قوله « فتكون للشيطان ولياً » هذا الكلام يهز أعطاف السامعين ويهيج نفوس المتأملين فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة إمعان النظر في مطلوبه وترداد الفكر في انشائه واتخاذة قدوة لك ونهجاً تعتقبه ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن سياق وانتظام مع استئصال المجاملة واللفظ واللين والادب الجليل والخلق الحسن مستصحباً في ذلك نصيحته وذلك أنه طاب منه أولاً نقله عن خطيئته طلب منه على تماديه موقظ له من إفراطه وقلة تناهيه لأن المعبود لو كان حياً لم يسمع أصلاً .

مقدراً على الثواب والعقاب إلا أنه بمض الخلق لا يشك في نقص عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين فكيف بمن جعل المعبود جاداً لا يسمع ولا يبصر ثم نفي ذلك بدعوته الى الحق مترقياً به ومتلطفاً فلم ينهم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكن قال ان مى لطائف وشيئاً منه وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فلا تستكف وهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فأتبعنى أنجلك من أن تضل فتنبه ثم نأث بتشيطه ونبيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذى ورطك فى هذه الورطة وألثاك فى هذه الضلالة إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لامعانه فى الخلاص لم يذكر من جنابة الشيطان إلا الذى يختص منها بالله عز وجل وهى عصيانه واستكباره ولم ياتفت الى ذكر معاداته لآدم وبنيه ثم ربيع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قالانى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فذكر الخوف والمس اعظاماً لهما وترك العقاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى حجة أشياعه أكثر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله - يأبى - توسلاً اليه واستعطافاً فقال له فى الجواب «أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك وأهجرنى ملياً» ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ فظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قول - يأبى - بىانى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله - أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم - لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطف مغزاه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه وان كان صادقاً فيصيبكم بعض الذى يعدكم ان

تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف ما أذكره لك أيها المتأمل وأقول انما قال يصيبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لا بد من أن يصيبهم لا بعضه ولانه احتاج مع أدلة خصم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين وصفه الله بكونه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يقر به لكنه أردفه بقوله « يصيبكم بعض الذي يعدكم » ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً فضلاً من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذا قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالبصيرة ولا عضده بالبينات فبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ في صناعة التأليف

القسم الحادى والثمانون

(خذلان المخاطب)

وهو الامر بعكس المراد ويدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره أي انا مقابلك على فطلك ومجازيك بحسبه . فمن ذلك قوله تعالى « واذا مس الانسان ضرّاً دعا ربه منياً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار » . فقوله - قل تمتع بكفرك - من باب الخذلان كأنه قال له اذ قد أبيت ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك ونأمرك بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه لان المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » فان المراد بهذا الامر الوارد على

وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان . الاول أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما تنفع أو تضر لكم لالسواكم قاله تعالى . مستغن عن عبادتكم له . الثاني توعده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الاصرار به لوقوع الموعود في حيرة من أمره وتراعى وهمه عند ذلك الى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك افصل ما شئت أى انى مقابلتك عليه . وهذا نوع من علم البيان سريـ

- القسم الثانى والثمانون -

(التعليق والادماج)

وهو أن يدمج مدحاً بمدح أو هجواً بهجواً أو معنىً بمعنى كما قال المتننى
الى كم تردُّ الرُّسلَ عما نواه كأنهم فيما وهبتَ ملامُ
أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . . وقوله أيضاً
حسنٌ فى وجوه أعدائه أقبحُ من ضيفه رأته السَّوامُ
أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح وصفه بالكرم لأن ابله اذا رأته ضيفه علمت أنه
ينحرفها له وقد سمى العسكرى هذا النوع فى كتاب الصناعتين له المضاعف وأنشد فيه
وأسرعتُ نحوكَ لما دعوتُ ت كأتى نوالك فى سُرعتِ

. . ومثله فى وجيه الدولة

وباتُ أسعدنا حظاً بصاحبه من كان فى الحبِّ أشقانا بصاحبه
وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر تصريحاً . وفى القرآن العظيم
من هذا النوع كثير



— القسم الثالث والتمانون —

(الاستخدام)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج اليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى « لا تقرّبوا الصلاة وأنتم سُكَارَى » والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه « إلا عابري سبيل » فدل على أنه أراد موضع الصلاة • وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه أراد فعل الصلاة • وأنشدوا للبحترى

فسقى الفضا والساكنيه وانهم شَبَّوْهُ بين جوانح وقلوب

— الفضا — يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به — والساكنيه — أراد المكان والشجر بقوله — وانهم شَبَّوْهُ — ومن ذلك لبعض العرب اذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعَيْنَاهُ وان كانوا غضا

— والسماء — يحتمل معنيين المطر والنبات فاستخدم المعنيين بقوله — اذا نزل — يعنى المطر — رعيناه — يعنى النبات • • وكما قال الشيخ أبو العلاء

وفقيه أفكاره شَدَنَ لَنَمَ — مانٍ ما لم يَشِدْهُ شَعْرُ زِيَادٍ

يحتمل معنيين أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال — شَدَنَ لَنَمَ — يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه وقال — شعر زياد — يعنى النعمان بن المنذر لأن زياداً هو التابعة مدح النعمان • • وكما قال أبو تمام

واذا مشيت تركت بصدركِ ضَعْفَ مَا بَحْلِيَّتَا مِنْ شَدَقِ الْوَسْوَاسِ

لأن — الوسواس — يحتمل معنيين وهو بالابل الصدر وصوت الحلى فاستخدم المعنيين بقوله — تركت بصدركِ — يعنى بالابل وبقوله — ضعف ما بَحْلِيَّتَا — يعنى صوت الحلى • • ومنه اسمٌ مَنْ مَلَأَ وَمِنْ صَدَقَ عَنِ وَجْهَانِي لِغَيْرِ ذَنْبٍ وَجُرْمٍ

والذى ضنّ بالوصلِ علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلبُ نعمٍ
 هذا استخدام فى الاعراب لان قلب مرفوع بالخبر وفاعل ضن وهو أيضاً استخدام
 فى المعنى لانها بمعنى قلب من المقلوب لان الاسم - معن - فهو معكوس - نعم - فاعرفه
 • ومنه فى الكتاب العزيز كثير •• من ذلك قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ
 كل سفينة غصبا » يحتمل أن يكون أراد - وراءهم - أى فى طلبهم ويحتمل أن يكون
 أراد أمامهم • ومن ذلك قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
 - والقراء - الحيض والقراء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه

القسم الرابع والثمانون

(التفجير)

وهو أن يأتى فى البيت ذكرُ نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فى يومئذٍ
 إليها الشاعر أو النثر مثل قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » فان امرأ القيس
 أو ما إليه بقوله

من القاصرات الطرف لودب محول من الذرّ فوق الأنف منها لأثرا
 •• ومنه قول الآخر

الومُ زياداً فى ركاكة رأيه وفى قوله أى الرجال المهذب
 وهل يحسن التهذيب منك خلاصاً أرق من الماء الزلال وأطيب



الفن الثاني

ما يتعلق بالالفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعاني من البلاغة ولهذا قيل معنى بليغ ولفظ فصيح يقال أفصح الاعمى وفصح المحان . وهذا الفن يسمى أيضاً البديع . والبديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن أن يوثق به إلا بحسن انتظام وهو ينقسم الى أقسام

(الاول التهذيب)

وهو تخلص الالفاظ من ثقل العجبية وهجنة الحوشية وفضاظة النبطية وأن يترك الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريباً من فهم السامع عذب المساق في اللهوات والمسامع يدخل الأذن بغير إذن ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبر ولطيف التفكير . والقرآن العظيم كله من أوله الى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من المتشابه فانه يحتاج الى الامعان في التذكر وترديد التدبر وذلك أيضاً على غاية ما يكون من الحسن فكل في بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت اشجاره وعذبت ثماره واتسقت ألفاظه واستحكمت معانيه وحسن رونقه وعظمت حلالاته وطلالاته لا تمله الاسماع مع كثرة ترداده ولا تنفر منه الطباع مع ابراقه وارعاده بل هو الذي أحكمت آياته وفصلت وكملت معانيه في ألفاظه وحصلت وأحكمت أحكامه وأصلت فهو كما قال الله تعالى « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » قد سلم من حوشى الالفاظ ورذ لها وتخلص من من فضاظة العجمة وثقلها وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمثلها فهو كما قال البحترى

واذا دجت أقلامه ثم انتجت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاللفظ يقرب فهمه في بعده مناً ويبعد نيله في قربه

حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقلبيها في قلبه

كالروض موثقاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشب

وكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

وهذه الايات من أحسن ما قيل في التهذيب وأبلغ ما نظم في التقيق والترتيب ويشعر

على كل ناظم وتائر أن لا يملئ قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته
ويقدح لها زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مساعها ويؤسس
مبانيها كما قيل

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبلغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه مثل وسوس تهذي بها

— القسم الثاني —

(الانسجام)

وهو أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسن الاتساق متعديراً في الاسماع
كتعدي الماء المنسجم حتى يكون للجملة من المتشور والبيت من الموزون موقعاً في
النفوس وعذوبة في القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع وأكثر ما يقع غير
مقصود كتل الكلام الموزون الذي تأتي به الفصاحة في ضمن التزعفوا كأنصاف أبيات
وقعت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة وقد وقع من ذلك كثير في الخطب والرسائل
ومن^(١) أن يكون بيتاً أو نصف بيت وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعداً وليس بشعر
وان لم يقصد • فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد والنصف
والبيت المفرد لا يسمى شعراً وأيضاً فإن الشعر انما يسمى شعراً لكونهم شعروا به أي
فطنوا • وهذا انما جاء عفواً في درج الكلام • • فما ورد من ذلك في القرآن
العزيز قوله تعالى « وجفان كالجوابي وقدور راسيات » فوافق هذا في درج الكلام
قول امرئ القيس

امرؤ القيس رهين مؤلج بالفتيات
مكرم الضيف بلحم وشحوم البكرات
في جفان كالجوابي وقدور راسيات

• • وقد قال بعض أهل العلم بالعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس يمتزج ولا موافق لبحر بيت امرئ القيس وهو صحيح • • ومن ذلك قوله تعالى « إِنَّ يَنْتَهَوْا يُفْعَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ » • وقوله عز وجل « نَجِ عِبَادِي أَنَّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » • وقوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » والثلاوة أيضاً لا تستقيم على الوزن انما الوزن يكون على تحبوا دون التون كما قال بعض الشعراء

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَا

• • وقد جوت الحذاق الماهرون بأوزان القريض الصالمون بضروبه واجزائه وتقطيعه هذه الابيات فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لبينت ذلك

القسم الثالث

(الاشتقاق) ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضاً

وهو من باب التجنيس وان نُعدَّ أصلاً برأسه

وهو أن يجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة كقوله تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » • • وقول أبى تمام

عَمَّتْ الْخَلْقَ مِنْ نَعْمَاكَ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس والآية

التي استشهد بها هي من التجنيس المغاير والبيت الذى استشهد به من التجنيس المماثل • وسندكر أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعد أن شاء الله تعالى • • وما يشبه هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة قوله تعالى « إِنِّى لَعَلَّكُمْ مِنَ الْغَالِينَ » • • وقول البحترى

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ مُجُودِكَ كَهَبَتْ صَارَ قَوْلُ الْمِدَادِ فِيهَا هَبَاءُ

ذكره الزنجاني في تكملته .. قال ابن الاثير الاشتقاق على قسمين . صغير . وكبير .
 فالصغير أن تأخذ أصلاً من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغته ومبانيه
 كتركيب س ل م فانك تأخذ معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسلمان وسلمى
 وسلمى والسليم للدينغ أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من
 الاصول كقولنا هشمك هاشم وحاربك محارب وسالمك سالم وأصاب الارض صيب لأن
 الصيب هو المطر الذى يشتد صوته ووقعه على الارض . وأمثال ذلك كثير . . . ولهذا
 الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة . . . فما جاء منه قول بعضهم
 * أمحلتني سلمى بكاطمة أسلمة *

.. وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية
 وما زال معقولاً عقالاً عن الداء وما زال محبوساً عن الخير حابساً
 .. وقال غيره

* ان قومي لهم جداد الجدير *

.. ونسكى الى بعض الخلفاء جور عامل له وسئل أن يكتب اليه كتاباً فقال ما ترك
 فضة الا فضها ولا ذهباً الا أذهبه ولا غنمة الا أغنها ولا مالا الا مال عليه فأى شئ
 بعد يكتب اليه . وأمثال هذا كثير فاعرفها . . قال ابن الاثير وأما الاشتقاق الكبير
 فهو أن تأخذ أصلاً من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك
 التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شئ من ذلك ردّ بلفظ الصيغة والتأويل اليها كما
 يفعل الاشتقاقيون . ولضرب لذلك مثلاً فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها
 ستة تراكيب وهى قرم . قمر . رمق . رقم . مقر . مرق . فهذه التراكيب الستة
 يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة - والقرم - شدة شهوة اللحم - وقمر - الرجل
 اذا غلب من يقامره - والرقم - الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من أمره
 وعيش - مرق - أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضاً - والمقر - شبه الصبر يقال أقمر
 الشئ اذا أمر وفي ذلك شدة على الدائق وكراهة - ومرق - السهم اذا نفذ من الرمية
 وذلك لشدة مضائه وقوته .. واعلم انه اذا سقط من تركيب الكلمة شئ فجاز ذلك في

الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها . . فمثال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها خمسة تراكيب وهى و س ق . و ق . س . و ق . س . و س . وسقط من جملة التركيب قسم واحد وهو س ق و جميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة - فالوسق - من قولهم استوسق الامر أى اجتمع وقوى - والوقس - ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه - والسوق - متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق - والقسوة - شدة القاب وغلظه - والقوس - معروف وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم واخرجاه الى ذلك الرمى المتباعد . . واعلم انا لاندعى أن هذا يطرد فى جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على متانتها وحكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقليل وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب واعذبها فاعرفه

— القسم الرابع —

(الجزالة والردالة)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها والقرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله الى آخره لا بس حلل الجزالة والفصاحة سالم من الردالة والفظاعة . . وأما الردالة فهى فى غير القرآن فمنها فى المنظوم والمشور كثير . . أما المنظوم فنل قول بعض العرب

زياد بن عيينة تحت حاجبه واسنانه بيض وقد طر شاربه
ومثله ما أنشد سيويه فى كتابه

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
. . ومثل قول أبى العتاهية

مات الخليفة أئيبها الثقلان فكأنني أفطرت في رمضان
وأما النثر فمثل قولهم - فلان لئيم الخبيث كان - كفه ميم وكان عقله جيم ان واصلته منع
وان أعطيته قطع - والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يعاينه

﴿ القسم الخامس ﴾

(السهل المتنع)

وهو الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان
بمثله فاذا أراد الاتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله والقرآن
العظيم كله على هذا المنوال خلا ما فيه من التشابه والحروف التي في أوائل السور
فاذا فسرت كانت كذلك . ومنه في السنة كثير . . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها عليك بذات الدين تربت يداك - . وقوله صلى
الله عليه وسلم - اياكم وخضراء الدِّمِّ قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في
المنبت السوء - . وقوله صلى الله عليه وسلم - المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
وعودوا كل جسد ما اعتاد - . وقوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير
الى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كثر - . . وأما في النثر والنظم فقليل . مثاله في
النثر قول العماد الكاتب - ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدي
من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون - . . ومنه في الشعر مثل قول مروان
ابن أبي حفصة

أُسودُّ لها من غيلِ خفانِ أُشبِلُ	بَنُو مَطرٍ يَومَ اللَقاءِ كَأَنَّهُم
لِجارِهِم بَينَ السَماكِينَ مَزل	هُمُ يَمنعونَ الجارَ حَتى كَأَنما
أَجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا	هُمُ القومُ إِنْ قالوا أَصابوا وان دُعوا
كأولهم - في الجاهلية أول	بها ليل في الاسلام سادوا ولم يكن
وان أحسنوا في الناثبات وأجلوا	ولا يستطيعُ الفاعلونُ فَعالَهُم
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ	ثَلاتُ بامثال الجبال حُباهُم

(القسم السادس)

(الرشاقة والجهامة)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفاً وفي القرآن العظيم منه كثير . . وأما الجهامة فليس في القرآن منها شيء فان الجهامة لا تكون الا عن غلط طبع وشدة حصر ولكن القرآن العظيم منزّه عن ذلك

○ القسم السابع ○

(الفك والسيك)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الاول من المصراع الثانى أو الفقرة الاولى من الفقرة الثانية أو الجملة الاولى من الجملة الثانية ولا تتعاقب الثانية بشئ من معنى الاولى
مثل قول زهير

حَيِّ الدِيَارَ الَّتِي لَمْ يَعْصِهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحَ وَالْدِيمَ

•• ومن ذلك قول المتنبي

جَلَّاءٌ كَمَا فِي فَلَيْكَ التَّبْرِجِ أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْاِغْنِ الشَّيْخِ

•• وهذا النوع منه في القرآن كثير فانه يأتي بجملة أثر جملة ليس لها تعلق بالتي قبلها والنحاة يسمون ذلك الجمل المعترضة •• وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله الى آخره ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بمضه برقاب بعض •• والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه



﴿ القسم الثامن ﴾

﴿ الحل والعقد ﴾

وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره أو منشوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى .. وهذا القسم يختص بالإنشاء معروف بالكتاب البلقاء الفصحاء وهو من أجل ما يمتثل به وأعظم ما يرفعون بسببه .. وفي القرآن العظيم من جنسه وهو ما ورد فيه من آية جملة فسرتهما آية أخرى أو مفسرة أجلتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد .. وأكثر ما يقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله والنثر محلول والشعر يعمده وللماهرين في صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا في هذا الكتاب إلا اثبات ما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو ما يجري مجرى ذلك

﴿ القسم التاسع ﴾

﴿ الازدواج ﴾

وهو أن يزواج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة .. ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم » ومثله قوله تعالى « وكان الله عليا حكيما » وقد جاء في الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤلفاً ومختلفاً ويكون كلمة وكلمتين .. ومنه الحديث - أما محسناً فيزداد وأما مسيئاً فيستعيب - .. ومنه قول الشاعر

عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

القسم العاشر ❦

(تضمين المزدوج)

وهو أن يقع في الفقرات لفظان مسجمان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنْدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِثِينَ لَا عَذْبَةَ بَنِي عَدَابٍ شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَةً أَوْ لِيَ أَتَيْتَنِي بِسُلْطَانٍ مَبِينٍ فَكَيْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَدِينُ » بعد مراعاة اللفظ في مقاطع الآي وهي - الفائثين و مبين - . ومنه في الشعر والنثر كثير . فمن النثر قول بعض البلغاء فلان رفع دعامة الجِدِّ والمجد باحسانه وبرِّز بالجِدِّ والجِدِّ على أقرانه . . . ومثاله من النظم قول الشاعر

تَعَوَّدَ رَسْمَ الْوَهْبِ وَالنَّهْبِ فِي الْعُلَا وَهَذَا نِ وَقْتُ الْأَطْفَرِ وَالضَّنْفِ دَائِبُهُ
فِي الْأَطْفَرِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ هِبَاتُهُ وَفِي الضَّنْفِ أَعْمَارُ الْعِدَاءِ نِهَابُهُ

❦ القسم الحادى عشر ❦

(التسجيع . والكلام عليه من وجوه)

الاول فى أقسامه . الثانى اختلاف العلماء فى جواز استعماله وحظره . الثالث فى شرطه وما ينبغى أن يكون فيه (الاول) قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى التسجيع فقال قوم هو على ثلاثة أقسام . المتوازى . والمنطرف . والمستحسن . . أما المتوازى فهو رعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن والروى . وذكر الروى فى النثر توسعة فى الكلام والآ فالروى مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل « فِيهَا سُورٌ مُّرفُوعَةٌ وَأُكُوبٌ مُّوضُوعَةٌ » . . ومثاله من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً - . . وأما المنطرف فهو

أن تنفق الكلمتان الاخيرتان في الحرف الاخير دون الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » . ومنه قول بعض الباطناء - جنباه محط الرحال ونجم الآمال - . « وأما المتوازن فناله من الكتاب العزيز قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » . وقال قوم هو على ثلاثة أقسام . قصير . موجز . ومتوسط . معجز . وطويل . فصح مبين . للمعنى مبرز . . أما الاول وهو القصير فاعلم ان أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى « والماديّات ضبّحاً فالموريّات قدحاً فالغيرات ضبّحاً » . وقوله تعالى « والمرسلات عرفاً فالماصفات عصفاً » . وقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر » . وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات وما بين هذين متوسط كقوله تعالى « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى » . وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » . . وأقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة وأطولها غير مضبوط وكلما طالت الفقر زاد بيانها وافصاحها . وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حولها مثل قوله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشتم لتنازعهم في الأمر ولكن الله سأم إنه عليم بذات الصدور » اذ يريكهم اذ التقيم في أعينكم قليلاً ويقللهم في أعينهم ليفضى الله أمراً كان مفعولاً الى الله ترجع الأمور » . . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى « ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفوراً ولئن أذقناه نساء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح غفور » . وقوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عشم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . . والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا . . أما المتساوية ففي الاكثر انما توجد في الفقرات القصار كما في قوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » . . وأما

المختلفة باختلافها إما أن يكون في فقرتين أو أكثر .. أما المختلفة في فقرتين فلا حسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى « وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً مقربين دعوا هنالك ثبوراً » . وكذلك قوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً » .. وأما المختلف في أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة والاوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيراً .. وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها (أما الثاني) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله على الاسترسال في الكلام ورجحه .. ومنهم من كره السجع واقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما اشتماله على السكفة . والثاني قوله عليه الصلاة والسلام - أسجماً كسجع الجاهلية - وكلا الحجتين فاسدة .. أما الاولى فلأنه لم يخل شيئاً من الكلام من تكلف ما .. وأما الثانية فلأن الإنكار إنما كان لسجع مخصوص وهو ما قصد به إبطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحاً لاستعمال وروده في القرآن .. والتسجيع وعدمه أسلوان جرت عاهم السنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف .. وورد في القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتى أن بعض السور شملها السجع من أولها الى آخرها مثل اقتربت الساعة وسورة الضحى والكوثر فاعرفه (الثالث) قال علماء علم البيان الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفة عليها لان الغرض أن يجانس بين القرآن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قوله مامن عزة الا الى جنبها عزه وقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بُدٌّ من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه .. وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون أبيتك بالعدايا والعشايا . وهنائي الطعام ومراني . وأخذته ما حدث وما قدم . وانصرفن

مأزورات غير مأجورات • وقال عليه الصلاة والسلام انفق بلال ولا نخش من ذي العرش
إقلال مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك

القسم الثاني عشر ❦

(الترصيع)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز وجل
« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » • وقوله تعالى « إِنَّ الْبَنَاءَ إِلَّا بِهِمْ ثُمَّ
إِنْ عَانَيْنَا حِسَابَهُمْ » • وقوله تعالى « فَأَتَرْنَاهُ نَقْعًا فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا » وهو في كتاب
الله كثير • ومنه في النثر كثير منه قول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه • • وهو في الشعر كثير منه قول أبي فراس
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطالبيين نهاب

• • وقول آخر

ثمانية لم تفرق مُدْجَعَتِهَا فلا فترقت ما ذبَّ عن ناظرٍ شفرُ
يَقِينُكَ وَالتَّقْوَى وَجُودُكَ وَالْغَى وَلَفْظُكَ وَالْمَعْنَى وَحَرْبُكَ وَالنَّصْرُ

• • ومنه قول أبي الورد

يروح اليهم عازبُ الحمدِ وافيًا ويغدو اليهم طالبُ الرغدِ عافيا
• • وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قات الانصار كات الابصارُ وما وراء الخلق
الدِّمِيمِ الا الخلقُ الذمِيمِ • • وقول المطرزي

وزندُ ندا فواضله وَرَى ورنْدُ ربا فضائله نصيرُ
ودرّ تجلاله أبدأ ثمينُ ودَرْتُوا له أبدأ غزيرُ

﴿ القسم الثالث عشر ﴾

(التسميط)

وهو على قسمين (الاول) أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجيئها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تقضى أو رسالة حتى تنهى فتصير كالسمط الذى احتوى على جواهر متشاكله . ومنه قوله تعالى « اذا الشمس كورت » واذا النجوم انكدرت » الى قوله « علمت نفس ما أحضرت » وقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » . وقوله تعالى « اذا السماء انفطرت » الى قوله « علمت نفس مقدمات وأخرت » وقوله تعالى « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » . وقوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » . ومثله فى القرآن كثير . ومنه قول امرئ القيس

ومستأنم كشفت بالروح ذيله أمت بعصب ذى شقاشق ميله
فجعت به فى ملتقى الحرب خيله تركت عتاق الطير يحجلن حوله
كان على سر باله نضح جريال

.. وكقول الآخر

حلوه شمائله تندى أمامه ان جاء سائله أغناه نائله

حتى يروح له ماشاء من مال

(القسم الثانى) أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذيلية

وجزْدٍ وَرَدَّتْ وفقرٍ سَدَّتْ وعالجٍ شَدَّتْ عليه الحَمَلَا
ومالٍ أَحْوَيْتَ وخيلٍ حَبَّتْ وضيْفٍ قَرَيْتَ بخافٍ الوَكَلَا

.. وقد أبدع الحررى فى التوشيح بقصيدته التى أولها
 خلّ أذكّار الأربيع والمصدر المرتبِع والظاعن المودِع
 وعدّه عنه ودّع
 واندب زماناً سلفاً سوّدت فيه الصففا ولم تزل مُعتكفا
 على القبيح الشنيع
 .. ومن بديع التسميط أيضاً قوله فى قصيدته التى يقول فيها
 وانّ لاح لك النفش من الاصفر تهنّش وان مرتبك النفش
 تغامت ولا غم
 ستذرى الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع يقي فى عرصه الجمع
 ولا خال ولا عم
 جعل قصيدته كلها على هذا النوال

القسم الرابع عشر

(التجزى)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء . مثال الثلاثة أجزاء
 من الكتاب العزيز قوله تعالى « إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّا شَانِئُكَ
 هُوَ الْابْتَرُ » .. ومثال الاربعة قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ
 أباه بقوله « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ
 جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » وفى القرآن منه كثير .. ومنه قول ابن المعتز فى الثلاثة

عجبا لمنصك المقلد كيف لم
 تسد الدماء عليك منه سيولا
 لك حسنه متقلداً وبهاؤه
 متكبهاً ومضاهؤه مسلولاً

•• ومثال الاربعة الاجزاء قول المتنبي
فمحن في جدلٍ والروم في وجلٍ والبحر في خجلٍ والبر في شغلٍ
•• ومنه قول ابن المقري

اذاصلدوا أو رى وان عجّلوا ارتأى وان بخلوا أعطى وان غدرؤا وافتى
فليجود ما أتى وللمجد ما أتى ولناس ما أبدى والله ما أخفى

— القسم الخامس عشر —

(في التوشيح)

التوشيح أن تكون ذيول الابيات ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد
فعلى أى القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً كقوله
اسلم ودُمت على الحوا دث ما رسا ركنا ثير أو هضاب حراء
ونل المراد منها تمكناً على رغم الدهور وفز بطول بقاء
قافيتهما على ثانی قافية من ثانی الكامل وعلى الاول من سادسه •• وأما ما هو من
بحر واحد وقد يسمى هذا النوع المتلون وذكره الزنجاني وأنشد فيه
أبى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير ولا الفقير البائس
وقال ان قيده كان من سابع الكامل وان أطلقته كان من سادسه • وهذا النوع في
القرآن العظيم ما يشبهه وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام إن وقفت
على الوقف الكافي كان حسناً وان وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى « والذين
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون » ان وقفت على
— من قبلك — كان وقفاً حسناً وان وقفت على — يوقنون — كان أحسن وهو تمام
وكذلك كل ما أشبهه

— القسم السادس عشر —

(براعة المطلب وحسن التوسل)

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم المدح كقوله تعالى « فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » • وكقوله تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام « إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » • وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام « ربنا إني أسكنت » الى قوله « لعلهم يشكرون » • وقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام « رب قد آتيتني من الملك » الى قوله « وألحقي بالصالحين » • وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام « قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني » الى قوله « الظالمين » • وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام « فادّى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » • وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « فانك أنت العزيز الحكيم » • وقوله تعالى فيما حكاه رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين « إن في خلق السموات والارض » الى قوله « فاستجاب لهم ربهم » • • وجاء من هذا النوع في الشعر كثير • منه قول المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سُكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخُطَابُ

— القسم السابع عشر —

(المخالفة)

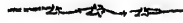
اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاقتداء بآثارهم مثل

قول نصيب

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ
وليس من الممهود رد المحبوب على عقبه اذا زار .. ومثل قول ابن عتيق
جَعَلَ التَّنْدُ وَالْأَلْوَةُ وَالْمَسْكُ أَصِيلاً لَهَا عَلَى الْكَافُورِ
.. ومعلوم أن الزنج على تن راعحتهم لو تطيبوا ببعض هذا الطيب لطابت راعحتهم وانما
الحسن الجيد قول امرئ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ نَحْوَهَا وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ
.. ومن ذلك قول امرئ القيس

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ تُحِبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرُ الْقَابِ يَفْعَلُ
وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعداً للمحجوب والمحج لا يتوعد بحبوه .. وكذلك قوله
وَأَنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي
.. والقرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر التي يستعملها
الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغفاري لقد عرضته على اقراء الشعر فلم ياتهم فانه
ليس بالشعر



القسم الثامن عشر

(لزوم ما لا يلزم)

ويسمى التضيق والتشديد والاعتات وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفاً
معيناً كما في قوله تعالى « إقرأ باسم ربك الذي خلق » كخلق الانسان من علق ..
وقوله تعالى « والطور وكتاب مسطور » وقوله تعالى « فذكر فما أنت بنعمة ربك
بكاهنـ ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ربب النون » وقوله تعالى « في

سيدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ • وهو في القرآن كثير • • وجاء في الحماسة
 انّ التي زعمت فؤادك ملّها • خلقت هواك كما خلقت هوى لها
 بيضاء باكرها النعيم قصاعها • بلباقته فادقها وأجلّها
 حجبّت تحيتها فقلت لصاحبي • ما كان أكثرها لنا وأقلّها
 واذا وجدت لها وساس سلوة • شفع الضمير الى الفؤاد فسلّها
 • • وكذلك قول كثير عزة في أبيات له

خليلٌ هذا رسم عزة فاعقلا • قلو صيكا ثم انزلا حيث حات
 فكانت لقطع الجبل بيني وبينها • كنادرة تذرا فأوفت وحلت

• • وقول المعري

لا تطلبنّ بغير جدّ حاجة • قلم البايغ بغير جدّ مغزل
 سكن السّما كان السماء كلاها • هذا له رُمحٌ وهذا أعزل

• وفي هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير • • ومن ذلك قوله تعالى « وجاءت
 سكرة الموت بالحقّ » ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد
 لزم الياء والدال في أكثر هذه السورة • وقوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من
 الدهر لم يكن شيئا مذكورا » • الى قوله « يفجرونها تفجيّرا » التزم قافية توافق
 قافية • • ومن ذلك قوله تعالى « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا
 ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مُقرّين » والقرآن مشحون بهذا
 • • وهذا النوع أتى في القرآن عفواً من غير قصد وربما وقع في أقوال فصحاء العرب
 من غير قصد والمتأخرون يقصدون ذلك ويتكلفون في استعماله
 * ليس التكحل في العينين كالكحل *

﴿ القسم التاسع عشر ﴾

﴿ التفويف ﴾

والمفوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان • الاول أن تكون ألفاظه سهلة

المخارج عليها رونق الفصاحة وبهجة الطلاوة وعدوبة الحلالة مع الخلو من البشاعة ملطفة عند الطلب والسوء ال مفحمة عند الفخار والنزال . . وان كان شعراً فليكن شعره سهل العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف ومعانيه مواجهة للغرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا تحتاج الى إعمال الفكر في استنباط معانيه فإذا كان كذلك سمي مفوّفاً بمتنوع من ألفاظه ومعانيه فأشبه البُرْدُ المفوّف الذي فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة . . وأصل التفويف بياض يكون على الأظفار . الثاني المقوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفتن للالتزامات التي جعلت عليه وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وقواتمها وتحزيبه وتشيده وارباعه واخاسه واسباعه فان العلماء رضى الله عنهم وخصوصاً بأن يكون ذلك بالجمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بالألوان مخالفة للون الحبر والمداد حتى يعلم انها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك فإذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المقوف بل أجل وأحسن وأبهى وألطف وان كان التفويف القول الاول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضاً فاعرف ذلك

قسم الموفى عشرين

(التطريز)

قال علماء البيان التطريز هو أن تأتي قبل القافية بسجعاً متناسبة فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب . . ومنه قول الشاعر

أَمْسى وَأَصْبَحُ مِنْ مِجْرَانِكُمْ دَنْفَا يَرْنِي لِي الْمَشْفِقَانِ الْاَهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ خَدَّ الدَّمْعُ خَدَيَّ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ وَهَدَّنِي الْمَضْنِيانِ الشُّوقُ وَالْكَمْدُ
كَأَنَّمَا مُهَجَّتِي سَلَوْتُ بِمِسْمَعَةٍ يَنْتَابُهَا الضَّارِيانِ الذَّنْبُ وَالْاَسْدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِيِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي فَدَأَلَكَ الْفَانِيانِ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ
أَنِي لِاحْسَدُ فِي الْعِشَاقِ مُصْطَبِرًا وَحَسْبُكَ الْقَاتِلَانِ الْحُبُّ وَالْحَسَدُ

«قال المصنف عني الله عنه» هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم وقد استقرت من الكتاب العزيز وأشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام . الأول ماله علمان علم من أوله وعلم من آخره . الثاني ماله علم من أوله . الثالث ماله علم من آخره . فأما الذي له علمان فكقوله تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . . ومنه في الشعر قول بعضهم من أبيات

والمسعدان عليها الصبر والجلدُ أفأما الخاذلانِ الوجد والكمدُ
والعاذلانِ عليها ردةً عندلها في حُبها العاذرانِ الحسنُ والجيدُ
والباقيانِ هواها والغرامُ بها فداهما الذاهبانِ الروحُ والجسدُ

.. ومنه قوله تعالى «أمن خالق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قومٌ يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إليه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن ينجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلاً ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرأ بين يدي رحمته إليه مع الله تعالى عما يسركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أله مع الله قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » . وأما الذي طرازه من أوله . فنه في القرآن كثير . فن ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يسركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يستبح

له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم « . وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك قول البحتري

تعلوا الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداه والانعام
وثلاثة تفشاك مهما زرتنه إرفاده والمن والاكرام
وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام
وثلاثة فى الغر من أفعاله تديره والنقض والابرام

« . وأما الذى علمه من آخره فى القرآن منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « خاق الانسان من صلصال كالفخار وخاق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » الى آخر السورة . ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا » الى آخر السورة . . ومن ذلك فى المرسلات قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » الى آخر السورة

- - - - -

القسم الحادى والعشرون

(ما يقرأ من الجهتين)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « كل فى فلك يسبحون » . وقوله تعالى « وربك فكبر » وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع المكس والتقليب وهو عندهم على أربعة أنواع . الاول قلب البعض وهو أن قلب حروف الكلمة وهو كقوله عليه الصلاة والسلام - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - . ومنه قول الحريرى

لجوبُ البلاد مع المترَبة أحبّ الىّ من المترَبة

• الثانى مقلوب الكل كقولهم - كفه ببحر وجنابه رحب • الثالث المنجّح وهو أن يقع مقلوب الكل فى جناح البيت أو جناحى المصراع كقوله

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال
 • الرابع المسوى وهو أن يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين • ومنه الكلمتان في الآيتين
 المتقدمتين • ومنه قول الحريري
 أس أرملأ اذا عرا وارع اذا المرء أسا
 الايات • • ومنه قول الآخر

أراهن نادمنه ليل لهو وهل ليلهن مدان نهارا
 • • ومن أنواع هذا الباب ما اذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشتملة
 على مائتي كلمة للحريري في المقامة القهقرية التي أولها الانسان صنيعه الاحسان الى
 أن ختم بقوله الاحرار عند الاسرار • • ومن هذا النوع أيضاً ما قلب فيه الألفاظ
 بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات الاشراف
 أشراف العادات

- القسم الثاني والعشرون -

(رد المعجز على المصدر • ويسمى التصدير)

وهو أيضاً من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان • ومنه قوله تعالى « فما كان
 لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » • • ومنه قولهم القتل
 أننى للقتل • • ومنه قول بعض الباطناء الحيلة ترك الحيلة • • ومنه قول الشاعر
 تسير النجوم الدارات بحكمه وذاك اذا عدت محلاه يسير
 • • وقول الآخر
 لقد حاز أنواع الفضائل كلها وأمسى وحيداً في فنون الفضائل
 • • وقول الآخر

سألت صروف الدهر حفظ مملوك فشحت وجادت لي بحفظ أديب

﴿ فصل ﴾

ومن هذا الضرب التجنيس وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين • تنجيس حقيقى • ومثبه بالتجنيس • • أما التجنيس الحقيقى فهو أن تأتى بكلمتين كل واحد منهما موافقة للأخرى فى الحروف مغايرة لها فى المعنى ولم يرد ذلك فى الكتاب العزيز إلا فى آية واحدة وهى قوله تعالى « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبَسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » • • وأما المثبه بالتجنيس فكثير وقد احتوى الكتاب العزيز منها على الباب وأتى منها بالعجب العجيب وهو على ضروب (الأولى) التجنيس المائل وهو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى « يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » • وقوله تعالى « الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ » • وقوله تعالى « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ » • وقوله تعالى « مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلُّ تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ » • • مما تشربون » (الثانى) التجنيس المغاير وهو يكون من اسم وفعل • ومنه قوله تعالى « وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » • وقوله تعالى « أَرِفْتَ الْآزِفَةَ » • وقوله تعالى « فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ » وفى القرآن منه كثير • • وقد جمع بعض الشعراء فى أبيات نذكرها فى آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس (الثالث) تنجيس التصحيف وهو أن يكون اللفظ فرقاً بين الكلمتين • ومنه قوله تعالى « وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا » • ومنه قول الشاعر

الْقَابِضُونَ عَلَى الْعُلْيَا بِكَفِّهِمْ وَالْقَابِضُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَطْرَافِ
الْمَحْسَبُونَ إِذَا جَدَّ الْفَخَارُ بِهِمْ وَالْمَحْسَبُونَ إِذَا سِيلُوا بِالْحَافِ

(الرابع) تنجيس التحريف وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » • وقوله تعالى « فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ » (الخامس) تنجيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ » • وقوله

تعالى « ألم يك نطفة من مفرى نبي ثم كان علقة خلق فسوى » .. ومنه قول بعضهم
 أنتم زعمتم أنى غير عاشق وأنى لا أعسايبين مفارقى
 فلم قرحت يوم الوداع مداهى ولم شاب من هول الفراق مفارقى
 (وهذه) أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التى تقدم ذكرها وهى

رُبَّ كخودٍ عرفتُ فى عرفاتٍ سابتنى بحسنى حسناتى
 ورميتُ بالجارِ حبةً قابى أى قلب يقوى على الجراتِ
 وأفاضتُ مع الحبيجِ ففاضتُ من دموى سوابقِ العبراتِ
 حرمتُ حينَ أحرمتُ نومَ عيى واستباحتُ حياى بالمحظاتِ
 لم ألد فى مئى مئى النفسِ لكن خفتُ بالخيفِ أن تكون وفاتى

فقوله - عرفت فى عرفات - تجنيس مفار و قوله - سابتنى بحسنى حسناتى - بمائل
 وكذلك - وأفاضت ففاضت - وكذلك - حرمت وأحرمت - وكذلك - بالجار
 والجرات - وقوله - ولم ألد فى مئى مئى النفس - تجنيس التشكيل وقوله - خفت
 بالخيف - تجنيس مفار (السادس) تجنيس العكس وهو أن تكون حروف الكلمتين
 غير مرتبة . مثاله من القرآن قوله تعالى « ائى أخاف أن تقول فرقت بين نبي اسرائيل
 ولم ترقب قولى » وقد جاء فى الشعر أن يقدم حرفا فى كلمة ويؤخره فى أخرى ..
 ومنه قول حسان فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبدر غنى نوره الظلما

(السابع) تجنيس التركيب وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجمعهما كالكلمة
 الواحدة مثال الاسم مع الاسم - بعل بك ومعدى كرب - ومثال الفعل مع الاسم حضر
 موت ورام همرمز . وقد جاء فى القرآن العظيم « ألم تركب فعل ربك بعاد إرم
 ذات العباد » .. وفى الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم

إن أسيافا الغضاب الدوامى جمات مأكنا مديدة الدوام

باقتسام الأموال من وقت سام واقتحام الاهوال من وقت حام

•• ومنه

بأبي غزاله نام عن وصبي به وسجود دمي في الهوى وصبيه

•• ومنه قول المتنبي

وشادني قلت له هل لك في المنادمة

فقال كم من عاشق سفتك بالني دمة

ومنه في الشعر كثير (الثامن) تجبىس التصريف وهو أن تفرد احدى السكمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون » • ومثل قوله تعالى « وهم يهون عنه ويأون عنه » • ومثل قوله « لكونن أهدي من احدى الأمم » • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم - الحيل معقود في تواسيها الخير - •• ومنه قول الاعشى

ورأيت أن الشيب خا نته البشاشة والبشارة

(التاسع) تجبىس الترجيع وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل « لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات » • ومنه قوله عز وجل « إن ربهم بهم يومئذ خير » • وقوله تعالى « ولكننا كما مرسلين » •• ومنه قول الشاعر

وما منعت دار ولا عز أهاها من الناس إلا بالقنايل

•• وقال الخبيل

فأنت عليه وماله من ماله بما أفاء ولا أفاد عناق

•• وقال آخر

عذيري من دهر موار موارب له حسنات كلهن ذنوب

•• ولأبي تمام

يمدُون من أيدي عواص عواصم تصول بأسياق قواض قواض

القسم الثالث والعشرون

(التسهيل)

وهو أن يكون في القافية ما يدل على الكلام أو في أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبي حبة

إذا ما تقاضى المرء يومه وإيلة * تقاضاه دهره لا يملّ التقاضيا

•• ومثله

فليس الذي حالمته بمحالٍ وليس الذي حرّمته بمحرّم

•• ومثله

هي الدرة منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرة منظوماً إذا لم تكلم

القسم الرابع والعشرون

(الاتفاق والاطراد)

وهو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام في الغزل

لسلمى سلامانٍ وعمرّة عامرٍ وهند بنى هندٍ وسعد بنى سعدٍ
•• وقوله أيضاً يصف حصاناً

بحوافٍ حفرٍ وُصلبٍ مُصلّبٍ ومشاعرٍ شعيرٍ وخلقٍ أخلقٍ
•• ومن ذلك أيضاً

حمدان حمدونٍ وحمدان حارثٍ ولقمان لقمانٍ ولقمان راشدٍ
وهذه كلها تعسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء



﴿ فصل ﴾

وقد كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها . . أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان . أحدهما التبع والجمع من قولهم قرأت الماء في الحوض اذا تتبعته وجعته فيه فهو جامع لما في كتب الاولين المنزلة على سائر النبيين . والثاني أنه مشتق من الاظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج اليها في أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن والاول أظهر وقد يأتي القرآن بمعنى الصلاة في مثل قوله تعالى « وقرآن الفجر » أي وصلاة الفجر وبمعنى القراءة . . وفي مرثية عثمان رضي الله عنه

نَحْوُوا بِأَسْمَطَ عَنَوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُفْطَحُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقِرْآنَا

. . وأما السورة ففيها أربعة أقوال . الاول أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم فلان سورة من المجد . الثاني سميت بذلك لسكرمها وتماسكها من قولهم لفلان سورة من الادل أي أقوام كرام . الثالث أنها قطعة من القرآن واشتقاقها من السؤر الذي يفضل من الشارب وعلى هذا يكون أصلها الهمز وانما ترك لانضمام ما قبله فأبدلوا منه واوا . الرابع سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة في الأجر الى منزلة أعلا منها . . قال الشاعر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَمْلُوكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك وهو قول حسن . . وأما الآية ففيها أربعة أقوال . الاول أنها اشتقت من العلامة والآية علامة لاقطاع الكلام الذي قبلها . الثاني أنها سميت بذلك لانها كلمات مجتمعة من القرآن من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم . الثالث الآية الرسالة والقصد . . قال الشاعر

أَلَا أَبْلَغُوا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً أَيْقَظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَمْ حَلُمُ

معناه بلغاه رسالة والآية رسالة من الله الى نبيه وخلقه . الرابع انما سميت بذلك لانها

عجب لأنها تشبه كلام البشر ولا يقدرُونَ على الاتِّيان بمثلها من قولهم فلان آية من الآيات أى عجب وهو قول حسن . . وأما الكلمة فهي اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدهما حقيقة والآخر مجاز وهى فى كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة . أحدها كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله . الثانى تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » يعنى الشرك « وكلمة الله هى العليا » يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » قال مجاهد والسدى هى قول لا إله إلا الله . الثالث تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك » يعنى وعدهم الساعة . قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم » . الرابع تطلق ويراد بها دعاء الله الخلق اليه . ومنه قوله تعالى « الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله » الآية . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى « وكنه ألقاها الى مريم وروح منه » ساء كلمة لأنه أوجده بالكلمة وهى قوله « كن » . السادس تطلق ويراد بها القصة والقصيدة والعرب يقولون كلمة امرئ الميس يريدون قصيدته ويقولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته . وفى الحديث واستحلّام فروجهن بكلمة الله - يعنى النساء كأنه يشير الى قوله تعالى « فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . السابع تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات . والكلمات فى كتاب الله تعالى تأتى على ستة معان . الاول تطلق ويراد بها اسم الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لقد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » . الثانى يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لا تبدل الكلمات الله » أى لا نخافنا وعد . الثالث تطلق ويراد بها الخصال . ومنه قوله تعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن » أى بمشتر خصال من الطهارة معروفة . الرابع تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى « فتأتى آدم من ربه كلمات » وهى قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . قاله الهروى فى قوله تعالى « وصدقت بكلمات ربها » . السادس تطلق ويراد

بها القرآن . ومنه الحديث - أعوذ بكلمات الله التامات - يعنى القرآن قاله الهروى أيضاً وغيره . . . وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل . أحدها اللفظ يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم . الثانى يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث - نزل القرآن على سبعة أحرف - أى على سبعة معان . الثالث يطلق ويراد به أحد القراآت وعليه حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث - لكل حرف ظهر وبطن وحدث ومطلع - وفى رواية - ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومطلع . . الخامس يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على شك . وقال ابن عرفة معناه على غير طمأنينة . السادس يطلق ويراد به الجانب . ومنه قول ابن عباس - أهل الكتاب لا يأتون النساء الأعلى حرف - أى جنب . ومنه حرف الجبل جانبه . السابع الحرف الناقصة . . ومنه قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مهجته وعمها خالها قوداه شمليل

. الثامن يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد

﴿ فصل ﴾

﴿ فى ذكر اعجاز القرآن العظيم ﴾

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القليل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى « ولكم فى القصص حياء » الآية . وقوله تعالى « أذ فرعوا فلا فوت » الآية . وقوله تعالى « فكلاً أخذنا بنبيه » الآية . وقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة فأنذ بهم على سواء » . وقوله تعالى « فلما استأسوا منه خاصوا نحيباً » . وقوله تعالى « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقّه فأولئك هم المأزون » . وقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعده » . وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » الآية وأشباها كثير اذا تأمات

الكتاب العزيز وجدت فيه من هذا كثير . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب ما لفظه قايل ومعه كثير مثل قوله صلى الله عليه وسلم - الاعمال بالنيات والمجالس بالأمانات - . وأشباهه كثير . . وقال قوم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعذوبة مساقها وجزالتها ونفامتها وفصل خطابها . . وقال قوم إعجازه من غرابة أسلوبه المعجيب وانساقه القريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز وضروب السجع . . وقد اعترض على هذا القول من وجوه . . الأول لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً . الثاني أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الاتيان بمثله . الثالث أن الذي تعاطاه مسيلة من الحماقة في معارضة « أنا أعطيناك الكثرة » والطاحنات طحناً - هو أسلوب في غاية الفظاعة والركاكة وكان مبتدئاً به ولم يعد ذلك معجزاً بل عدّ سُخْفاً ومُحَقّاً . الرابع لما فاضلنا بين قوله تعالى « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب » وبين قولهم - القتل أبقى للقتل - لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعاقب الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة . الخامس أن وصف العرب القرآن بأن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة لا يابق بالأسلوب . . وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة وهذا الكلام يحتاج الى نظر لا مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما نكون معجزة في حق العرب خاصة لان الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخاكة وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها الى الامد لا يباريهم فيها أحد ولا يجاريهم في ضمائرهم جواد ولا يمازيهم في التفرد بها مآر ذو عقاد قد ألفت الامم اليهم فيها مقلد الاذعان وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحداً لا يجاريهم في هذا المضمار ولا يداينهم في اظهار ولا إضمار فجاءهم هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وقادحة القهر ودعوا الى المعارضة فلم يقدموا وندبوا الى المساجلة والمجارات فأمسكوا وأحجموا وقرعوا بقوارع التوسيع والتفريع فركبوا خيول العجز واستلأموا فقامت الحجة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والمعجز عن الاتيان بمثله . . وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تصح فيهم بذلك معجزة لانهم معترفون أن الفصاحة

ليست من شأنهم ولا مضارها من حجابات ميدانهم والله سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة احمرهم واسودهم قال الله تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً » . وقال تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ولا يثبت إعجازه على الكافة الا بما يعزب على الكافة الاتيان بمثله مع اعترافهم بان في مقدورهم من جنسه ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبني اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة . . وقال قوم انما وقع إعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وقتون العلوم النقلية والعقلية . . وأصحاب هذا القول لهم في ذلك خمسة مذاهب منهم من قال إعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة في الازمنة الخالية والأعصر الماضية في الاماكن القاصية والدانية وقصص الانبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام . وحال ذي القرنين وما لم يسألوه عنه من قصص بقية الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع تحققهم أنه أمي لا يحسن الكتابة ولا تقدمت منه دراسة ولا سبقت منه رحلة ولا انتهت اليه نحلة ولم يكن بأرضه من يعلم الاخبار ويقتنى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطلق لسانه في ثابهم وضال عقولهم وهجن طريقهم وأظهر معائبهم ولو كان أحد منهم أطلعاه على شيء ذلك أو أعلمه به لقايلوه بالافصاح في الرد عليه وملأوا الأرض بالتشنيع والتقريع وحيث لم ينفذ ذلك علم أنه لم يعلمه بشر وليس ذلك الا من جهة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا ما أخبر الله عنهم « انما يعلمه بشر » وكانوا يقولون انه سلمان الفارسي وغيره فرد الله سبحانه عليهم بقوله « لسان الذي يلحدون اليه أعجبي » وهذا لسان عربي مبين » . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من ذكر القرون الماضية والأعصر الخالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالاتيان بمثليها فلم يقدرها . . ومنهم من قال إعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى « اذا جاء نصر الله » الى آخرها وقوله « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » . وقوله تعالى « آم غلبت الروم » الآية وقوله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . وقوله

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » الآية . وقوله « قل ان كانت لكم الدار الآخرة » الآية . وقوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » . وقوله « انا نحن نزلنا الذكر » الآية . وقوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » . وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » الآية . وقوله « هو الله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » . وقوله « لن يضرركم الا اذى » . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » . وقوله « يخفون في أنفسهم » . وقوله « ويقولون في أنفسهم » . وقوله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » . وقوله « يدعكم الله احدي الطائفتين » . وقوله « انا كفيناك المستهزئين » . وقوله « والله يعصمك من الناس » الى غير ذلك مما كشف به اخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من الاخبار بالمغيبات وتلك السور معجزة قد تحداهم الله بالاثيان بثملها فلم يقدر واعي ذلك وضاعت عليهم مع فصاحتهم المسالك . . ومنهم من قال اعجزه بما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق اليها أحد من البشر قبل نزوله ولا اهدت اليها فطن العرب ولا غيرهم من الامم . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب مثل هذا ولم يعد معجزة . . ومنهم من قال اعجزه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه واقبالها بوجه المودة عليه واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشرات المبهجة ومخدراته المزعجة وآياته المقلقة وأخباره الموثقة مع كثرة قرعه للاستماع وصدعه بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة في تكراره شجوة عند سماع مزماره يجد ذلك منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تبارك وتعالى « الله نزل أحسن الحديث » الآية . . وروى أن نصرانياً مرَّ بقارى فوقف يبكي ف قيل له مم بكائك قال الشجاء والنظم . . وفي الحديث الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلن على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تنفى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيف به الاهواء ولا تلتبس به اللسنة وهو الذي لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا « انا سمعنا قرآناً عجيباً » الآيات . . وقد اعترض على هذا

القول بأنه قد يوجد في السنة وكلام فصحاء العرب وأشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه وتشرّب النفوس الى سماعه ولا تمله على تكراره . ومنهم من قال اعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما يلهيها من الخشية سواء كانت قاهرة لمعانيه أو غير قاهرة أو عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فهذه الفية لم تزل تعترى من سمعه وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين وسابت به عقول كثير من الموقنين وتدلّيت به أبواب جماعة من المحسنين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَائِفُونَ » . الى قوله تعالى المسيطرون كاد قاي أن يظير . وفي رواية أول ما وقر الايمان في قاي . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماجاء به من خلاف قومه قتلا عابهم « حَمِ قِصَات » . الى قوله صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُيُودٍ » فأسك عتبة على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصْغٍ مُلقٍ بيده خلف ظهره معتقداً عابها حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذرو اليهم وقال لقد كلنّى كلاماً ما سمعت أذنائى بمثله قط فما دريت ما أقول له ومثل هذا كثير . . وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين وزال عقله وتدلّه من المحبين وراجع الامر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ولا يسعنا هاهنا ذكره فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير . . وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق في بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الاشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره . . وقال قوم اعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتحيف منه سماً ولا يزيد شكلاً ولا نقصاً ولا يدخل فيه كلمة من غيره ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفاً بحرف وذلك من آياته

الكبرى وكم جهد أهل العناد في ذلك فما قدروا له وما استطاعوا وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا . . . روى أن يهودياً تكلم في مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فلم أنه من جملة الاعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام فدعاه المتوكل الى الاسلام فأبى وأقام لفرط الالباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروباً من الانعام وصنوفاً من الرفعة والاكرام وراجعه في ذلك مرة بعد أخرى فلم يزد ذلك الا طغياناً وكفراً فغاب عنه مدة ثم دخل الى مجاسه وهو يعلن الاسلام ويدين دينه فقال له المتوكل أسلمت قال نعم قال ما سبب اسلامك فقال لما قطعت من عنقي قلادة التقليد وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه مزيد نظرت في الاديان وطلبت الحق حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها وتدبرت معانيها وكتبتها بخطي وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعثتها فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعثته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئاً وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكتبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعثته فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التي زدت فيها ونقصت وردوا كل كلمة الى موضعها وكل حرف الى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأمنت به وصدقت ما جاء به

﴿ فصل ﴾

اختار القاضي عياض وجماعة أن الامحاز الظاهر المتحقق انما هو في الاربعة الاول حسن تأليفه والثام كله وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب . الثاني صورة نظمه المعجيب الاسلوب الغريب الخائف لاساليب كلام العرب . الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمعيات وما لم يكن ولم يقع فوجدكم اخبره الرابع ما أتى به من اخبار القرون السالفة والآنم البائدة والشرائع الدائرة وما عدى هذه الاربعة ومادلت عليه خصائص تفرّد بها وما أثر يستأثر بحصولها . . . وقال قوم وجوه اعجازه ثمانية وقد

قد منهاها في الفصل الذي قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . . وقال قوم اعجازه في خروج الايتان بمثله عن مقدور البشر . . وقال قوم اعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الايتان بمثله ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم . . وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة . الاول أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم كما أن نبياً لو قال معجزتي أني أضع يدي على رأسي هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الامر كما زعم لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف . الثاني لو كان كلامهم مقاربا في الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولما كان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدى وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل ذلك . الثالث أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى قبطل أن يكون الاعجاز بالصرف بل الاعجاز ليس بالصرف . . وكل واحد من هذه الاقوال يحتمل أن يكون معجزة اذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الايتان بمثل ما تحدى به وسمى هذا القول معجزة لتعجيزه من رام معارضته والايتان بمثله لانها اسم فاعل من أعجزت يقال أعجزت هذه القصة فهي معجزة . . والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكله معجزة اما لسلب قدرتهم عن الايتان بمثله واما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الايتان بمثله فمعجزوا عن ذلك ولأن الله سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً أو عشر سور من مثله فمعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه صلى الله عليه وسلم بها وعجزهم عن الايتان بمثلها هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مريبة في ذلك ولا خلاف (فان قال قائل) ان سورة من القرآن معجزة ومع هذا انها لم تحنو على جميع ما أودع القرآن من الایجاز وضروب

البيان وعذوبة المساق وغرابة الاسلوب والاخبار عن القرون السالفة في الأعصر الماضية الى غير ذلك مما تقدم ذكره (فالجواب عنه) أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه اما منطوق به أو مشار اليه ولهذا قال سبحانه وتعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استنطعتم من دون الله » فما وقع التحدى الا بسورة منسكرة أى سورة كانت فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعاني البديعة والفصاحة التي تسد بها عن معارضته الذريعة ونضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة وفيها من الالفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعاني النيرة الفاتقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون ثمانية في قوله « انا أعطيناك الكوثر » وثمانية في قوله « فصل لربك وانحر » وخمسة في قوله « إن شئت لك هو الأبر » أما الثمانية التي في قوله « انا أعطيناك الكوثر » فالاول ان قوله « انا أعطيناك الكوثر » دلّ على عطية كثيرة مسندة الى معط كبير ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده وأراد بالكوثر الخير الكثير ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده الى يوم القيامة من أمته . جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم - ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب ما لم يعرفه الا الله . وقيل ان الكوثر ما اختص به من النهر الذي مؤه أحلى من كل شئ وعلى حافته أواني الذهب والفضة كالنجوم أو كهدد النجوم .. الثانية أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية .. الثالثة انه بنى الفعل على المبند فدل على خصوصية وتحقيق على ما بينا في باب التقديم والتأخير .. الرابعة انه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم .. الخامسة انه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ودلالة على أن المتوقع من سيب الكريم في حكم الواقع .. السادسة جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن اثبت ليس فيه ما فى المحذوف من فرط الإيهام والشياع والتناول على طريق الاتساع .. السابعة اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة .. الثامنة أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف

بالاستغراق لشكون لما يوصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة كاملة . وأما الثمانية
 التي في قوله « فصل لربك وانحر » فالاول فاء التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب
 لمعنيين . أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته . الثانية جعله
 لترك المبالاة بقول المدوّ فان سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال ان محمداً
 صنبور - والصنبور - الذي لا عقب له فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأنزل الله تعالى هذه السورة . الثالثة قصده بالأمر التعريض بذكر العاص وأنشأه
 ممن كانت عبادته ونحره لغير الله وتبينت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصراط
 المستقيم واخلصه العبادة لوجهه الكريم . الرابعة أشار بهاتين العبادتين الى نوعي
 العبادات أعنى الاعمال البدنية التي الصلاة قوامها والمالية التي نحر الابل سنامها للتنبيه على
 ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص في الصلاة التي جُعِلَتْ فيها قرة عينه
 ونحر الابل التي همته فيه قوية . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مائة بدنة
 فيها جل في أنفه بُرّة من ذهب . الخامسة حذف اللام الأخرى لدلالة الاولى عليها
 . السادسة مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صنعة البديع اذا ساقه قائله مساقاً
 مطبوعاً ولم يكن متكلفاً . السابعة قوله - لربك - فيه حسنان . وروده على طريق
 الالتفات التي هي أم من الامهات . وصرف الكلام عن لفظ المضمر الى لفظ المظهر
 وفيه اظهار لكبرياء شأنه وإثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء - يأمرك أمير المؤمنين
 بكذا - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الازدية الى أهلها فقال خطب
 اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم . الثامنة علم بهذا أن من حقوق الله التي
 تصد العباد بها انه ربههم ومالكهم وعرض بترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك
 عبادة ربه . . وأما قوله جل جلاله - ان شئت هو الا بر - ففيه خمس فوائد .
 الاولى انه علل الامر بالاقبال على شأنه وترك الاحتفال بشأنيه على سبيل الاستثاف
 الذي هو حسن حسن الموضع وقد كثرت في التنزيل مواقفه الثانية ويتجه أن نجعلها
 جملة الاعتراض مرسله ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى « إن خير من
 استأجرت القوى الأميين » وعن الشافعي العاص بن وائل . الثالثة انما لم يسمه باسمه

ليتناول كل من كان في مثل حاله . الزاوية صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على انه لم يتوجه بقلبه الى الصدق ولم يقصد بلسانه الافصاح عن الحق بل نطق بالسنآن الذى هو قرين البنى والحمد وعين البغضاء والحرد ولذلك رسمه بما ينبئ عن الحقد . الخامسة جعل الخبر مرفقه وهو الاثر والشأن حق كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور . ثم هذه السورة مع علو مقامها وتام مقطعها واتصافها بما هو طراز الامر كله من مجيئها مشحونة بالتسكت الجلائل مكتنزة بالمحسن غير القلائل فهى خالية عن تصنع من يتناول التسكيت ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التسكيت (قال المصنف عفا الله عنه) والاقرّب من هذه الاقاول الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والتقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن (وقال بعض العلماء) ان اعجازه انها وقع بكون المتكلم به عالماً بمراده من كل كلمة وما يليق بها وما ينبئ أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى لا يخفى عنه ما دق من ذلك وما جل ولا . مصرف كل كلمة ولا مآلها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً وهذا القول من الاقوال التى لا مطعن عليها . وقد عدد العلماء وجوهاً من اعجازه غير ما ذكرناه الاولى أن تعد من خصائصه (وقال قوم) اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وان العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والانيان بثله أو بمثل بعضه كلّفوا ما لا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم . وهذا القول أيضاً حسن والله أعلم

﴿ فصل ﴾

فما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وفوزن البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال مفصلاً ومجماً خاطب العرب بلسانهم اتقوا به الحجة عليهم والخطاب

الوارد عليهم يتقسم الى قسمين باق على أصل مدلوله وموضوعه ومعدول به عن حقيقته الى مسوعه والجموع ما عدل وما لم يعدل مائة وعشرون قسما (الاول) خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى « واتقوا الذى خلقكم والجلية الأولين » وقوله « والله خلقكم وما تعملون » . (الثانى) خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى « أ كفرتكم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « هذا ما كنزتم لانفسكم » . (الثالث) خطاب الجنس مثل قوله تعالى « يا أيها الناس » . (الرابع) خطاب النوع مثل قوله تعالى « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ويريد بنى آدم من صلبه خاصة وقوله تعالى « يا بنى اسرائيل » . (الخامس) خطاب العين كقوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . يانوح اهبط بسلام منا . يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . (السادس) خطاب المدح مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . (السابع) خطاب الذم كقوله « يا أيها الذين كفروا » . (الثامن) خطاب الكرامة كقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ » . (التاسع) خطاب الالهانة كقوله تعالى « انك رجيم » . (العاشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » . (الحادى عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله « واصبر وما صبرك الا بالله » . ومنه قوله تعالى « ولا تأنل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفووا وليصنعوا ألا يحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » خاطب بذلك أبا بكر رضى الله عنه حين حرم مسطحا رفدوه حين تكلم فى حديث الافك (الثانى عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى « القيا فى جهنم كل كفار عبيد » والخطاب لملك خازن النار تقديره ألقى ألقى وقد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه - وقد حمل بعض الاثمة قول امرئ القيس

* ققائبك من ذكرى حبيب ومنزل *

على هذا المحمل (الثالث عشر) خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به

اسم الحال على المحل . السابع والثمانون اطلاق اسم الافواه على الألسن . الثمانين
والثمانون التعبير بالألسنة عن اللغات التاسع والثمانون اطلاق ترك الكلام على القصب
• التسعون التعبير بالاياس عن العلم • الحادى والتسعون التعبير بالدخول عن الوطء •
الثانى والتسعون اطلاق اسم الاسد على الشجاع • الثالث والتسعون اطلاق اسم الفوز
والحياة على الايمان • الرابع والتسعون اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل •
للمخامس والتسعون اطلاق اسم السراج والور على الهادى • السادس والتسعون
اطلاق اسم الحطب على النخلة • السابع والتسعون اطلاق اسم الانسان على تمثاله •
الثامن والتسعون التجوز بالماضى عن المستقبل • التاسع والتسعون التجوز عن الماضى
بالمستقبل • المائة اطلاق اسم الخبر عن النهى • الحادى بعد المائة اطلاق لفظ الخبر عن
الدعاء • الثانى بعد المائة اطلاق الامر على الخبر • الثالث بعد المائة توكيد الخبر •
الرابع بعد المائة التجوز بجواب الشرط عن الامر • الخامس بعد المائة التجوز بلفظ
النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما يراد بها ما يقاربها ويلازمها • السادس بعد
المائة التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيها وانما المراد به من يصح نهيها • السابع بعد المائة
التجوز بنهى من يصح نهيها والمنهى فى الحقيقة غيره • الثامن بعد المائة التجوز بهل عن
الامر والنهى والتقرير • التاسع بعد المائة التجوز بهمزة الاستفهام عن الامر والايجاب
والتقرير والتوبيخ • العاشر بعد المائة التجوز بنى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم
ذكرها فى فصل المجاز • الحادى عشر بعد المائة التجوز بعلى ويتجوز بها فى مواضع
مضى ذكرها فى باب المجاز عن وعن وهى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم ويتجوز بها فى
المعاني وقد تقدم ذكره • الثانى عشر بعد المائة التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية
فى الامكنة ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الازمنة • الثالث عشر بعد المائة حرف ثم
وتستعمل حقيقة فى التراخى المعنوى ومجازاً فى التراخى الزمانى • الرابع عشر بعد المائة
حرف - ما - قال سيويه هى للاصناف والاخلاط وهى حقيقة فى الاجرام ونحو
فى المعاني • الخامس عشر بعد المائة حرفا - لعل وعسى - وحقيقتهما الترجى والتوقع
ويتجوز بهما فى الايجاب

فهذه مائة وخمسة عشر قسماً إذا حررت في صيلها جاوزت المائة وعشرين نوفاً بل أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدا من الكتاب العزيز والكلام الفصيح وأشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين ونسأل الله العون والصون والتوفيق إلى ما يقربنا إليه ويؤلفنا لديه والله الموفق لا رب غيره ولا يستعان بسواه . .

﴿ يقول مصححه عما الله عنه ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (وبسمه) فقد تم بهون
الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن
وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الاسلام على التحقيق ناصر
السنة قانع البسمة شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسيم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف في
بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ولم تنسج
يد تاسج على منواله . وكان طبعه
الزاهي الزاهر بمطبعة (السعادة)
بمصر والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله
وصحبه ماتعاقبت
الافاق

التي صلى الله عليه وسلم « لئن أنسرتن ليجعلنّ عملك » والمراد به أمنه . الرابع عشر الخروج بخطاب الحضرة الى الفية مثل قوله تعالى « حق اذا كنتم في الفلك وجرين بهم » . الخامس عشر الخروج من الفية الى الحضور كقوله تعالى « فأما الذين أسودت وجوههم أ كفرتم بهذه إيمانكم » . وقوله تعالى « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » . السادس عشر خطاب الثنن مثل قوله تعالى « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الى قوله « تنصرون » . السابع عشر اطلاق اسم العلم على المعلوم . الثامن عشر اطلاق المعلوم على العلم . التاسع عشر اطلاق القدرة على المقدور . العشرون اطلاق اسم الارادة على المراد . الحادى والعشرون اطلاق اسم المراد على الارادة . الثانى والعشرون اطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه . الثالث والعشرون اطلاق اسم الأمل على المأمول . الرابع والعشرون اطلاق اسم الوعد والوعيد على الموعد . الخامس والعشرون اطلاق اسم العقد والعهد على الملتزم بهما . السادس والعشرون اطلاق اسم البشرى على المبشر به . السابع والعشرون اطلاق اسم القول على المقول . الثامن والعشرون اطلاق اسم النبأ على المنبأ به . التاسع والعشرون اطلاق الاسم على المسمى . الثلاثون اطلاق اسم الكلمة على المتكلم . الحادى والثلاثون اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه . الثانى والثلاثون اطلاق اسم الحكم على المحكوم به . الثالث والثلاثون اطلاق العزم على المعزوم عليه . الرابع والثلاثون اطلاق اسم الهوى على المهوى . الخامس والثلاثون اطلاق اسم الخشية على الخشى . السادس والثلاثون اطلاق المحب على المحبوب . السابع والثلاثون اطلاق اسم الظن على المظنون . الثامن والثلاثون اليقين على المتيقن . التاسع والثلاثون اطلاق اسم الشهوة على المشتهى . الاربعون اطلاق اسم الحاجة على المحتاج . الحادى والاربعون اطلاق اسم السبب على المسبب . الثانى والاربعون اطلاق اسم الكتابة على الحفظ . الثالث والاربعون اطلاق اسم السمع على القبول . الرابع والاربعون اطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه . الخامس والاربعون اطلاق اسم المسبب على السبب . السادس والاربعون اطلاق

اسم العقوبة على الاساءة . السابع والاربعون اطلاق اسم الأكل على الأخذ . الثامن والاربعون اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي سبب عنها . التاسع والاربعون اطلاق اسم الرجز والرجس على عبادة الاصنام . الخمسون اطلاق اسم المنفرة على التوبة . الحادى والخمسون اطلاق اسم الكبرياء على الملك . الثانى والخمسون اطلاق اسم القوة على السلاح . الثالث والخمسون اطلاق اسم الاعطاء والاياء على الالتزام . الرابع والخمسون اطلاق اسم القفل على غيرة فعله . الخامس والخمسون اطلاق اسم الفعل على سببه . السادس والخمسون اطلاق اسم الفعل على الامر به . السابع والخمسون اطلاق اسم البعض على الكل . الثامن والخمسون اطلاق اسم الكل على البعض . التاسع والخمسون اطلاق اسم القيام على الصلاة . الستون اطلاق اسم الركوع عليها . الحادى والستون اطلاق اسم السجود عليها . الثانى والستون اطلاق اسم القراءة عليها . الثالث والستون اطلاق اسم التسييح عليها . الرابع والستون اطلاق اسم الذكر عليها . الخامس والستون اطلاق اسم الاستغفار عليها . السادس والستون اطلاق اسم الذن على الوجه . السابع والستون اطلاق اسم الانف على الوجه . الثامن والستون اطلاق اسم الرقبة على الجملة . التاسع والستون اطلاق اسم اليدين على الجملة . السبعون اطلاق اسم اليدين على الجملة . الحادى والسبعون اطلاق اسم العضد على الجملة . الثانى والسبعون اطلاق اسم الاصابع على الارجل . الثالث والسبعون اطلاق اسم الوجه على الجملة . الرابع والسبعون اطلاق اسم بعض الرأس على الرأس . الخامس والسبعون اطلاق اسم بعض الاذن على الاذن . السادس والسبعون وصف الوجه بالخشوع والخشوع انما يكون فى القلوب . السابع والسبعون وصفها بالرضى . الثامن والسبعون وصف الجميع بما هو وصف البعض . التاسع والسبعون اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه . الثمانون اطلاق اسم الفعل على ما كان عليه . الحادى والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يؤل اليه . الثانى والثمانون اطلاق اسم المتوهم على المتحقق . الثالث والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يظنه الناظر وهو على خلافه . الرابع والثمانون التعبير بالاذن عن الشبهة . الخامس والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما لازمه . السادس والثمانون اطلاق

بجيلة	القسم الثامن عشر	التمريض
١٣٣	«	الاستطراء
١٣٥	«	التورية
١٣٦	«	الاحتجاج النظرى
١٣٧	«	حسن المطاع والمبادئ . ويسمى حسن الاقتراح
١٣٨	«	حسن المقطع
٣٩	«	براعة الاستهلال
١٤٠	«	التخلص . ويسمى الانتقال من فن الى فن
١٤١	«	الاقتضاب
١٤٥	«	التطبيق ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد
١٤٧	«	المقابلة
١٥٢	«	الاحتراس
١٥٢	«	الاختصاص
١٥٦	«	الاختراع
١٥٧	«	الهدم .
١٥٨	«	الاستفهام
١٦٠	«	المرزل
١٦١	«	التعجب
١٦١	«	السبب والايجاب
١٦٢	«	الهزل الذى يراد به الجد
١٦٢	«	التاميع
١٦٣	«	النسخ والسسخ والمسح
١٦٤	«	التعديد . ويسمى سياق الاعداد
١٦٥	«	الموجه
١٦٥	«	المحمل الضدين
١٦٧	«	التجريد
١٦٨	«	الرجوع والاستدراك

الصفحة	القسم	الموضوع
١٦٩	الـ ٤٥	السؤال والجواب
١٧٠	الـ ٤٦	التوهم • ويسمى الابهام
١٧١	الـ ٤٧	التشبيب
	الـ ٤٨	الاستثناء
١٧٢	الـ ٤٩	الفراغة • والظرافة • والسهولة
١٧٥	الـ ٥٠	مايوهم فساداً وليس بفساد
١٧٨	الـ ٥١	النادر والبارد
	الـ ٥٢	المساواة والتقصير
١٧٩	الـ ٥٣	التصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير
١٨١	الـ ٥٤	التعقيب المصدري
١٨٢	الـ ٥٥	النفي والاثبات
١٨٤	الـ ٥٦	في الضمائر وما يتعلق بها
١٨٥	الـ ٥٧	الفصل والوصل
١٨٨		فصل يشتمل على ذكر جل عطف بعضها على بعض
١٨٩	الـ ٥٨	في الوصف
١٩٠	الـ ٥٩	تسبيق الصفات بغير حرف سق
١٩١	الـ ٦٠	حسن السق
١٩٢	الـ ٦١	المدح والذم
١٩٤	الـ ٦٢	الحمد والشكر
١٩٥	الـ ٦٣	تأكيد المدح بما يشبه الذم
	الـ ٦٤	المبالغة • وتسمى الافراط والغلو والايغال
١٩٧	الـ ٦٥	الرثاء والتعزية
١٩٨	الـ ٦٦	الشكاية
١٩٩	الـ ٦٧	الحكاية
٢٠٠	الـ ٦٨	الاقتضاء
٢٠١	الـ ٦٩	التذكير
	الـ ٧	الوعد والوعيد

فهرست كتاب التوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان

مقدمة

- ٢ خطبة الكتاب وفيها الكلام على بلاغة القرآن
- ٩ القسم الاول في الكلام على الفصاحة والبلاغة وفيه أقسام
- للقسم الاول في حد الفصاحة والبلاغة واشتقاقهما والفرق بينهما
- ١٠ الكلام في الحقيقة وأقسامها
- « في المجاز وأقسامه

- ١٦ للقسم الثاني اطلاق اسم السبب على المسبب
- ١٨ « ٣ « « السبب على السبب
- ٢٠ « ٤ « « الفعل على غير فاعله
- ٢١ « ٥ « « الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم
- ٢٢ « ٦ « « اطلاق اسم البعض على الكل
- ٢٣ « ٧ « « الكل على البعض
- ٢٤ « ٨ « « وصف الكل بصفة البعض
- ٢٥ « ٩ « « اطلاق اسم الفعل على مقاربه
- « ١٠ « « الشيء على ما كان عليه
- « ١١ « « على ما يؤهل اليه
- « ١٢ « « المتوهم على المحقق
- « ١٣ « « الشيء على الشيء الذي يطلبه
- « ١٤ « « التضمنين
- « ١٥ « « في مجاز اللزوم
- « ١٦ « « التجوز بالمجاز عن المجاز
- « ١٧ « « في الاسماء
- « ١٨ « « الافعال
- « ١٩ « « بالحروف بعضها عن بعض
- « ٢٠ « « في الاستعارة

٤٦	فصل وهذه جملة مما احتوى عليه القرآن من أقسام الاستعارة
٥٤	القسم الحادى والعشرون فى التشبيه
٦٦	فصل فى التمثيل
٦٨	القسم الثانى والعشرون فى الایجاز والاختصار
٨٤	« ١٣ فى التقديم والتأخير
٨٦	« ٢٤ فى الجمع بين الحقيقة والمجاز

﴿ الكلام على ما يختص بالمعاني وينقسم الى أقسام ﴾

٨٧	القسم الاول	المناسب ويسمى التشابه أيضاً
٨٩	« ٢	التكميل
٩٠	« ٣	التقيم
٩٠	« ٤	التقسم
٩٣	« ٥	المؤاخذة
٩٤	« ٦	الاعتراض والحشو
٩٨	« ٧	الالتفات
١٠٤	« ٨	الحل على المعنى
١٠٦	« ٩	الريادة فى البناء
١٠٦	« ١٠	الاطالة والاسهاب • ويسمى الاطناب
١١١	« ١١	التكرار
١١٦	« ١٢	القسم
١١٧	« ١٣	الاقنباس ويسمى التضمين
١٢١	« ١٤	التذيل
١٢٢	« ١٥	المغالطة
١٢٥	« ١٦	الاشارة • وتسمى الوحى
١٢٦	« ١٧	الكناية